# الجزء الثالث والعشرون

## من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

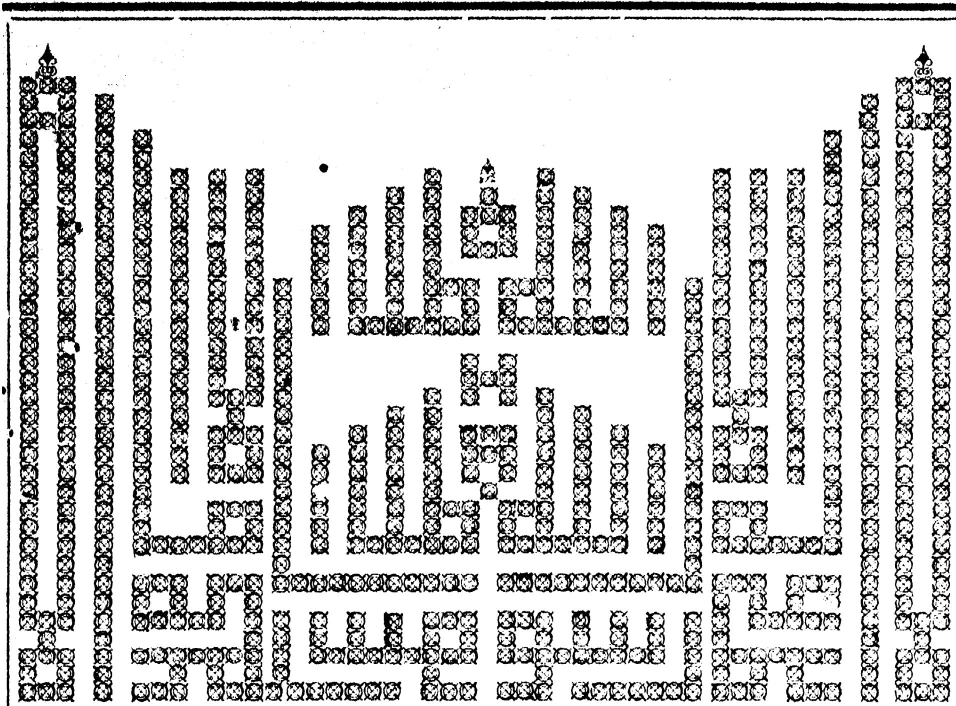
( الطبعة الاولى )

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه

﴿سورة يس مكية سوى آية نزلت فى اليهود قوله واذا قيل لهم أنفقوا حروفها ثلاثة آلاف كلمها سبعمائة وسبع وعشرون آياتها ثلاث وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يس والقرآن الحكيم (٢) انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما
ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق
القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون
انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى
الاذقان فهم مقمحون وجعلنا
من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء
عليهم أءنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر
وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة
وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى
ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ
أحصيناه فى إمام مبين واضرب
لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا
اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر
مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم
الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين
قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم
قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم
قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا
وهم مهتدون ومالى لا أعبد الذى
فطرنى واليه ترجعون أءتخذ من
دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون
انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت
بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال
ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى
وجعلنى من المكرمين وما أنزلنا
على قومه من بعده من جند من
السماء وما كنا منزلين ان كانت
الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون



## الجزء الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون﴾ يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذى قتله قومه لدعائه إياهم الى الله ونصيحته لهم من بعده يعنى من بعد مهلكه من جند من السماء واختلف أهل التأويل فى معنى الجند الذى أخبر الله أنه لم ينزل الى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم عنى بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك اليهم رسالة ولا بعث اليهم نبيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من جند من السماء قال رسالة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين قال فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون * وقال آخرون بل عنى بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود قال غضب الله له يعنى

وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (٣) فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين ﴾

﴿ القراآت يس باظهار النون أبو عمرو وسهل ويعقوب غير رويس وابن كثير غير ابن فليح وحمزة وأبو جعفر ونافع غير النجاري عن ورش والحلواني عن قالون وعاصم غير يحيى وابن أبي غالب وقرأ حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد بالامالة تنزيل بالنصب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد والباقون بالرفع سدا بفتح السين في الحرفين حمزة وعلي وخلف وحفص وأبو زيد فعززنا بالتخفيف أبو بكر وحماد والمفضل آين بالمد والياء أبو عمرو وقالون وزيد مثله ولكن بالقصر ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد أئن بهمزتين حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقرأ المفضل أين على وزن كيف آن بسكون النون وبالمد يزيد مثل آنذرتهم ذكرتم بالتخفيف زيد ومالي بسكون الياء حمزة ويعقوب ينقذوني في الحالين بالياء يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل اني اذا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو اني آمنت بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو الا صيحة واحدة بالرفع وكذلك ما بعدها يزيد لما بالتشديد ابن عامر وحمزة وعاصم الميتة بالتشديد أبو جعفر ونافع عملت بغير هاء الضمير حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل لمستقر بكسر القاف زيد عن يعقوب

لهذا المؤمن لاستضعافهم اياه غضبة لم تبق من القوم شيأ فعجل لهم النقمة بما استحلوا منه وقال وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين يقول ما كاثرناهم بالجموع أي الأمر أيسر علينا من ذلك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فأهلك الله ذلك الملك وأهل انطاكية فبادوا عن وجه الارض فلم تبق منهم باقية وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند الا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل فيكون وجها وان كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يقول ما كانت هلكتهم الا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار ان كانت الا صيحة واحدة نصبا على التأويل الذي ذكرت وأن في كانت مضمرا وذكر عن أبي جعفر المدني أنه قرأه الا صيحة واحدة رفعا على أنها مرفوعة بكان ولا مضمر في كان * والصواب من القراءة في ذلك عندي النصب لاجماع الحجة على ذلك وعلى أن في كانت مضمرا وقوله فاذا هم خامدون يقول فاذا هم هالكون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره يا حسرة من العباد على أنفسها وتندما وتلهفا في استهزائهم برسل الله ما يأتيهم من رسول من الله الا كانوا به يستهزؤن وذكر أن ذلك في بعض القراآت يا حسرة العباد على أنفسها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا حسرة على العباد أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله قال وفي بعض القراآت يا حسرة العباد على أنفسها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يا حسرة على العباد قال كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا حسرة على العباد يقول يا ويلا للعباد وكان بعض أهل العربية يقول معنى ذلك يا لها حسرة على العباد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية أنهم اليهم لا يرجعون يقول ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون قال عاد وثمود وقرون بين ذلك كثير وكم من قوله كم أهلكنا في موضع نصب ان شئت بوقوع يروا عليها وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ألم يروا من أهلكنا وان شئت بوقوع أهلكنا عليها وأما أنهم فان الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها وذكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها وترك إعمال يروا فيها وقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون يقول تعالى ذكره وان كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون كما حدثنا

والقمر بالرفع على الابتداء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ونافع و يعقوب غير رويس الآخرون بالنصب اضمارا على شريطة التفسير ذرياتهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل (٤) ويعقوب ۞ الوقوف يس ٥ كوفى الحكيم ٥ لا لجواب القسم المرسلين ٥ لا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كل لما جميع لدينا محضرون أى هم يوم القيامة واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض الكوفيين وان كل لما بالتخفيف توجيها منهم الى أن ذلك ما أدخلت عليها اللام التى تدخل جوابا لان وأن معنى الكلام وان كل لجميع لدينا محضرون وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لما بتشديد الميم ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان أحدهما أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به وان كل لما جميع ثم حذفت احدى الميمات لما كثرت كما قال الشاعر

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

والآخر أن يكونوا أرادوا أن تكون لما بمعنى الا مع ان خاصة فتكون نظيرة انما اذا وضعت موضع الا وقد كان بعض نحويى الكوفة يقول كأنها لم ضمت اليها ما فصارتا جميعا استثناء وخرجتا من حد الجحد وكان بعض أهل العربية يقول لا أعرف وجه لما بالتشديد * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾ يقول تعالى ذكره ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء وعلى إحيائه من مات من خلقه واعادته بعد فنائه كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة التى لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذى ينزله من السماء حتى يخرج زرعها ثم إخراجه منها الحب الذى هو قوت لهم وغذاء فمنه يأكلون وقوله وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب يقول تعالى ذكره وجعلنا فى هذه الأرض التى أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون يقول وأنبعنا فيها من عيون الماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره أنشأنا هذه الجنات فى هذه الارض ليأكل عبادى من ثمره وما عملت أيديهم يقول ليأكلوا من ثمر الجنات التى أنشأنا لهم وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا وما التى فى قوله وما عملته أيديهم فى موضع خفض عطفا على الثمر بمعنى ومن الذى عملت وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر ومما عملته بالهاء على هذا المعنى فالهاء فى قراءتنا مضمرة لأن العرب تضمرها أحيانا و تظهرها فى صلات من وما والذى ولو قيل ما بمعنى المصدر كان مذهبا فيكون معنى الكلام ومن عمل أيديهم ولو قيل انها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضا مذهبا فيكون معنى الكلام ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم وقوله أفلا يشكرون يقول أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الارض الميتة التى أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذى خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض ومن أنفسهم يقول وخلق من أولادهم ذكورا وإناثا ومما لا يعلمون أيضا من الاشياء التى لم يطلعهم عليها خلق كذلك أزواجا مما يضيف اليه هؤلاء المشركون و يصفونه به من الشركاء وغير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

لأن الجار والمجرور خبر بعد خبر أو مفعول ثان لمعنى الفعل فى المرسلين أى أرسلت على صراط مستقيم ٥ ط على القراءتين فمن نصب فمعناه نزل تنزيل أو أعنى تنزيل ومن رفع فالتقدير هذا تنزيل الرحيم ٥ لا لتعلق لام كى بمعنى التنزيل والارسال غافلون ٥ لا يؤمنون ٥ مقمحون ٥ لا يبصرون ٥ لا يؤمنون ٥ بالغيب ٥ لانقطاع النظم مع دخول الفاء كريم ٥ وآثارهم ط مبين ٥ القرية ٥ لأن اذ ليس ظرفا لاضرب بل التقدير واذكر اذ جاءها وجوّز فى الكشاف أن يكون اذ بدلا من أصحاب القرية فلا وقف المرسلون ٥ ج لاحتمال أن يكون اذ بدلا أو معمولا لعامل آخر مضمر مرسلون ٥ مثلنا لا من شئ لا لاتحاد المقول فيهما تكذبون ٥ لمرسلون ٥ ج المبين ٥ بكم ج للابتداء بما فى معنى القسم مع اتحاد المقول أليم ٥ معكم ط ذكرتم ط مسرفون ٥ المرسلين ٥ لأن اتبعوا بدل من الأول مهتدون ٥ ترجعون ٥ ولا ينقذون ٥ ج للابتداء بان مع تعلق اذا بما قبلها أى انى اذا اتخذت آلهة لفى ضلال مبين ٥ فاسمعون ٥ ط لأن التقدير فلم يسمعوا قوله فقتلوه ثم قيل له ادخل الجنة ط يعلمون ٥ لا لتعلق الباء المكرمين ٥ منزلين ۞ خامدون ٥ العباد ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا والعامل معنى فى حسرة يستهزؤن ٥ لا يرجعون ٥ محضرون ٥ يأكلون ٥

العيون ٥ لا ثمره ط لمن جعل ما نافية ومن جعلها موصولة لم يقف أيديهم ط يشكرون ٥ لا يعلمون ٥ مظلمون يقول ٥ ط لها ط العليم ٥ لا لمن قرأ والقمر بالرفع بالعطف على الليل ومن قرأ بالنصب وقف مطلقا القديم ٥ النهار ط يسبحون ٥

يقول تعالى ذكره ودليل لهم أيضا على قدرة الله على فعل كل ما شاء الليل نسلخ منه النهار يقول ننزع عنه النهار ومعنى منه في هذا الموضع عنه كأنه قيل نسلخ عنه النهار فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار ومنه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها أي خرج منها وتركها فكذلك انسلاخ الليل من النهار وقوله فاذا هم مظلمون يقول فاذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل وقال قتادة في ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون قال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي من معنى سلخ النهار من الليل بعيد وذلك أن ايلاج الليل في النهار انما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر وليس السلخ من ذلك في شيء لأن النهار يسلخ من الليل كله وكذلك الليل من النهار كله وليس يولج كل الليل في كل النهار ولا كل النهار في كل الليل وقوله والشمس تجري لمستقر لها يقول تعالى ذكره والشمس تجري لموضع قرارها بمعنى الى موضع قرارها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر الغفاري قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما غربت الشمس قال يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد بين يدي ربها ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مكانها وذلك مستقرها ✱ وقال بعضهم في ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والشمس تجري لمستقر لها قال وقت واحد لا تعدوه ✱ وقال آخرون معنى ذلك تجري لها الى مقادير مواضعها بمعنى أنها تجري الى أبعد منازلها في الغروب ثم ترجع ولا تجاوزه قالوا وذلك أنها لا تزال تتقدم كل ليلة حتى تنتهي الى أبعد مغاربها ثم ترجع وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقر لها تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها لا يخفى عليه خافية ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله والقمر قدرناه منازل فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين والقمر رفعا عطفا بها على الشمس اذ كانت الشمس معطوفة على الليل فأتبعوا القمر أيضا الشمس في الاعراب لأنه أيضا من الآيات كما الليل والنهار آيتان فعلى هذه القراءة تأويل الكلام وآية لهم القمر قدرناه منازل وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين وعامة قراء الكوفة نصبا والقمر قدرناه بمعنى وقدرنا القمر منازل كما فعلنا ذلك بالشمس فردوه على الهاء من الشمس في المعنى لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر ✱ والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه حتى عاد كالعرجون القديم والعرجون من العذق من الموضع النابت في النخلة الى موضع الشماريخ وانما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم والقديم هو اليابس لان ذلك من العذق لا يكاد يوجد الا متقوسا منحنيا اذا قدم ويبس ولا يكاد أن

المشحون ٥ ولا يركبون ٥ ينقذون ٥ لا حين ٥ ۞ التفسير الكلام الكلي في فواتح السور قدمر في أول البقرة وغيرها والذي يختص بالمقام ما قيل ان معناه يا سيد أو يا أنيسين فاقتصر على البعض رواه جار الله عن ابن عباس (٥) ولا يخفى أن النداء على هذا يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم يؤيده قوله (انك لمن المرسلين) وكثيرا ما يستعمل القسم بعد إفحام الخصم الألد كيلا يقول انك قد أفحمت بقوة جدالك وأنت في نفسك خبير بضعف مقالك وأيضا الابتداء بصورة اليمين يدل على أن المقسم عليه أمر عظيم والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه وكانت العرب يتحرزون من الأيمان الفاجرة ويقولون انها تدع الديار بلاقع وكان من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن غاية التعظيم وكان اليمين به موقوفا عليه عند الكفرة وقوله (على صراط) كالتأكيد لأن المرسلين لا يكونون الا على المنهج القويم وتنكير صراط للتعظيم قيل فيه دليل على فساد قول المباحية القائلين بأن المكلف اذا صار واصلا لم يبق عليه تكليف فان المرسلين لم يستغنوا عن رعاية الشريعة فكيف غيرهم وقوله (ما أنذر آباؤهم) كقوله في القصص لتنذر قوما ما أتاهم من نذير وقد مر أنه يشمل اليهود والنصارى لأن آباءهم الأدنين لم ينذروا بعد ما ضلوا (فهم غافلون) لهذا السبب وقد يقال ان ما مصدرية أو موصولة أي أرسلت لتنذرهم إنذار آبائهم أو ما أنذر آباؤهم فانهم في غفلة فعلى هذا كونهم غافلين سبب باعث على الانذار وعلى الأول عدم الانذار سبب غفلتهم ثم بين أن السبب الحقيقي للغفلة هو أنه تعالى جعلهم من جملة المطبوع على قلوبهم ومن زمرة أهل النار وهو قوله فيهم لأملأن جهنم منك وممن تبعك أو أراد بالقول سبق علمه فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤمنون وقيل أراد أن القول بالدعوة بلغ أكثرهم ولكنهم لا يؤمنون جحودا وعنادا وذلك أن من يتوقف على استماع الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان

ذاهبة لا تقطعوا رجاءكم والغيب ما غاب عنا من أحوال القيامة وغيرها وقيل أى بالدليل وان لم ينته الى العيان فعند الانتهاء الى ذلك لم يبق للخشية فائدة ومعنى الفاء فى (فبشره) (٨) أنك كما أنذرت وخوفت فبشر بمغفرة واسعة وأجر كريم لا يكتنه كنهه فكأن المغفرة

بازاء الايمان والأجر الكريم للعمل الصالح أو الاول لاتباع الذكر والثانى للخشية وحين فرغ من بيان الرسالة شرع فى أصل الحشر قائلا (انا نحن نحيي الموتى) على أن البشارة بالمغفرة والأجر لا يتم الا بعد ثبوت الاعادة وهكذا خشية الرحمن بالغيب تناسب ذكر إحياء الاموات والظاهر أن قوله نحن ضمير الفصل ويجوز ان يكون مبتدأ والفعل خبره والجملة خبر إن ويجوز أن يكون نحن خبر إن كقول القائل عند الافتخار بالشهرة انا انا كأن الله تعالى قال انما نحن معروفون بأوصاف الكمال واذا عرفنا أنفسنا فلا تنكر قدرتنا على إحياء الموتى وفى هذا التركيب أيضا اشارة الى التوحيد أى ليس غيرنا أحد يشاركنا حتى نقول انا كذا فنمتاز ثم أشار الى العلم التام الذى يتوقف عليه المجازاة فقال (ونكتب ما قدموا) أى أسلفوا من الأعمال صالحة كانت أو فاسدة وقيل أراد ما قدموا وأخروا فاكتفى بأحدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر والصحيح أنه لا حاجة الى هذا التقدير لأن قوله (وآثارهم) يدل عليه والمراد بها ما هلكوا عليه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو بقعة خير عمروها وأثر سيئ كبدعة وظلامة وآلات ملاه وقيل هى آثار المشائين الى المساجد عن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم وعن عمر ابن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا

التى كانت فى ذلك المركب قال والمشحون الذى قد شحن الذى قد جعل فيه ليركبه أهله جعلوا فيه ما يريدون فربما امتلا وربما لم يمتلئ حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتدرون ما الفلك المشحون قلنا لا قال هو الموقر حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا هرون عن جويبر عن الضحاك فى قوله الفلك المشحون قال الموقر وقوله وخلقناهم من مثله ما يركبون يقول تعالى ذكره وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد تفضلا منا عليهم من مثل ذلك الفلك الذى كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذى يركبونه من المراكب ثم اختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله ما يركبون فقال بعضهم هى السفن ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تدرون ما وخلقناهم من مثله ما يركبون قلنا لا قال هى السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار * قال ثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار ألا ترى أنه قال وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن فى هذه الآية وخلقناهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار حدثنا حاتم بن بكر الضبى قال ثنا عثمان بن عمر عن شعبة عن اسمعيل عن أبى صالح وخلقناهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون يعنى السفن التى اتخذت بعدها يعنى بعد سفينة نوح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلقناهم من مثله ما يركبون قال هى السفن التى ينتفع بها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون قال وهى هذه الفلك حدثنى يونس قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون قال نعم من مثل سفينة * وقال آخرون بل عنى بذلك الابل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون يعنى الابل خلقها الله كما رأيت فهى سفن البر يحملون عليها ويركبونها حدثنا نصر بن على قال ثنا غندر عن عثمان بن غياث عن عكرمة وخلقناهم من مثله ما يركبون قال الابل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى قال قال عبد الله بن شداد وخلقناهم من مثله ما يركبون هى الابل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون قال من الأنعام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن هى الابل وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال عنى بذلك السفن وذلك لدلالة قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم على أن ذلك كذلك وذلك أن الغرق معلوم أنه لا يكون الا فى الماء ولا غرق فى البر

لأغفل هذه الآثار التى تعفيها الرياح أى تمحوها وقيل أراد ونكتب ما قدموا من نياتهم فانها قبل الأعمال وآثارهم وقوله أى أعمالهم * سؤال كيف قدم احياء الموتى على الكتابة ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم لأجل الجزاء * الجواب لأن الكتابة ليست

وقوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم يقول تعالى ذكره وان نشأ نغرق هؤلاء المشركين اذا ركبوا الفلك فى البحر فلا صريخ لهم يقول فلا مغيث لهم اذا نحن غرقناهم يغيثهم فينجيهم من الغرق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم أى لا مغيث وقوله ولا هم ينقذون يقول ولا هو ينقذهم من الغرق شئ ان نحن أغرقناهم فى البحر الا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم فننجيهم منه وقوله ومتاعا الى حين يقول ولنمتعهم الى أجل هم بالغوه فكأنه قال ولا هم ينقذون الا أن نرحمهم فنمتعهم الى أجل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومتاعا الى حين أى الى الموت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء المشركين بالله المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الامم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله وما خلفكم يقول وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه ان هلكتم على كفركم الذى أنتم عليه لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم ان أنتم حذرتم ذلك واتقيتموه بالتوبة من شرككم والايمان به ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الامم وما خلفهم من أمر الساعة * وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما بين أيديكم قال ما مضى من ذنوبهم وهذا القول قريب المعنى من القول الذى قلنا لأن معناه اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم وقوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يقول تعالى ذكره وما تجىء هؤلاء المشركين من قريش آية يعنى حجة من حجج الله وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده وتصديق رسوله الا كانوا عنها معرضين لا يتفكرون فيها ولا يتدبرونها فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها فان قال قائل وأين جواب قوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قيل جوابه وجواب قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم قوله الا كانوا عنها معرضين لأن الاعراض منهم كان عن كل آية لله فاكتفى بالجواب عن قوله اتقوا ما بين أيديكم وعن قوله وما تأتيهم من آية بالخبر عن اعراضهم عنها لذلك لأن معنى الكلام واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا واذا أتتهم آية أعرضوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء المشركين بالله أنفقوا من رزق الله الذى رزقكم فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم قال الذين أنكروا وحدانية الله وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه وفى قوله ان أنتم الا فى ضلال مبين وجهان أحدهما

مقصودة بالذات وانما المقصود الأصلى هو الاحياء للجزاء ولو لم يكن احياء وإعادة لم يكن للكتابة أثر وأيضا قوله انا نحن دال على العظمة والجبروت والاحياء أمر عظيم لا يقدر عليه أحد الا الله سبحانه بخلاف الكتابة  فقدم الأمر العظيم ليناسب اللفظ الدال على العظمة وأيضا أراد أن يرتب على كتابة الأعمال قوله (وكل شئ أحصيناه) ومعناه أن قبل هذه الكتابة كتابة أخرى فان الله كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم أنهم فعلوه وفيه بيان أن الكتابة مقرونة بالحفظ والاحصاء فرب مكتوب غير محفوظ ولا مضبوط وفيه تعميم بعد تخصيص كأنه قال ليست الكتابة مختصة بأفعالهم وانما هى لكل شئ والامام اللوح لأن الملائكة يتبعون ما كتب فيه من أجل ورزق وإماتة وإحياء والمبين هو المظهر للأمور والفارق بين أحوال الخلق وحيث بين أن الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه أنه لا يؤمن قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تأس (واضرب) لنفسك ولقومك (مثلا) مثل (أصحاب القرية) وهى انطاكية الروم والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى أهلها وفى قوله (اذ أرسلنا) دلالة على أن رسول الرسول رسول وانه يؤيد مسئلة فقهية وهى أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الأول وكأنه أرسل اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يكتفى بواحد فى الأغلب كمعاذ وغيره فمن هنا يعلم ترجيح هذه الأمة وأما القصة فان عيسى عليه السلام أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنما واسمه حبيب النجار فسألهما فأخبراه فقال ما آيتكما قالا نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير ورفع خبرهما الى الملك فأحضرا فلما سمع قولهما

قال ألنا اله سوى آلهتنا قال لا نعم من أوجدك وآلهتك فحبسهما حتى ينظر في أمرهما فبعث عيسى شمعون وذلك قوله سبحانه (فعززنا بثالث)
من قرأ بالتشديد فمعناه فقوينا الرسولين (١٠) ومن قرأ بالتخفيف فمن العزة أي فغلبنا وقهرنا أهل القرية وانما ترك ذكر المفعول به
لأن الغرض ذكر الثالث فالعناية بذكره أهم وأتم نظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض الذي سيق له الكلام قولك بالحق فلذلك تركت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه وأما باقي القصة فان شمعون دخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون يا أيها الملك ان شئت أن تغلبهما فقل لآلهتك حتى تصنع مثل هذا فقال الملك أنت لا يخفى عليك أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر ولا تعلم وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم فقال شمعون فالحق اذا معهم فآمن الملك وبعض حاشيته وبقي آخرون على الكفر فأهلكوا بالصيحة قال أهل البيان يجب زيادة المؤكدات في الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع فلهذا قال الرسل أولا انا اليكم مرسلون مقتصرين على ان وثانيا (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) مجموعا بين ان واللام وما يجري مجرى القسم
ولا يخفى أن اليمين بعد اظهار البينة وافحام الخصم مؤكد قوي كما مر في أول السورة وفي قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) ما
تسلية لأنفسهم أي نحن خرجنا من عهدة ما علينا ولم يبق الا التفكر منكم والتذكر وحيث أكد الرسل قولهم باليمين أكد الكفار قولهم بالتطير

---

أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين فيكون تأويل الكلام حينئذ ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم الا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره أنه في ضلال وهذا هو أولى وجهيه بتأويله والوجه الآخر أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين فيكون تأويله حينئذ ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين أنطعم من لو يشاء الله أطعمه الا في ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله والبعث بعد الممات يستعجلون ربهم بالعذاب متى هذا الوعد أي الوعد بقيام الساعة ان كنتم صادقين أيها القوم وهذا قولهم لأهل الايمان بالله ورسوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله اياهم الا صيحة واحدة تأخذهم وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الآثار ذكر من قال ذلك وما فيه من الأثر حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف بن أبي جميلة عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال لينفخن في الصور والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى ان الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور وحتى ان الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور وهي التي قال الله ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته والرجل يصلح حوضه والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وتهيج بهم وهم كذلك فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما ينظرون الا صيحة واحدة قال النفخة نفخة واحدة حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع عمن ذكره عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فاذا هم خامدون ثم يميت من بقي فاذا لم يبق الا الله الواحد الصمد بدل الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الاولى

فمن عادة الجهال أن يتيمنوا بكل ما يوافق طباعهم وهواهم ويتشاءموا بما كرهوه وكأنهم قالوا فى الأول كنتم كاذبين وفى الثانى صرتم مصرين على الكذب حالفين بالأيمان الكاذبة التى تدع الديار بلاقع فتشاءمنا بكم ولا نتركم (١١) (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) بالقول أو بالحجارة (وليمسنكم) بعد ذلك أو بسبب الرجم بالحجارة المتوالية الى الموت (عذاب أليم) قالوا طائركم أى سبب شؤمكم (معكم) وهو كفركم ومعاصيكم (أئن ذكرتم) يعنى أتطيرون ان ذكرتم ومن قرأ أين على وزن كيف ذكرتم بالتخفيف فالمراد شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم فضلا عن المكان الذى حللتم فيه ثم ان الرسل كأنهم قالوا لهم أنحن كاذبون أم نحن مشؤمون (بل أنتم قوم مسرفون) فى عصيانكم أوضلالكم فمن ثم أتاكم الشؤم أو تشاءمتم بمن يجب التبرك بهم وقصدتموهم بالسوء (وجاء من أقصى المدينة رجل) هو حبيب النجار الذى مر ذكره نصح قومه فقتلوه وقبره فى سوق انطاكية وقيل كان فى غار يعبد الله عزوجل فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فوثبوا عليه فقتلوه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن أبى طالب رضى الله عنه وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون ومن هنا قالوا انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ولادته وذلك أنه سمع نعته من الكتب والعلماء وتنكير رجل للتعظيم أى رجل كامل فى الرجولية أوليفيد ظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن بهم رجل من الرجال لا معرفة لهم به وكان بعيدا من التواطؤ وقوله (من أقصى المدينة) أيضا يفيد مثل هذا أو أنهم ما قصروا فى التبليغ والانذار حتى بلغ خبرهم القاصى والدانى والسعى بمعنى المشى أو بمعنى القيام فى المهام أى يهتم بشأن المؤمنين ويسعى فى نصرتهم وهدايتهم ونصحهم ثم حثهم على اتباع الرسل ولم يقل اتبعونى كما قال مؤمن آل فرعون اتبعون أهدكم سبيل الرشاد لأنه جاءهم فنصحهم فى أول مجيئه وما رأوا سيرته بعد فقال اتبعوا

ما كان فى بطنها وما كان على ظهرها ما كان على ظهرها * واختلفت القراء فى قراءة قوله وهم يخصمون فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وهم يخصمون بسكون الخاء وتشديد الصاد فجمع بين الساكنين بمعنى يختصمون ثم أدغم التاء فى الصاد فجعلها صادا مشددة وترك الخاء على سكونها فى الأصل وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين وهم يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى يختصمون غير أنهم نقلوا حركة التاء وهى الفتحة التى فى يفتعلون الى الخاء منها فحركوها بتحريكها وأدغموا التاء فى الصاد وشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يخصمون بكسر الخاء وتشديد الصاد فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء فى الصاد وشددوها وقرأ ذلك آخرون منهم يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد بمعنى يفعلون من الخصومة وكأن معنى قارئ ذلك كذلك كأنهم يتكلمون أو يكون معناه عنده كان وهم عند أنفسهم يخصمون من وعدهم مجىء الساعة وقيام القيامة ويغلبونه بالجدل فى ذلك * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن هذه قراآت مشهورات معروفات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب وقوله فلا يستطيعون توصية يقول تعالى ذكره فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ فى الصور أن يوصوا فى أموالهم أحدا ولا الى أهلهم يرجعون يقول ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع اليهم لأنهم لا يمهلون بذلك ولكن يعجلون بالهلاك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يستطيعون توصية أى فيما فى أيديهم ولا الى أهلهم يرجعون قال أعجلوا عن ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة الآية قال هذا مبتدأ يوم القيامة وقرأ فلا يستطيعون توصية حتى بلغ الى ربهم ينسلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ يقول تعالى ذكره ونفخ فى الصور وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول فيه بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ويعنى بهذه النفخة نفخة البعث وقوله فاذا هم من الأجداث يعنى من أجداثهم وهى قبورهم واحدها جدث وفيها لغتان فأما أهل العالية فتقوله بالثاء جدث وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء جدف وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من الأجداث الى ربهم ينسلون يقول من القبور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا هم من الأجداث أى من القبور وقوله الى ربهم ينسلون يقول الى ربهم يخرجون سراعا والنسلان الاسراع فى المشى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ينسلون يقول يخرجون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى ربهم ينسلون أى يخرجون وقوله قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون لما نفخ فى الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم الى أجسامهم وذلك بعد نومة ناموها ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وقد قيل

إن ذلك نومة بين النفختين و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن خيثمة عن الحسن عن أبيّ ابن كعب في قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ناموا نومة قبل البعث حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن رجل يقال له خيثمة في قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ينامون نومة قبل البعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا قول أهل الضلالة والرقدة ما بين النفختين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا قال الكافرون يقولونه و يعني بقوله من مرقدنا هذا من أيقظنا من منامنا وهو من قولهم بعث فلان ناقته فانبعثت اذا أثارها فثارت وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود من أهبنا من مرقدنا هذا وفي قوله هذا وجهان أحدهما أن تكون اشارة الى ما و يكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهي الخبر الأول بقوله من بعثنا من مرقدنا فتكون ما حينئذ مرفوعة بهذا و يكون معنى الكلام هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون والوجه الآخر أن تكون من صفة المرقد وتكون خفضا ردا على المرقد وعندها تمام الخبر عن الأول فيكون معنى الكلام من بعثنا من مرقدنا هذا ثم يبتدئ الكلام فيقال ما وعد الرحمن بمعنى بعثكم وعد الرحمن فتكون ما حينئذ رفعا على هذا المعنى وقد اختلف أهل التأويل في الذي يقول حينئذ هذا ما وعد الرحمن فقال بعضهم يقول ذلك أهل الايمان بالله ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هذا ما وعد الرحمن مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال قال أهل الهدى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون

* وقال آخرون بل كلا القولين أعني يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون من قول الكفار ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قال بعضهم لبعض هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت ونحاسب ونجازى والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل وهو أن يكون من كلام المؤمنين لأن الكفار في قيلهم من بعثنا من مرقدنا دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ولذلك من جهلهم استثبتوا ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك الا من غيرهم ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون يقول تعالى ذكره ان كانت اعادتهم أحياء بعد مماتهم الا صيحة واحدة وهي النفخة الثالثة في الصور فاذا هم جميع لدينا محضرون يقول فاذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا فأشهدوا موقف العرض والحساب لم يتخلف عنه منهم أحد وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم الا صيحة بالنصب والرفع فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى

﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾

يقول تعالى ذكره فاليوم يعني يوم القيامة لا تظلم نفس شيئا كذلك ربنا لا يظلم نفسا شيئا فلا يوفيها

---

هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل وأوضحوا لأجلكم السبيل فقوله (اتبعوا) نصيحة وقوله (المرسلين) اظهار للايمان وقدم النصيحة اظهارا للشفقة وقد روي انه كان يقتل و يقول  اللهم اهد قومي ثم أكد وجوب الاتباع بأنهم في أنفسهم مهتدون ولا ينتفعون أجرا في الدلالة ووجوب اتباع مثل هذا الدليل للذي ضل عن سواء السبيل مركوز في العقول ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه قال الحكيم الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي وقوله (ومالي) اشارة الى عدم المانع من جانبه فان كل امرئ هو أعلم بحال نفسه والمقتضي وان كان مقدما في الوضع والطبع على المانع الا أن المقتضي ههنا لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فقدم عدم المانع لأجل البيان ولهذا لم يقل ومالكم لا تعبدون كيلا يذهب الوهم الى أنه لعله يطلب العلة والبيان وانما ورد في سورة نوح مالكم لا ترجون لله وقارا لأن القائل هناك داع لا مدعو فكأن الرجل قال مالي لا أعبد وقد طلب مني ذلك وفي قوله (واليه ترجعون) بيان الخوف والرجاء ولهذا لم يقل واليه أرجع كأنه جعل نفسه ممن يعبد الله لذاته لا لرغبة أو رهبة ثم أراد كمال التوحيد فقال (أأتخذ من دونه آلهة) فقوله مالي لا أعبد الذي فطرني فيه اقرار بوجود الصانع الفاطر وقوله أأتخذ على سبيل الانكار نفي لغيره ممن يسمى الها وبهما يتم معنى لا اله الا الله ثم عرض على عقولهم جهل عابدي الأصنام أنهم لا يقدرون على دفع ضر ولا على ايصال نفع وقد رتب الكلام فيه على ترتيب ما يجمع بين العقلاء فان الذي يريد أن يدفع الضر عن شخص يقدم على الشفاعة له فان قبلت والا أنقذه أي خلصه بوجه من الوجوه قال بعض المفسرين لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين قال (اني آمنت بربكم) فاسمعوا قولي لتشهدوا لي وانما قال بربكم ولم يقل بربي ليتعين أنه آمن بالرب الذي دعوه اليه وقال أكثرهم الخطاب للكفار وعلى هذا

جزاء عملها الصالح ولا يحمل عليها وزر غيرها ولكنه يوفى كل نفس أجر ما عملت من صالح ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شئ ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون يقول ولا تكافؤن إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا وقوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة فقال بعضهم ذلك افتضاض العذارى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال افتضاض الابكار حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبي عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال افتضاض الابكار حدثني الحسن ابن زريق الطهوي قال ثنا أسباط بن محمد عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبو النضر عن الأشجعي عن وائل بن داود عن سعيد بن المسيب في قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال في افتضاض العذارى * وقال آخرون بل عني بذلك أنهم في نعمة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل قال في نعمة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن أبي سهل عن الحسن في قول الله ان أصحاب الجنة الآية قال شغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم في شغل عما فيه أهل النار ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا أبي عن شعبة عن أبان بن تغلب عن اسمعيل ابن أبي خالد ان أصحاب الجنة الآية قال في شغل عما يلقى أهل النار * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ان أصحاب الجنة وهم أهلها في شغل فاكهون بنعم تأتيهم في شغل وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة وافتضاض أبكار ولهو ولذة وشغل عما يلقى أهل النار وقد اختلفت القراء في قراءة قوله في شغل فقرأت ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه في شغل بضم الشين وتسكين الغين وقد روى عن أبي عمرو الضم في الشين والتسكين في الغين والفتح في الشين والغين جميعا في شغل وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قراء أهل الكوفة في شغل بضم الشين والغين * والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والغين أو بضم الشين وسكون الغين بأي ذلك قرأه القارئ فهو مصيب لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قراء الأمصار مع تقارب معنييهما وأما قراءته بفتح الشين والغين فغير جائزة عندي لاجماع الحجة من القراء على خلافها واختلفوا أيضا في قراءة قوله فاكهون فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار فاكهون بالألف وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤه فكهون بغير ألف * والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف لأن ذلك هو القراءة المعروفة واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فرحون ذكر من قال ذلك

---

فالمراد به بيان التوحيد أي ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وفطركم فاسمعوا قولي وأطيعوني وفي قوله (قيل ادخل الجنة) وجهان أحدهما أنه قتل ثم كأن سائلا سأل كيف تأوّد ربه بعد ذلك التصلب في نصرة الدين حتى بذل مهجته فقيل قيل ادخل الجنة والقائل هو الله سبحانه أو الملائكة بأمره قال جار الله لم يذكر المقول له لانصباب الغرض إلى المقول وعظم شأنه ولأنه معلوم ثم كأن سائلا آخر سأل أي شئ تمنى في الجنة فقيل (قال ياليت قومي يعلمون) وإنما تمنى علم قومه بحاله ليصير ذلك سببا لهم في التوبة والايمان ليفوزوا بما فاز ويؤيده ما روى في حديث مرفوع أنه نصح قومه حيا وميتا ويجوز أن يكون سبب التمني هو أن ينبهوا على خطئهم في أمره وعلى صوابه في رأيه وأن عداوتهم لم تعقبه إلا سعادة وكرامة وثانيهما أن الرسل بشروه وهو حيّ بدخول الجنة فصدقهم وتمنى علم قومه بحاله فيؤمنوا كما آمن وما في قوله بما غفر مصدرية أو موصولة أي بالذي غفر لي من الذنوب أو استفهامية يعني بأي شئ غفر لي أراد ما جرى بينه وبينهم من المصابرة والذب عن الدين إلا أن طرح الألف أجود فقول القائل علمت بم صنعت هذا أحسن من قوله بما صنعت فقوله (غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) بازاء قوله فبشره بمغفرة وأجر كريم ثم أشار إلى كيفية اهلاك قومه بعده قائلا (وما أنزلنا على قومه) قال المفسرون يجوز أن يريد بقومه الذين بقوا من أهل القرية بعد المؤمنين منهم وأن يريد [illegible] فلعل غيرهم من قوم الرسل آمنوا فلم يصبهم العذاب ثم قال (وما كنا منزلين) أي وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء ومن هنا يعلم فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره فقد أنزل الله لأجله الجنود من السماء يوم بدر والخندق وحنين وما أنزلها لغيره من نبي فضلا عن حبيب فشتان بين حبيب الجبار وبين حبيب النجار فالحاصل أنه تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ان انزال الجنود

من عظائم الامور التى لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك فمن قرأ الا صيحة بالنصب أراد ما كانت الأخذة أو العقوبة الا بسبب صيحة
ومن قرأ بالرفع على أن كان التامة فمعناه ما وقعت  الا صيحة قال جار الله القياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع

حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى شغل فاكهون يقول فرحون * وقال آخرون معناه عجبون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاكهون قال عجبون حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فكهون قال عجبون * واختلف أهل العلم بكلام العرب فى ذلك فقال بعض البصريين منهم الفكه الذى يتفكه وقال تقول العرب للرجل الذى يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس ان فلانا لفكه بأعراض الناس قال ومن قرأها فاكهون جعله كثير الفواكه صاحب فاكهة واستشهد لقوله ذلك ببيت الحطيئة

ودعوتنى وزعمت أنـ * ـك لابن بالصيف تامر

أى عنده لبن كثير وتمر كثير وكذلك عاسل ولاحم وشاحم وقال بعض الكوفيين ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون وهذا القول الثانى أشبه بالكلمة * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم﴾ يعنى تعالى بقوله هم أصحاب الجنة وأزواجهم من أهل الجنة فى الجنة كما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هم وأزواجهم فى ظلال قال حلائلهم فى ظلل * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم فى ظلل بمعنى جمع ظلة كما تجمع الحلة حللا وقرأه آخرون فى ظلال واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان أحدهما أن يكون مرادا به جمع الظلل الذى هو بمعنى الكن فيكون معنى الكلمة حينئذ هم وأزواجهم فى كن لا يضحون لشمس كما يضحى لها أهل الدنيا لانه لا شمس فيها والآخر أن يكون مرادا به جمع ظلة فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الحلة فى الكثرة الحلال والقلة قلال وقوله على الأرائك متكئون والارائك هى الحجال فيها السرر والفرش واحدتها أريكة وكان بعضهم يزعم أن كل فراش فأريكة ويستشهد لقوله ذلك بقول ذى الرمة كأنما * تباشرن بالمعزاء مس الأرائك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله على الارائك متكئون قال هى السرر فى الحجال حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن مجاهد فى قول الله على الأرائك متكئون قال الأرائك السرر عليها الحجال حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد فى قوله متكئين على الأرائك قال الأرائك السرر فى الحجال حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن مجاهد فى قوله على الأرائك قال سرر عليها الحجال حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم محمد أن عكرمة قال الأرائك السرر فى الحجال حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن وسأله رجل عن الأرائك قال هى الحجال أهل اليمن يقولون أريكة فلان وسمعت عكرمة وسئل عنها فقال هى الحجال على السرر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة على الأرائك متكئون قال هى الحجال فيها السرر وقوله لهم فيها فاكهة يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة فى الجنة فاكهة ولهم ما يدعون

شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة فى حكم فاعل الفعل قلت يجوز أن يقدر ما حدثت عقوبة وقيل ان التأنيث لتهويل الواقعة ولهذا جاءت أسماء الجنس كلها مؤنثة ووصف الصيحة بواحدة للتأكيد وقرأ ابن مسعود الازقية وهى الصيحة أيضا ومنه المثل أثقل من الزواقى والزقاء صياح الديك ونحوه وذلك لأن صياح الديكة يؤذن بزوال الانس وبتبدل الفراق بالوصال ثم شبه هلاكهم بخمود النار وهو صيرورتها رمادا لأنهم كانوا كالنار الموقدة فى القوة الغضبية حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على من أظهر المعجزة لديهم ثم بين بقوله (يا حسرة) أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون من الملائكة والثقلين أو من الله عز وجل على سبيل الاستعارة وذلك لتعظيم ما صدر من تقصيرهم وبدر من تفريطهم ثم ذكر سبب التحسر بقوله (ما يأتيهم) الآية ثم عجب من حالهم فى عدم الاعتبار بأمثالهم من الامم الخالية وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا التقدير ألم يعلموا القرون الكثيرة المهلكة من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم والبدل بدل اشتمال لهم لأنه حال من أحوال المهلكة أى أهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم والرجوع حسى وهو ظاهر أو معنوى وهو الرجوع بالنسب والولادة أى أهلكناهم وقطعنا نسلهم من قرأ لما بالتشديد فبمعنى
الا وان نافية ومن قرأ بالتخفيف فان مخففة وما صلة تقديره وإن كلهم لمحشورون مجموعون محضرون للحساب يقول
يوم القيامة قال فى الكشاف كيف أخبر عن كل المجموع بجميع وأجاب بأنهما ليسا بواحد بل الكل يفيد الشمول والجميع يفيد الانضمام

يقول ولهم فيها ما يتمنون وذكر عن العرب أنها تقول ادّع علىّ ما شئت أى تمنّ علىّ ما شئت وقوله سلام قولا من رب رحيم فى رفع سلام وجهان فى قول بعض نحويى الكوفة أحدهما أن يكون خبرا لما يدّعون فيكون معنى الكلام ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص واذا وجه معنى الكلام الى ذلك كان القول حينئذ منصوبا توكيدا خارجا من السلام كأنه قيل ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقا كأنه قيل قاله قولا والوجه الثانى أن يكون قوله سلام مرفوعا على المدح بمعنى هو سلام لهم قولا من الله وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله سلاما قولا على أن الخبر متناه عند قوله ولهم ما يدعون ثم نصب سلاما على التوكيد بمعنى مسلما قولا وكان بعض نحويى البصرة يقول انتصب قولا على البدل من اللفظ بالفعل كأنه قال أقول ذلك قولا قال ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله ولهم فيها ما يدّعون * والذى هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظى أن يكون سلام خبرا لقوله ولهم ما يدعون فيكون معنى ذلك ولهم فيها ما يدّعون وذلك هو سلام من الله عليهم بمعنى تسليم من الله ويكون سلام ترجمة عما يدعون ويكون القول خارجا من قوله سلام وانما قلت ذلك أولى بالصواب لما حدثنا به ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى عن حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب يحدّث عمر ابن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشى فى ظلل من الغمام والملائكة فيقف على أول أهل درجة فيسلم عليهم فيردّون عليه السلام وهو فى القرآن سلام قولا من رب رحيم فيقول سلوا فيقولون ما نسألك وعزتك وجلالك لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم فيقول سلوا فيقولون نسألك رضاك فيقول رضائى أحلكم دار كرامتى فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهى قال ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواريها الشمس والقمر فكيف بالمسوّرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يحدّث عمر بن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل فى ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردّون عليه السلام قال القرظى وهذا فى كتاب الله سلام قولا من رب رحيم فيقول سلونى فيقولون ماذا نسألك أى رب قال بل سلونى قالوا نسألك أى رب رضاك قال رضائى أحلكم دار كرامتى قالوا يا رب وما الذى نسألك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيأ قال ان لدىّ مزيدا قال فيفعل الله ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله تحملها اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا أبو عبد الرحمن قال ثنا حرملة قال ثنا سليمن بن حميد أنه سمع محمد بن كعب القرظى يحدّث عمر بن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشى فى ظلل من الغمام ويقف قال ثم ذكر نحوه الا أنه قال فيقولون فماذا نسألك يا رب فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين الجن والانس لأطعمناهم ولسقيناهم ولأخدمناهم من غير أن ينتقص ذلك شيأ مما عندنا قال بلى فسلونى قالوا نسألك رضاك قال رضائى أحلكم دار كرامتى فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهى الى مجلسه وسائر الحديث مثله فهذا القول الذى قاله محمد بن كعب ينبئ عن أن سلام بيان عن قوله ما يدعون وأن القول خارج من

وأن المحشر يجمعهم ويحتمل أن يقال الغرض وصف الجميع بالاحضار كقولك الرجل رجل عالم والنبى نبىّ مرسل ثم ذكر البرهان على الحشر وعلى التوحيد أينما مع تعداد النعم وتذكيرها قائلا (وآية لهم الأرض الميتة) قال المحققون انما قال لهم لأن الأرض ليست آية للنبى ولغيره من أهل الاخلاص الذين هم بالله عرفوا الله قبل النظر الى الارض والسماء كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقوله (أحييناها) استئناف بيانا لكونها آية وكذلك نسلخ ويجوز أن يكونا وصفين على قياس

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى *

وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الجار للدلالة على أن الحب هو معظم قوت الانسان وبه قوام معاشه عادة فنفس الارض آية فانها مهدهم الذى فيه تحريكهم واستكنانهم والامر الضرورى الذى عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة أولم تكن فهى مكان لهم ثم احياؤها مخضرة نعمة ثانية فانها أحسن وأنزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم اذا كان فى مكانهم كان أجمع للقوّة والفراغ ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة موجبة للتفكه وسعة العيش ثم تفجير العيون فيها نعمة خامسة لان ماء السماء لا يحصل الوثوق بنزوله فى كل حين فذلك كالشئ المدخر القريب التناول والضمير فى قوله (من ثمره) يعود الى الله وفائدة الالتفات أن الثمار بعد وجود الأشجار وجريان الانهار لا توجد الا بتخليق الملك الجبار ويحتمل أن يعود الى المذكور وهو الجنات أو الى التحصيل ومن ذكر الاعناب لان حكمه حكم النخيل وقيل الى التفجير المدلول عليه بسياق الكلام أى ليأكلوا من فوائد التفجير وهو أعم من الثمار ويشمل جميع ما ذكره فى قوله أنا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وأبا قوله (وما عملت) من قرأ بغير هاء الضمير فما موصولة أو مصدرية أى ليأكلوا من ثمر الله ومن ثمر ما عملته أو من ثمر عمل أيديهم أو نافية فيكون اشارة الى أن الثمر خلق الله

ولم تعمله ايدى الناس ولا يقدرون عليه ومن قرا مع الضمير فما موصولة والضمير لها او نافية والضمير للتفجير او المذكور ومعنى عمل الايدى ما يتكابده الناس من الحرث والسق وغير ذلك هذا اذا جعلت ما موصولة فان كانت نافية فالمراد الايجاد والخلق وقيل

السلام وقوله من رب رحيم يعنى رحيم بهم اذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴾ يعنى بقوله وامتازوا تميزوا وهى افتعلوا من ماز يميز فعل يفعل ومنه امتاز يمتاز امتيازا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وامتازوا اليوم أيها المجرمون قال عزلوا عن كل خير حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان الآية الى قوله هذه جهنم التى كنتم توعدون امتازوا اليوم أيها المجرمون فيتميز الناس ويجثون وهى قول الله وترى كل أمة جاثية فتأويل الكلام اذا وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله فانكم واردون غير موردهم وداخلون غير مدخلهم وقوله ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه وهو ثم يقال ألم أعهد اليكم يا بنى آدم يقول ألم أوصكم وآمركم فى الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه فى معصية الله انه لكم عدو مبين يقول وأقول لكم ان الشيطان لكم عدو مبين قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم حسدا منه له على ما كان الله أعطاه من الكرامة وغروره اياه حتى أخرجه وزوجته من الجنة وقوله وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم يقول وألم أعهد اليكم أن اعبدونى دون كل ما سواى من الآلهة والأنداد واياى فأطيعوا فان اخلاص عبادتى وافراد طاعتى ومعصية الشيطان هو الدين الصحيح والطريق المستقيم

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتى وافرادى بالألوهة حتى عبدوه واتخذوا من دونى آلهة يعبدونها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد أضل منكم جبلا قال خلقا واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام وكان بعض المكيين وعامة قراء الكوفة يقرؤنه جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وكان بعض قراء البصرة يقرؤه جبلا بضم الجيم وتسكين الباء وكل هذه لغات معروفات غير أنى لا أحب القراءة فى ذلك الا باحدى القراءتين اللتين احداهما بكسر الجيم وتشديد اللام والأخرى ضم الجيم والباء وتخفيف اللام لان ذلك هو القراءة التى عليها عامة قراء الامصار وقوله أفلم تكونوا تعقلون يقول أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون اذ أطعتم الشيطان فى عبادة غير الله أنه لا ينبغى لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله وتعبدوا غير الله وقوله هذه جهنم التى كنتم توعدون يقول هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله فكنتم بها تكذبون وقيل ان جهنم أول باب من أبواب النار وقوله اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون يقول احترقوا بها اليوم وردوها يعنى باليوم يوم القيامة بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدونها

عمل الايدى التجارة وقيل الطبخ ونحوه ثم نزه نفسه بقوله (سبحان الذى خلق الأزواج) أى الاصناف والمراد بقوله (ومما لا يعلمون) أزواج لم يطلع الله الانسان عليها بطريق من طرق المعرفة وما يعلم جنود ربك الا هو فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين قالت الاشاعرة فيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله لان أفعالهم أعراض وهى داخلة تحت الاجناس وقوله (مما تنبت) لا يخرجه عن العموم لان البيان متعدد نظيره قول القائل أعطيته كل شئ من الثياب والدواب والعبيد فانه يفهم أن تعديد الأصناف لتأكيد العموم يؤيده قوله فى حم الذى خلق الأزواج كلها من غير تقييد وحين فرغ من الاستدلال بالمكان شرع فى الاستدلال بالزمان ومعنى سلخ النهار من الليل تميزه منه قال جار الله أصله من سلخ جلد الشاة اذا أزاله عنها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وموضع القاء ظله ومعنى (مظلمون) داخلون فى الظلام أى لابد لهم أن يدخلوا فى الظلام اذ زال ولا يقدرون على دفعه وفيه أن الليل كعرض أصلى يطرأ عليه النور تارة و يزول عنه أخرى ثم كان لجاهل أن يقول سلخ النهار انما هو بغروب الشمس فلا جرم قال (والشمس تجرى لمستقر) أى لحد [illegible] تنتهى اليه من فلكها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره الا أن المسافر له قرار بعد ذلك وهذه لا قرار لها بعد الحصول فى ذلك الحد ولكنها تستأنف الحركة منه وهو أول الحمل أو أحد الخافقين أو احدى الغايتين فى تصاعدها فلك نصف النهار وتنازلها أو غير ذلك من الاعتبارات وقيل أراد بالمستقر بيتها وهو الاسد وقيل أراد لجرى مستقرها وهو فلكها وقيل هو الدائرة

التي عليها ركتها الخاصة وقال الحكيم اراد لأمر لو وجده لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وقيل أراد الوقت الذي ينقطع جريها وهو يوم القيامة وقيل انه اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كأنه قال ان الشمس (١٧) تجري فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار لمنافعه وعلى هذا فالمستقر هو أفق الغرب خاصة (ذلك) الجري على الوجوه المذكورة (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بمبادئ الأمور وغاياتها ثم ذكر أمر سير القمر وقد مر في أول سورة يونس في قوله وقدره منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وهو فعلون من الانعراج الانعطاف قاله الزجاج والقديم ما تقادم عهده ويختلف بحسب الاعيان فلا يقال لمدينة بنيت من سنة وسنتين هي قديمة وقد يقال نبت قديم وان لم يكن له سنة واطلاق القديم على العالم لا يعتاد لانه موهم الا عند من يعتقد أنه لا أول له وقال في الكشاف القديم المحول وهو أول ما يوصف بالقدم فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول وأكثر واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه (١) انقراض الشهر به من الوجوه الثلاثة ثم بين أن لكل واحد من النيرين حركة مقدرة وسلطانا على حياله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) لتباطؤ سيرها عن سيره (ولا الليل) أي ولا تسبق آية الليل وهو القمر آية النهار وهي الشمس أي لا يداخل القمر الشمس في سلطانها وقيل أراد أن الليل لا يدخل في وقت النهار وقيل انه اشارة الى الحركة اليومية التي بها يحدث الليل والنهار والمراد أن القمر لا يسبق الشمس بهذه الحركة لانها تشملهما على السواء وهكذا جميع الكواكب فلا يقع بسببها تقدم ولا تأخر ولهذا لم يقل يسبق على قياس تدرك أي ليس من شأنه السبق اذ الكواكب كأنها كلها ساكنة بهذه الحركة

تجحدونها في الدنيا وتكذبون بها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله اليوم نختم على أفواههم اليوم نطبع على أفواه المشركين وذلك يوم القيامة وتكلمنا أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي الله وتشهد أرجلهم قيل ان الذي ينطق من أرجلهم أفخاذهم من الرجل اليسرى بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله له ذنوبه ويستره منها فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيأ وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته فاذا فعل ذلك ختم على فيه قال الأشعري فاني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى ثم تلا اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون حدثنا أبو كريب قال ثني يحيى عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن الشعبي قال يقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا فيقول ما عملت فيختم على فيه وتنطق جوارحه فيقول لجوارحه أبعدكن الله ما خاصمت الا فيكن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليوم نختم على أفواههم الآية قال قد كانت خصومات وكلام فكان هذا آخره وختم على أفواههم حدثني محمد بن عوف الطائي قال ثنا ابن المبارك عن ابن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول شيء يتكلم من الانسان يوم يختم الله على الأفواه فخذه من رجله اليسرى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فقال بعضهم معنى ذلك ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى وأضللناهم عن قصد المحجة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم يقول أضللتهم وأعميتهم عن الهدى * وقال آخرون معنى ذلك ولو نشاء لتركناهم عميا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون قال لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون يقول لو شئنا لتركناهم عميا يترددون وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام لأن الله انما تهدد به قوما كفارا فلا وجه لان يقال وهم كفار لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم ولكنه قال لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا ولا يهتدون له والطمس على العين هو أن لا يكون بين



(١) في العبارة زيادة مضرة وفي الكشاف وغيره فشبه (أي القمر) به الخ فتأمل كتبه مصححه

وأقول يحتمل أن يراد لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا القمر ينبغي أن يتخلف فحذف احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم
الحر وكذا الكلام في قوله ولا الليل سابق النهار  أراد ولا النهار سابق الليل أي لا يدخل شيء منهما في غير وقته سلمنا أن المراد
بالليل والنهار آيتهما لكنه يمكن أن يقال انه اشارة الى الحركة الدورية لانه لما قال ان الشمس لبطء سيرها لا تدرك القمر فهم منه أن القمر يسبق الشمس بحركته فأشار الى أن هذا السبق ليس على قياس المتحركات على الاستقامة ولكنه سبق هو بعينه موجب للقرب وهذا معنى قول أهل الهيئة ان الكوكب هارب عن نقطة ما طالب لها بعينه وأما قوله (وكل في فلك يسبحون) فقد مر تفسيره في سورة الانبياء ولما بين ما هو كالضروري لوجود الانسان من المكان والزمان وما يتبعه ويسبقه شرع في تقرير ما هو نافع لهم في أحوال المعاش قال بعض المفسرين أراد بحمل الذرية حمل آبائهم وهم في أصلابهم والفلك فلك نوح ومثله هو ما يركبون الآن عليه من السفن والزوارق قال جار الله وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ولولا ذلك لما بقي للآدمي نسل ومن فوائد ذكر الذرية أن من الناس من لا يركب السفينة طول عمره ولكنه في ذريته من يركبها غالبا وذهب آخرون الى أن المراد حمل أولادهم ومن يهمهم حمله كالنساء وقد يقع اسم الذرية عليهن لانهن مزارع الاولاد في الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء فكأنه قيل ان كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهمكم أمره
وعلى هذا يكون قوله (وخلقنا لهم) الى آخره اعتراضا ومثل الفلك ما يركبون من الابل لانها سفائن البر وفي وصف الفلك أنهما
بالمشحون مزيد تقرير للقدرة والنعمة فان الفلك اذا كان خاليا كان خفيفا لا يرسب في الماء بالطبع ثم ذكر ما يؤكد كونه فاعلا مختارا قائلا

جفني العين غز وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس وطميس وقوله فاستبقوا الصراط يقول فابتدروا الطريق كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاستبقوا الصراط قال الطريق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستبقوا الصراط أي الطريق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاستبقوا الصراط قال الصراط الطريق وقوله فأنى يبصرون يقول فأي وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق وقد طمسنا على أعينهم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم * وقال الذين وجهوا تأويل قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الى أنه معني به العمى عن الهدى تأويل قوله فأنى يبصرون فأنى يهتدون للحق ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فأنى يبصرون يقول فكيف يهتدون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فأنى يبصرون يقول لا يبصرون الحق وقوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يقول تعالى ذكره ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا أن يرجعوا وراءهم * وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم قال لو نشاء لأقعدناكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي لأقعدناهم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا * وقال آخرون بل معنى ذلك ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم والمكانة والمكان بمعنى واحد وقد بينا ذلك فيما مضى قبل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمره فنمد له في العمر ننكسه في الخلق يقول نرده الى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر وذلك هو النكس في الخلق فيصير لا يعلم شيئا بعد العلم الذي كان يعلمه وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن نعمره ننكسه في الخلق يقول من نمد له في العمر ننكسه في الخلق لكيلا يعلم بعد علم شيئا يعني الهرم واختلفت القراء في قراءة قوله ننكسه فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ننكسه بفتح النون الأولى وتسكين الثانية وقرأته عامة قراء الكوفة ننكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف * والصواب من القول في ذلك

(وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) وهو مصدر او صفة أى لا اغاثة أولا مغيث وقوله (الا رحمة) اشارة الى أن الانقاذ رحمة بالنسبة الى المؤمن ومتاع الى حلول الاجل بالاضافة الى الكافر أو المراد أن أحدا لا يتخلص من الموت



وان سلم من الآفات ولله در القائل

ولم أسلم لكى ابقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن التى عليها عامة قراء الكوفيين أعجب الىّ لأن التنكيس من الله فى الخلق انما هو حال بعد حال وشئ بعد شئ فذلك تأييد للتشديد وكذلك اختلفوا فى قراءة قوله أفلا يعقلون فقرأته قراء المدينة أفلا تعقلون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته قراء الكوفة بالياء على الخبر وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاخراج ذلك خبرا على نحو ما خرج قوله لطمسنا على أعينهم أعجب الىّ وان كان الآخر غير مدفوع ويعنى تعالى ذكره بقوله أفلا يعقلون أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر الى كبر ومن تنكيس بعد كبر فى هرم وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له يقول تعالى ذكره وما علمنا محمدا الشعر وما ينبغى له أن يكون شاعرا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له قال قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير أنه كان يتمثل ببيت أخى بنى قيس فيجعل آخره أوله وأوله آخره فقال له أبو بكر انه ليس هكذا فقال نبى الله انى والله ما أنا بشاعر ولا ينبغى لى وقوله ان هو الا ذكر يقول تعالى ذكره ما هو الا ذكر يعنى بقوله ان هو أى محمد الا ذكر لكم أيها الناس ذكركم الله بارساله اياه اليكم ونبهكم به على حظكم وقرآن مبين يقول وهذا الذى جاءكم به محمد قرآن مبين يقول يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله أنزله الى محمد وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال هذا القرآن وقوله لينذر من كان حيا يقول ان محمد الا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حىّ القلب يعقل ما يقال له ويفهم ما يبين له غير ميت الفؤاد بليد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن رجل عن أبى روق عن الضحاك فى قوله لينذر من كان حيا قال من كان عاقلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لينذر من كان حيا حىّ القلب حىّ البصر وقوله ويحق القول على الكافرين يقول ويجب العذاب على أهل الكفر بالله المولين عن اتباعه المعرضين عما أتاهم به من عند الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويحق القول على الكافرين بأعمالهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يرهؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا يقول مما خلقنا من الخلق أنعاما وهى المواشى التى خلقها الله لبنى آدم فسخرها لهم من الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون يقول فهم لها مصرّفون كيف شاؤا بالقهر منهم لها والضبط كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهم لها مالكون أى ضابطون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون فقيل له أهى الابل فقال نعم قال والبقر من الأنعام وليست بداخلة فى هذه الآية قال والابل والبقر والغنم من الأنعام وقرأ ثمانية أزواج قال والبقر والابل هى النعم وليست تدخل الشاء فى النعم وقوله وذللناها لهم يقول وذللنا هذه الانعام لهم

التأويل يس اشارة الى أنه بلغ فى السيادة مبلغا لم يبلغه أحد من المرسلين تنزيل العزيز الرحيم فيه أنه لعزته لا يحتاج الى تنزيل القرآن ولكن رحمته اقتضت ذلك نحيى القلوب الموتى ونكتب ما قدموا من الانفاس المتصاعدة ندما وشوقا وآثار خطا أقدام صدقهم وآثار دموعهم على خدودهم أصحاب القرية القلوب اذ أرسلنا اليهم اثنين من الخواطر الرحمانية والالهامات الربانية بالتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود فكذبوهما النفس وصفاتها فعززنا بثالث من الجذبة انا تطيرنا بكم لأن النفس وصفاتها لا يوافقهما ما يدعو الالهام والجذبة اليه طائركم معكم لأن النفس خلقت من العدم على خاصيتها المشؤمة رجل يسعى هو الروح المشتاق الى لقاء الحق لا يسألكم أجرا لأنه لا شرب له من مشاربكم قيل ادخل الجنة وهى عالم الارواح وهو كقوله يا أيتها النفس المطمئنة الى قوله وادخلى جنتى على قومه من بعده أى بعد رجوع الروح الى الحضرة ما أنزل الى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لأنهم لا يقدرون على النفس وصفاتها واصلاح حالها فان صلاحها فى موتها والمميت هو الله صيحة واحدة من وارد حق فاذا هم يعنى النفس وصفاتها خامدون ميتون عن انانيته بهويته ألم يروا كم أهلكنا فيه اشارة الى أن هذه الامة خير الامم شكى معهم من كل أمة وما شكى الى أحد من غيرهم شكايتهم وآية لهم القلوب الميتة أحييناها بالطاعة ونخيل الاذكار وأعناب الأشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات خلق الازواج من الآباء العلوية

والامهات السفلية مما تنبت أرض البشرية بازدواج الكاف والنون ومن أنفسهم بازدواج الروح والقلب ومما لا يعلمون من تأثير العناية في قلوب المخلصين مما لا عين رأت  ولا أذن سمعت وآية لهم ليل البشرية نسلخ منه نهار الروحانية فاذا هم مظلمون بظلمة الخليقة فان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وشمس نور الله تجري لمستقر لها وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله وقمر القلب قدرناه ثمانية وعشرين منزلا على حسب حروف القرآن وأسماؤها الالفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والظمأ والعشق والعزة والفتوة والقربة والكرم واللين والمروءة والنور والولاية والهداية واليقين فاذا قطع كل المنازل فقد تخلق بخلق القرآن ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو آخر المنازل والمقامات فان السالك يألف الحق أولا ثم يتوب فيثبت على ذلك حتى تحصل له الجمعية وعلى هذا يعبر المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق الى أن يتلاشى و يخفى وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله الفقر فخري ثم أشار بقوله لا الشمس ينبغي لها الى أن الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا ثم ذكر أن العوام محمولون في سفينة الشريعة والخواص في بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحة أرباب الطريقة ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ وان نشأ نغرق العوام في بحر الدنيا والرخص والخواص في بحر الشبهات والاباحة ﴿ واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين

فمنها ركوبهم يقول فمنها ما يركبون كالابل يسافرون عليها يقال هذه دابة ركوب والركوب بالضم هو الفعل ومنها يأكلون لحومها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذللناها لهم فمنها ركوبهم يركبونها يسافرون عليها ومنها يأكلون لحومها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يقول تعالى ذكره ولهم في هذه الأنعام منافع وذلك منافعهم في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا ومن جلودها أكنانا ومشارب يشربون ألبانها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولهم فيها منافع يلبسون أصوافها ومشارب يشربون ألبانها وقوله أفلا يشكرون يقول أفلا يشكرون نعمتي هذه واحساني اليهم بطاعتي وافراد الالوهية لي والعبادة وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام قوله واتخذوا من دون الله آلهة يقول واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها لعلهم ينصرون يقول طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ يقول تعالى ذكره لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله ان أراد بهم سوأ ولا تدفع عنهم ضرا وقوله وهم لهم جند محضرون يقول وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله محضرون وأين حضورهم اياهم فقال بعضهم عني بذلك وهم لهم جند محضرون عند الحساب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وهم لهم جند محضرون قال عند الحساب * وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يستطيعون نصرهم الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم سوأ انما هي أصنام وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه فكيف يكونون لها جندا حينئذ ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم ويقاتلون دونهم وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك انك شاعر وما جئتنا به شعر ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك وقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون يقول تعالى ذكره انا نعلم أن الذي يدعوهم الى قيل ذلك الحسد وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر ولا يشبه الشعر وأنك لست بكذاب فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم اليه وما يعلنون من جحود ذلك بألسنتهم علانية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ يقول تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه واختلف في الانسان الذي عني بقوله أولم ير الانسان فقال بعضهم عني به أبي بن خلف ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة قال ثنا

عبيد

ويقولون متى هـذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا  من بعثنا من مرقدنا هـذا ما وعد الرحمن

وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هـذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى

عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله من يحيى العظام وهى رميم قال أبى بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وضرب لنا مثلا أبى بن خلف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال من يحيى العظام وهى رميم ذكر لنا أن أبى بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته ثم ذراه فى الريح ثم قال يا محمد من يحيى هـذا وهو رميم قال الله يحييه ثم يميته ثم يدخلك النار قال فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد * وقال آخرون بل عنى به العاص بن وائل السهمى ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال جاء العاص بن وائل السهمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بين يديه فقال يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أرم قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال ونزلت الآيات أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين الى آخر الآية * وقال آخرون بل عنى به عبد الله بن أبى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الى قوله وهى رميم قال جاء عبد الله بن أبى الى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فكسره بيده ثم قال يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله هـذا ويميتك ثم يدخلك جهنم فقال الله قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم فتأويل الكلام اذا أولم ير هذا الانسان الذى يقول من يحيى العظام وهى رميم أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقا سويا فاذا هو خصيم يقول فاذا هو ذو خصومة لربه يخاصمه فيما قال له ربه انى فاعل وذلك إخبار الله اياه أنه محيى خلقه بعد مماتهم فيقول من يحيى هـذه العظام وهى رميم انكارا منه لقدرة الله على احيائها وقوله مبين يقول يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذى خلقه وقوله وضرب لنا مثلا ونسى خلقه يقول ومثل لنا شبها بقوله من يحيى العظام وهى رميم اذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد يقول فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ونسى خلقه يقول ونسى خلقنا اياه كيف خلقناه وأنه لم يكن الا نطفة فجعلناها خلقا سويا ناطقا يقول فلم يفكر فى خلقناه فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء والعظام الرميم بشرا كهيئتهم التى كانوا بها قبل الفناء يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهـذا المشرك القائل لك من يحيى العظام وهى رميم يحييها الذى أنشأها أول مرة يقول يحييها الذى ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيأ وهو بكل شئ عليم يقول وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت وكيف يحيى وكيف يبدئ وكيف يعيد لا يخفى عليه شئ من أمر خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾ يقول تعالى ذكره قل يحييها الذى أنشأها أول مرة الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا يقول الذى أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر لا يمتنع عليه فعل ما أراد

ولا يعجز عن إحياء العظام التى قد رمت وإعادتها بشرا سويا وخلقا جديدا كما بدأ أول مرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه قوله فاذا أنتم منه توقدون يقول فاذا أنتم من الشجر توقدون النار وقال منه والهاء من ذكر الشجر ولم يقل منها والشجر جمع شجرة لانه خرج مخرج الثمر والحصى ولو قيل منها كان صوابا أيضا لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه وقوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذى قال من يحيى العظام وهى رميم على خطا قوله وعظيم جهله أوليس الذى خلق السموات السبع والارض بقادر على أن يخلق مثلكم فان خالق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والارض يقول فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه إحياء العظام من بعد ما قدرمت وبليت وقوله بلى وهو الخلاق العليم يقول بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد العليم بكل ما خلق ويخلق لا يخفى عليه خافية ﴿ ﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره انما أمر الله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم قال هذا مثل انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال ليس من كلام العرب شئ هو أخف من ذلك ولا أهون فأمر الله كذلك وقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ يقول تعالى ذكره فتنزيه الذى بيده ملك كل شئ وخزائنه وقوله واليه ترجعون يقول واليه تردون وتصيرون من بعد مماتكم

آخر تفسير سورة يس

## ﴿تفسير سورة الصافات﴾

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ ﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا﴾ «قال أبو جعفر» أقسم الله تعالى ذكره بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا فأما الصافات فانها الملائكة الصافات لربها فى السماء وهى جمع صافة فالصافات جمع جمع وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم قال كان مسروق يقول فى الصافات هى الملائكة حدثنا اسحق بن أبى اسرائيل قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن سليمن قال سمعت أبا الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والصافات صفا قال قسم أقسم الله بخلق

نقل حركتها الى الخاء وقرأ أبو جعفر ونافع غير ورش بسكون الخاء وقرأ أبو عمرو باشمام الفتحة قليلا وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من الخصم ثلاثيا الباقون بكسر الخاء للاتباع وتشديد الصاد وروى خلف عن يحيى بكسر الياء والخاء والتشديد شغل بضمتين عاصم وخلف وابن عامر ويزيد ويعقوب فكهون وبابه بغير ألف يزيد ظلل بضم الظاء وفتح اللام حمزة وعلى وخلف على أنه جمع ظلة الآخرون ظلال جمع ظل جبلا بضم الجيم وسكون الباء ابن عامر وأبو عمرو وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل بكسرتين واللام مشددة وقرأ يعقوب بضمتين والتشديد والباقون بضمتين والتخفيف ننكسه مشددا حمزة وعاصم غير مفضل الآخرون بالتخفيف من النكس تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب لتنذر على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب يقدر على صيغة المضارع يعقوب كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلى ﴿ ﴾ الوقوف ترحمون ه معرضين ه رزقكم الله لا لأن ما بعده جواب اذا أطعمه لا كذلك لاتحاد المقول ولئلا يبتدأ بما لا يقوله مسلم وجوز جار الله ان يكون قوله ان أنتم الا ... الله أو حكاية قول المؤمنين لهم فالوقف جائز مبين ه صادقين ه يخصمون ه يرجعون ه ينسلون ه مرقدنا ه لئلا يوهم أن هذا صفة وما بعده

لانه من المحتمل أن يكون سلام خبر محذوف أى عليهم سلام يقول قولا وأن يكون سلام بدل مايدعون أى لهم مايتمنون وهو سلام سلام
ط ج لحق الحذف رحيم ٥ المجرمون ٥ الشيطان ج لان التقدير  فانه مبين ٥ لا للعطف اعبدونى ج

ثم خلق ثم خلق والصافات الملائكة صفوفا فى السماء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله والصافات قال هم الملائكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والصافات صفا قال هذا قسم أقسم الله به واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فالزاجرات زجرا فقال بعضهم هى الملائكة تزجر السحاب تسوقه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فالزاجرات زجرا قال الملائكة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فالزاجرات زجرا قال هم الملائكة * وقال آخرون بل ذلك آى القرآن التى زجر الله بها عما زجر بها عنه فى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالزاجرات زجرا قال ما زجر الله عنه فى القرآن والذى هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ومن قال هم الملائكة لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون باجماع من أهل التأويل فلأن يكون الذى بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه وقوله فالتاليات ذكرا يقول فالقارئات كتابا واختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك فقال بعضهم هم الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فالتاليات ذكرا قال الملائكة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فالتاليات ذكرا قال هم الملائكة * وقال آخرون هو ما يتلى فى القرآن من أخبار الامم قبلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فالتاليات ذكرا قال ما يتلى عليكم فى القرآن من أخبار الناس والامم قبلكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن إلهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الامن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ان إلهكم لواحد والصافات صفا ان معبودكم الذى يستوجب عليكم أيها الناس العبادة واخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثانى له ولا شريك يقول فله فأخلصوا العبادة واياه فأفردوا بالطاعة ولا تجعلوا له فى عبادتكم اياه شريكا وقوله رب السموات والارض وما بينهما يقول هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق ومالك ذلك كله والقيم على جميع ذلك يقول فالعبادة لا تصلح الا لمن هذه صفته فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه فى عبادتكم اياه من لا يضر ولا ينفع ولا يخلق شيأ ولا يفنيه واختلف أهل العربية فى وجه رفع رب السموات فقال بعض نحويى البصرة رفع على معنى ان إلهكم لرب وقال غيره هو رد على ان إلهكم لواحد ثم فسر الواحد فقال رب السموات وهو رد على واحد وهذا القول عندى أشبه بالصواب فى ذلك لان الخبر هو قوله لواحد وقوله رب السموات ترجمة عنه وبيان مردود على اعرابه وقوله ورب المشارق يقول ومدبر مشارق الشمس فى الشتاء والصيف ومغاربها والقيم على ذلك ومصلحه وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه

مستقيم ٥ كثيرا ٥ تعقلون ٥ توعدون ٥ تكفرون ٥ يكسبون ٥ يبصرون ٥ يرجعون ٥ فى الخلق ط يعقلون ٥ له ج مبين ٥ الكافرين ٥ مالكون ٥ يأكلون ٥ ومشارب ٥ يشكرون ٥ ينصرون ج نصرهم لا لان الواو للحال محضرون ٥ قولهم ٥ لئلا يوهم أن ما بعده مقول الكفار يعلنون ٥ مبين ٥ خلقه ط رميم ٥ مرة ط عليم ٥ لا لان الذى بدل توقدون ٥ مثلهم ط لانتهاء الاستفهام العليم ٥ فيكون ٥ ترجعون ٥ ۞ التفسير لما بين الآيات المذكورة حكى أنهم فى غاية الجهالة ونهاية الضلالة لا مثل العلماء الذين يتبعون البرهان ولا كالعوام الذين يبنون أمورهم على الاحوط اذا أنذرهم منذر انتهوا عن ارتكاب المنهى خوفا من تبعته وطمعا فى منفعته واليه الاشارة بقوله (لعلكم ترحمون) أى فى ظنكم فان الذى لا تفيده الآيات يقينا فلا أقل من أن يحترز من العذاب ويرجو الثواب أخذا بطريقة الاحتياط ونظير الآية ما مر فى أول سورة سبا أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد أراد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من وقائع الامم وما خلفكم أى من أمر الساعة وقيل ما بين أيديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها أو ما بين أيديكم
من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندهم وما خلفكم من أمر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والحشر رحمكم
الله أو ما بين أيديكم من أنواع العذاب كالحرق والغرق المدلول عليه بقوله وان نشأ نغرقهم وما خلفكم الموت الطالب لكم يدل على قوله

ومتاعا الى حين وجواب اذا محذوف وهو لا يتقون أو يعرضون يدل عليه ما بعده مع زيادة فائدة هي دأبهم الاعراض عند كل آية ويحتمل أن يكون قوله وما تأتيهم متعلقا



بما قبله وهو قوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون

واستغنى بذكر المشارق من ذكرها اذ كان معلوما أن معها المغارب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الهكم لواحد وقع القسم على هذا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق قال مشارق الشمس في الشتاء والصيف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله رب المشارق قال المشارق ستون وثلاثمائة مشرق والمغارب مثلها عدد أيام السنة وقوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اختلفت القراء في قراءة قوله بزينة الكواكب فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب باضافة الزينة الى الكواكب وخفض الكواكب انا زينا السماء الدنيا التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا اليكم بتزيينها الكواكب أي بأن زينتها الكواكب وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة بزينة الكواكب بتنوين زينة وخفض الكواكب ردا لها على الزينة بمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب كأنه قال زيناها بالكواكب وروي عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب بمعنى انا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا اذا نونت الزينة لم يكن لحنا وكان صوابا في العربية وكان معناه انا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر فجائز توجيهها الى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية وأما القراءة فأعجبها الي باضافة الزينة الى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية وأنها قراءة أكثر قراء الامصار وان كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا فأما النصب في الكواكب والرفع فلا أستجيز القراءة بهما لاجماع الحجة من القراء على خلافهما وان كان لهما في الاعراب والمعنى وجه صحيح وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك اذا أضيفت الزينة الى الكواكب فكان بعض نحويي البصرة يقول اذا قرئ ذلك كذلك فليس يعني بعضها ولكن زينتها حسنها وكان غيره يقول معنى ذلك اذا قرئ كذلك انا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب وقد بينا الصواب في ذلك عندنا وقوله وحفظا يقول تعالى ذكره وحفظا للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله وحفظا فقال بعض نحويي البصرة قال وحفظا لانه بدل من اللفظ بالفعل كأنه قال وحفظناها حفظا وقال بعض نحويي الكوفة انما هو من صلة التزيين انا زينا السماء الدنيا حفظا لها فأدخل الواو على التكرير أي وزيناها حفظا لها فجعله من التزيين وقد بينا القول فيه عندنا وتأويل الكلام وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحفظا يقول جعلتها حفظا من كل شيطان مارد وقوله لا يسمعون الى الملا الأعلى اختلفت القراء في قراءة قوله لا يسمعون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لا يسمعون بتخفيف السين من يسمعون بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون بمعنى لا يتسمعون ثم أدغموا التاء في السين فشددوها * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لان الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه أن الشياطين

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وقوله ألم يروا الى قوله لعلكم ترحمون اعتراض ثم اشار الى أنهم كما يخلون بجانب التعظيم لأمر الله حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا يخلون بجانب الشفقة على خلق الله ولا ينفقون اذا أمروا بالانفاق على أنهم خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والاشفاق فان أدنى الانقياد الاتقاء من العذاب وأدنى الاشفاق هو انفاق بعض ما في التصرف من مال الله فأين هم من معشر أقبلوا بالكلية على الله وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي قوله (مما رزقكم الله) اشارة الى أن الله تعالى قادر على اغناء الفقير واعطائه ولكنه جعل الغني واسطة في الانفاق على الفقير فالسعيد من عرف حق التوسيط وانتهز فرصة الامكان وعلم أن الانفاق سبب للبركة في الحال ومجلبة للثواب في المآل وقوله (قال الذين كفروا) دون أن يقول قالوا تسجيل عليهم بالكفر وقوله (للذين آمنوا) مزيد تصوير لجهالتهم حين قالوا لهؤلاء الاشراف ما قالوا وقوله (أنطعم) دون أنفق اظهار لغاية خستهم فان الاطعام أدون من الانفاق ومن بخل بالأدون فهو بأن يبخل بالأكثر أولى وقوله (من لو يشاء الله أطعمه) كلام في نفسه حسن لكنهم ذكروه في معرض الدفع فلهذا استوجبوا الذم وقد بين الله خطأهم بقوله مما رزقكم الله فان من في خزائنه مال وله في يد الغير مال فانه مخير ان أراد أعطى زيدا مما في خزائنه وان شاء قد أعطاه مما في يد الغير وليس لذلك الغير أن يقول لم أحلته علي وقوله (ان أنتم الا في ضلال مبين) بناء على ما اعتقدوه أن الامر بالانفاق ضائع

لانه سعى في ابطال مشيئة الله ولم يعلموا ان الضلال لا يتعداهم أية سلكوا وذلك أنهم لم ينظروا الى الامر والطلب و بادروا الى الاعتراض
• والطاعة هي اتباع الأمر لا الاستكشاف عن الغرض والغاية ومن جملة تعنتهم (٣٥) أنهم استبطؤا الموعود على الاتقاء والانفاق

قد تتسمع الوحي ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع ذكر رواية بعض ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يسمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحي نزلوا الى الارض فزادوا في الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يخطه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هو الا لأمر حدث قال فبعث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال أبو كريب قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا الى ابليس فأخبروه قال فقال هذا الذي حدث حدثنا ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفي قالا ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الجن يصعدون الى السماء الدنيا يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا لأمر حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الجن لهم مقاعد ثم ذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد ابن اسحق قال ثني الزهري عن علي بن الحسين عن أبي اسحق عن ابن عباس قال حدثني رهط من الأنصار قالوا بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأى كوكبا رمى به فقال ما تقولون في هذا الكوكب الذي يرمى به فقلنا يولد مولود أو يهلك هالك و يموت ملك و يملك ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولكن الله كان اذا قضى أمرا في السماء سبح لذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم من تحتهم من الملائكة فما يزالون كذلك حتى ينتهي التسبيح الى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم فيقولون ما ندري سمعنا من فوقنا من الملائكة سبحوا فسبحنا الله لتسبيحهم ولكنا سنسأل فيسألون من فوقهم فما يزالون كذلك حتى ينتهي الى حملة العرش فيقولون قضى الله كذا وكذا فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا الى السماء الدنيا فتسترق الجن ما يقولون فينزلون الى أوليائهم من الانس فيلقونه على ألسنتهم بتوهم منهم فيخبرونهم به فيكون بعضه حقا و بعضه كذبا فلم تزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب حدثنا ابن وكيع وابن المثنى قالا ثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية اذا رأيتموه قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا فيخبرونهم ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى أوليائهم فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون حدثنا

قائلين ان كنتم أيها المدعوف للرسالة صادقين فأخبرونا متى يكون هذا الموعود به من الثواب والعقاب فأجابهم الله تعالى بقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة) كأنهم بالاستبطاء كانوا منتظرين شيأ وتنكير صيحة للتهويل ووصفها بواحدة تعظيم للصيحة وتحقير لشأنهم أي صيحة لا يحتاج معها الى ثانية وفي قوله (تأخذهم) أي تعمهم بالأخذ مبالغة أخرى وكذا في قوله (وهم يخصمون) أي يشتغلون بتاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ومع ذلك يصعقون وقيل تأخذهم وهم يختصمون في أمر البعث قائلين انه لا يكون ثم بالغ في شدة الأخذ بقوله (فلا يستطيعون توصية) وفي قوله لا يستطيعون دون أن يقول فلا يوصون مبالغة لأن من لا يوصى قد يستطيعها وكذلك في تنكير توصية الدال على التقليل وكذا في نفس التوصية لأنها بالقول والقول يوجد أسرع من الفعل من أداء الواجبات ورد المظالم وقد تحصل التوصية بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وفي قوله (ولا الى أهلهم يرجعون) بيان لشدة الحاجة الى التوصية فان الذي يتطع بعدم الوصول الى أهله كان الى الوصية أحوج وفيه تنبيه على أن الميت لا رجوع له الى الدنيا ولا اجتماع له بأهله مرة أخرى الى حين يبعثون ثم بين حال النفخة الثانية والأجداث القبور والنسلان العدو وكيف صارت النفختان مؤثرتين في أمرين متضادين الاماتة والاحياء نقول لا مؤثر الا الله والنفخ علامة على أن الصوت يوجد التزلزل وأنه قد يصير سببا لافتراق الاجزاء المجتمعة تارة ولاجتماع المتفرقة أخرى

ثم ان أجزاء كل بدن قد تحصل في موضع هو بمنزلة جدثه أو أعطى للأكثر حكم الكل وذكر الرب في هذا الموضع للتخجيل فان من أساء واضطر الى الحضور عند من أحسن اليه كان أشد ألما



وأكثر ندما وقوله (ينسلون) لا ينافي قوله في موضع آخر فاذا هم قيام ينظرون فلعل ذلك في أول الحالة ثم يحصل لهم سرعة المشي من غير اختيارهم ويمكن أن يقال ان هيئة الانتظار ليست بمنافية للمشي بل مؤكدة له ومعينة عليه وفي اذا المفاجأة اشارة الى أن الاحياء والتركيب والقيام والعدو كلها تقع في زمان النفخ ثم بين أنهم قبل النسلان (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) كأنهم شكوا في أنهم كانوا موتى فبعثوا أو كانوا نياما فتنبهوا فجمعوا في السؤال بين الأمرين البعث والمرقد عن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا ذلك ثم أجابهم الملائكة في رواية ابن عباس والمتقون على قول الحسن (هذا ما وعد الرحمن) كأنه قيل ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الأكبر الذي وعده الرحمن في كتبه المنزلة على لسان رسله الصادقين والظاهر أن هذا مبتدأ وما وعد الرحمن الى آخره خبره وما مصدرية أي هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالمصدر ويجوز أن يكون ما موصولة أي هذا الذي وعده الرحمن وصدقه المرسلون أي صدقوا فيه وجوز جار الله أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعده الرحمن وصدقه المرسلون حق عليكم وقيل ان قوله هذا ما وعد الرحمن من كلام الكافرين كأنهم تذكروا ما سمعوا من الرسل فأجابوا به أنفسهم أو أجاب بعضهم بعضا ثم عظم شأن الصيحة بالنسبة الى المكلفين وحقر أمرها بالاضافة الى الجبار قائلا (ان كانت الا صيحة) الآية وقد مر نظيره ثم بين ما يكون في ذلك اليوم

---

ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا معمر قال ثنا ابن شهاب عن علي بن حسين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه قال فرمى بنجم ثم ذكر نحوه الا أنه زاد فيه قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم **حدثني** علي بن داود قال ثنا عاصم بن علي قال ثنا أبي علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي وكان الوحي اذا أوحي سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمى بها على الصفوان فاذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خر لجباههم من في السماء من الملائكة فاذا نزل عليهم أصحاب الوحي قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال فيتنادون قال ربكم الحق وهو العلي الكبير قال فاذا أنزل الى السماء الدنيا قالوا يكون في الارض كذا وكذا موتا وكذا وكذا حياة وكذا وكذا جدوبة وكذا وكذا خصبا وما يريد أن يصنع وما يريد أن يبتدئ تبارك وتعالى فنزلت الجن فأوحوا الى أوليائهم من الانس مما يكون في الارض فبيناهم كذلك اذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بالكواكب فجعل لا يصعد أحد منهم الا احترق وفزع أهل الارض لما رأوا في الكواكب ولم يكن قبل ذلك وقالوا هلك من في السماء وكان أهل الطائف أول من فزع فينطلق الرجل الى ابله فينحر كل يوم بعيرا لآلهتهم وينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة وينطلق صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة فقال لهم رجل ويلكم لا تهلكوا أموالكم فان معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شئ فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم وقال ابليس حدث في الارض حدث فأتي من كل أرض بتربة فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمها فلما أتي بتربة تهامة قال ههنا حدث الحدث وصرف الله اليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا حتى ختم الآية فولوا الى قومهم منذرين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر ما قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع فان ظن ظان أنه لما كان في الكلام الى كان التسمع أولى بالكلام من السمع فان الأمر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن العرب تقول سمعت فلانا يقول كذا وسمعت الى فلان يقول كذا وسمعت من فلان وتأويل الكلام انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع الى الملأ الأعلى فحذفت ان اكتفاء بدلالة الكلام عليها كما قيل كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى أن لا يؤمنوا به ولو كان مكان لا أن لكان فصيحا كما قيل يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا وكما قال وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم بمعنى أن لا تميد بكم والعرب قد تجزم مع لا في مثل هذا الموضع الكلام فتقول ربطت الفرس لا ينفلت كما قال بعض بني عقيل

وحتى رأينا أحسن الود بيننا * مساكنة لا يقرف الشر قارف

ويروى

قائلا (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون) أيها الكافرون (الاما كنتم تعملون) وفيه اشارة الى أن عدله عام وفضله خاص بأهل الايمان وفيه أنهم اذا اجتمعوا لم يجتمعوا إلا للعدل أو الفضل فالفاء فيه كما في قول القائل للوالي أو للقاضي جلست للعدل فلا تظلم أي ذلك يقتضي هذا ويستعقبه وقوله ماكنتم تعملون اشارة الى عدم الزيادة فان الشئ لايزيد على عينه كقولك فلان يجازيني حرفا بحرف أي لايترك شيأ ويجوز أن يراد الجنس أي لاتجزون الاجنس العمل حسنا أوسيئا ثم فصل حال المحسنين بطريق الحكاية في ذلك اليوم تصويرا للموعود وترغيبا فيه فقال (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) لايكتنه كنهه وفيه وجوه أقواها أنهم مشغولون عن هول ذلك اليوم بما لهم من الكرامات والدرجات وقوله (فاكهون) مؤكد لذلك المعنى أي شغلوا عنه باللذة والسرور لابالويل والثبور وثانيها أنه بيان حالهم ولا يريد أنهم شغلوا عن شئ بل المراد أنهم في عمل ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب وثالثها أنهم تصوروا في الدنيا أمورا يطلبونها في الجنة فاذا رأوا فيها مالم يخطر ببالهم اشتغلوا به عنها وعن ابن عباس أن الشغل افتضاض الابكار وضرب الأوتار وقيل التزاور وقيل ضيافة الله وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لايهمهم أمرهم لئلا يدخل عليهم تنغيص من تنعمهم والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها تؤكل للتلذذ لا للتغذي والفكاهة الحديث لأجل التلذذ لا للضرورة والأزواج ظاهرها زوج المرأة وزوجة الرجل وقيل أراد أشكالهم في الأحساب وأمثالهم في الايمان كقوله وآخر من شكله أزواج قال أهل العرفان من شرائط السماع الزمان والمكان والاخوان فقوله (هم وأزواجهم) في ظلال اشارة الى عدم الوجوه الموحشة وأن لهم في ظل الله ما يمنع الايذاء كقوله لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقوله (على الأرائك متكؤن)

---

ويروى لايقرب رفعا والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل وقال قتادة في ذلك ما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لايسمعون الى الملا الأعلى قال منعوها ويعني بقوله الى الملا الى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم وقوله ويقذفون من كل جانب دحورا ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورا والدحور مصدر من قولك دحرته أدحره دحرا ودحورا والدحر الدفع والابعاد يقال منه ادحرعنك الشيطان أي ادفعه عنك وأبعده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقذفون من كل جانب دحورا قذفا قذفا بالشهب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويقذفون يرمون من كل جانب قال من كل مكان وقوله دحورا قال مطرودين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويقذفون من كل جانب دحورا قال الشياطين يدحرون بها عن الاستماع وقرأ وقال إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب وقوله ولهم عذاب واصب يقول تعالى ذكره ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب واختلف أهل التأويل في معنى الواصب فقال بعضهم معناه الموجع ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح ولهم عذاب واصب قال موجع وحدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله عذاب واصب قال الموجع * وقال آخرون بل معناه الدائم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولهم عذاب واصب أي دائم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عذاب واصب قال دائم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولهم عذاب واصب يقول لهم عذاب دائم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عمن ذكره عن عكرمة ولهم عذاب واصب قال دائم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولهم عذاب واصب قال الواصب الدائب * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال معناه دائم خالص وذلك أن الله قال وله الدين واصبا فمعلوم أنه لم يصفه بالايلام والايجاع وانما وصفه بالثبات والخلوص ومنه قول أبي الأسود الديلي

لاأشتري الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

أي دائما وقوله الا من خطف الخطفة يقول الا من استراق السمع منهم فأتبعه شهاب ثاقب يعني مضيء متوقد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأتبعه شهاب ثاقب من نار وثقوبه ضوءه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله شهاب ثاقب قال شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فأتبعه شهاب قال كان ابن عباس يقول لايقتلون

دليل على القوة والفراغة والتمكن من أنواع الملاذ وقوله (لهم فيها فاكهة) اشارة الى سائر أنواع الملاذ الزائدة على قدر الضرورة وقوله (ولهم ما يدّعون) اشارة الى دفع جميع حوائجهم (٣٨) وما يخطر ببالهم قال الزجاج هو افتعل من الدعاء أى ما يدّعونه أهل الجنة

بشهاب ولا يموتون ولكنها تحرقهم من غير قتل وتخبل وتخدج من غير قتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأتبعه شهاب ثاقب قال والثاقب المستوقد قال والرجل يقول أثقب نارك ويقول استثقب نارك استوقد نارك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله قال سئل الضحاك هل للشياطين أجنحة فقال كيف يطيرون الى السماء الا ولهم أجنحة القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء يقول فسلهم أهم أشد خلقا يقول أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والارض وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود أهم أشد خلقا أم من عددنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أهم أشد خلقا أم من خلقنا قال السموات والارض والجبال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك أنه قرأ أهم أشد خلقا أم من عددنا وفى قراءة عبد الله بن مسعود عددنا يقول رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق يقول أهم أشد خلقا أم السموات والارض يقول السموات والارض أشد خلقا منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من عددنا من خلق السموات والارض قال الله لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاستفتهم أهم أشد خلقا قال يعنى المشركين لهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب يقول انا خلقناهم من طين لاصق وانما وصفه جل ثناؤه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب اذا خلط بماء صار طينا لازبا والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميما فتقول طين لازم ومنه قول النجاشى الحارثى

بنى اللؤم بيتا فاستقر عماده * عليكم بنى النجار ضربة لازم

ومن اللازب قول نابغة بنى ذبيان

ولا تحسبون الخير لا شر بعده * ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وربما أبدلوا الزاى التى فى اللازب تاء فيقولون طين لاتب وذكر أن ذلك فى قيس زعم الفراء أن أبا الجراح أنشده

صداع وتوصيم العظام وفترة * وغثى مع الاشراق فى الجوف لاتب

بمعنى لازم والفعل من لازب لزب يلزب ويلزب لزوبا وكذلك من لاتب لتب يلتب لتوبا وبنحو الذى قلنا فى معنى لازب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبيد الله بن يوسف الجبيرى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله من طين لازب قال هو الطين الحر الجيد اللزج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان

يأتيهم وقال جار الله هو لاتخاذ أى ما يدعون به أو ما يدعون لأنفسهم كقولك يشتوى أى اتخذ لنفسه شواء أو هو بمعنى التداعى وعلى الوجهين اما أن يراد كل ما يدعو به الله أحد أو كل ما يطلبه من صاحبه فانه يجاب له بذلك أو يراد أن كل ما يصح أن يدعى به ويطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب وقيل معناه يتمنون من قولهم ادّع علىّ ما شئت أى تمنه علىّ وقيل هو من الدعوى وذلك أنهم كانوا يدّعون فى الدنيا أن الله هو مولاهم وأن الكافرين لا مولى لهم بينه قوله (سلام) يقال لهم (قولا من رب رحيم) أى من جهته بواسطة الملائكة وقيل أراد لهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا أى عدة وعلى هذا يكون قوله لهم للبيان وما يدعون سلام مبتدأ وخبر كقولك لزيد الشرف متوفر وقال بعضهم يحتمل أن يكون قولا نصبا على التمييز لأن السلام من الملك قد يكون قولا وقد يكون اشارة وقال أهل البيان قوله (وامتازوا) معطوف على المعنى كأنه قيل دوموا أيها المؤمنون فى النعيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون أو قلنا لأهل الجنة انكم فى شغل وقلنا لأهل النار امتازوا وهو كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير أو تميزوا فى أنفسكم غيظا وحنقا فلا دواء لألمكم ولا شفاء لسقمكم كقوله فى صفة جهنم تكاد تميز من الغيظ أو افترقوا خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالاخوان فانّ عذاب كفرقة الأخدان يؤيده ما روى عن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وعن قتادة أراد اعتزلوا عن كل خير ترجون أو امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم أو المراد تميزهم بسواد الوجه وزرقة العين وبأخذ الكتاب بالشمال وبخفة الميزان

سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد عن ابن عباس قال اللازب الجيد حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال اللازب اللزج الطيب حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله من طين لازب يقول ملتصق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا خلقناهم من طين لازب قال من التراب والماء فيصير طينا يلزق حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله انا خلقناهم من طين لازب قال اللازب اللزج حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك انا خلقناهم من طين لازب واللازب الطين الجيد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله انا خلقناهم من طين لازب واللازب الذى يلزق باليد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من طين لازب قال لازم حدثنا عمرو ابن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله من طين لازب قال هو اللازق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا خلقناهم من طين لازب قال اللازب الذى يتلصق كأنه غراء ذلك اللازب قوله بل عجبت ويسخرون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة بل عجبت ويسخرون بضم التاء من عجبت بمعنى بل عظم عندى وكبر اتخاذهم لى شريكا وتكذيبهم تنزيلى وهم يسخرون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بل عجبت بفتح التاء بمعنى بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فان قال قائل وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما قيل انهما وان اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل وسخر منه أهل الشرك بالله وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون فى الله وسخر المشركون بما قالوه فان قال أكان التنزيل باحداهما أو بكلتيهما قيل التنزيل بكلتيهما فان قال وكيف يكون تنزيل حرف مرتين قيل انه لم ينزل مرتين انما أنزل مرة ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما ولهذا موضع سنستقصى ان شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل عجبت ويسخرون قال عجب محمد عليه السلام من هذا القرآن حين أعطيه وسخر منه أهل الضلالة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون﴾ يقول تعالى ذكره واذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا فينيبوا الى طاعة الله لا يذكرون يقول لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا ذكروا لا يذكرون أى لا ينتفعون ولا يبصرون وقوله واذا رأوا آية يستسخرون يقول واذا رأوا حجة من حجج الله عليهم ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يستسخرون يقول يسخرون

الى قول القائل ان أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر يؤل حالهم الى أسعد حال فليمتازوا عنكم الى الجنة وامتازوا أنتم عنهم أيها المجرمون ثم كان لسائل أن يقول ان الانسان خلق ظلوما جهولا والجهل عذر فبين الله تعالى أن الأعذار زائلة قائلا (ألم أعهد اليكم) والآية الى قوله أفلم تكونوا تعقلون شبه اعتراض فيه توبيخ لأهل النار وما ذلك العهد عن بعضهم أنه الذى مر ذكره فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل وقيل هو المذكور فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وقيل هو المبين على لسان الرسل ومعنى (لا تعبدوا) لا تطيعوا ولا تنقادوا وسوسته وتزيينه وقوله (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من مخالفة الشيطان وعبادة الرحمن قال أهل المعانى التنوين فى قوله (صراط) للتعظيم اذ لا صراط أقوم منه أو للتنويع أى هذا بعض الطرق المستقيمة ففيه توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ هذا فيما أظن قول نافع غير ضار وفى ذكر الصراط ههنا اشارة الى أن الانسان فى دار التكليف مسافر والمجتاز فى بادية يخاف فيها على نفسه وماله لا يكون عنده شئ أهم من معرفة طريق قريب أمن ثم بين لهم عداوة الشيطان بقوله (ولقد أضل منكم جبلا) وهو فى لغاته كلها بمعنى الخلق من جبله الله على كذا أى طبعه عليه عن على رضى الله عنه أنه قرأ جبيلا بياء

منقوطة من تحت بنقطتين ثم أشار الى محل امتياز المجرمين اليه بقوله (هذه جهنم) وقوله (اصلوها) أمر إهانة وتنكيل نحو ذق وفى قوله (اليوم) اشارة الى أن اللذات قد مضت وأيامها قد انقضت وليس بعد ذلك الا العقاب روى أهل التفسير أنهم يجحدون يوم القيامة كفرهم فى الدنيا

ويستهزؤن وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا رأوا آية يستسخرون يسخرون منها ويستهزؤن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذا رأوا آية يستسخرون قال يستهزؤن يسخرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئتنا به الا سحر مبين يقول يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون يقولون منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا ترابا وعظاما قد ذهب عنها اللحوم أوآباؤنا الأولون الذين مضوا من قبلنا فبادوا وهلكوا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأنتم داخرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون تكذيبا بالبعث قل نعم وأنتم داخرون وقوله وأنتم داخرون يقول تعالى ذكره وأنتم صاغرون أشد الصغر من قولهم صاغر داخر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنتم داخرون أى صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وأنتم داخرون قال صاغرون وقوله فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون يقول تعالى ذكره فانما هى صيحة واحدة وذلك هو النفخ فى الصور فاذا هم ينظرون يقول فاذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون الى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله زجرة واحدة قال هى النفخة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون المكذبون اذا زجرت زجرة واحدة ونفخ فى الصور نفخة واحدة ياويلنا هذا يوم الدين يقولون هذا يوم الجزاء والمحاسبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا يوم الدين قال يدين الله فيه العباد بأعمالهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هذا يوم الدين قال يوم الحساب وقوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يقول تعالى ذكره هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا فتنكرونه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يعنى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هذا يوم الفصل قال يوم يقضى بين أهل الجنة وأهل النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى

---

فحينئذ يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قال المتكلمون انه لا يبعد من الله تعالى انطاق كل جرم من الأجرام انطاق اللسان وهو فاعل لما يشاء كما يشاء قال الحكيم انهم لا يتكلمون بشئ لانقطاع أعذارهم وانهتاك أستارهم فيقفون ناكسى الرؤس وقوف القنوط اليؤس وتكلم الأعضاء عبارة عن ظهور أمارات الذنوب عليهم بحيث لا يبقى للانكار مجال كقول القائل الحيطان تبكى على صاحب الدار اذا ظهر أمارات الحزن وأسبابه ثم انه تعالى أسند الختم الى نفسه وأسند التكلم والشهادة الى الأيدى والأرجل لكيلا يقال ان الاقرار بالاجبار غير مقبول وأيضا انه أسند التكلم الى الأيدى والشهادة الى الأرجل لأن الاعمال مستندة الى الأيدى غالبا كقوله وما عملته أيديهم بما كسبت أيديهم فهى كالعاملة والشاهد على العامل ينبغى أن يكون غيره وانما جعلت الشهادة عليهم منهم لأن غيرهم اما صالحون وهم أعداء للمجرمين فلهم أن يقولوا شهادتهم غير مقبولة فى حقنا واما فاسقون وشهادة الفسقة غير مقبولة شرعا * وههنا نكتة وهى أن الختم لازم للكفار فى الدارين ختم الله على قلوبهم فى الدنيا وكان قولهم بأفواههم كما قال يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ثم اذا ختم على أفواههم أيضا فى الآخرة لزم أن يكون قولهم بسائر أعضائهم هذا وقد ذكرنا مرارا أنه تعالى كلما ذكر تمسك الجبرية يذكر عقيبه تمسك القدرية وبالعكس وكان للقدرية أن تمسك بقوله يكسبون يكفرون حيث أسند الله الكفر والكسب اليهم فلا جرم عقبه بتمسك الجبرى وهو قوله (ولو نشاء لطمسنا) ووجه التمسك أن إعماء البصائر شبه إعماء الابصار

احشروا

﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾ وفي هذا الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك وهو فيقال احشروا الذين ظلموا ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال ضرباءهم حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يقول نظراءهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعني أتباعهم ومن أشبههم من الظلمة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود قال سألت أبا العالية عن قول الله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله قال الذين ظلموا وأشياعهم حدثنا ابن المثنى قال ثني عبد الأعلى قال ثنا داود عن أبي العالية أنه قال في هذه الآية احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال وأشياعهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود عن أبي العالية مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي وأشياعهم الكفار مع الكفار حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال وأشباههم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أزواجهم في الأعمال وقرأ وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج وأصحاب الشمال زوج قال كل من كان من هذا حشره الله معه وقرأ واذا النفوس زوجت قال زوجت على الاعمال لكل واحد من هؤلاء زوج زوج الله بعض هؤلاء بعضا زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة والسابقين السابقين قال فهذا قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أزواج الاعمال التي زوجهن الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأزواجهم قال أمثالهم وقوله وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم يقول تعالى ذكره احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فوجهوهم الى طريق الجحيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كانوا يعبدون من دون الله الأصنام حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم يقول وجهوهم وقيل ان الجحيم الباب الرابع من أبواب النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقفوهم انهم مسئولون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يقول تعالى ذكره وقفوهم احبسوهم أي احبسوا أيها

وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية فكأنه لو شاء لطمس على أبصارهم حتى لا يهتدوا الى الطريق القاهر الظاهر ولو شاء لسلب قوة جسومهم بالمسخ حتى لا يقدروا على تقدم ولا تأخر فكذلك اذا شاء أعمى البصائر وسلب قواهم العقلية حتى لم يفهموا دليلا ولم يتفكروا في آية والطمس محو أثر شق العين قال جار الله (فاستبقوا الصراط) أصله فاستبقوا الى الصراط فانتصب بنزع الخافض والمعنى لو شاء لمسخ أعينهم فلو راموا أن يستبقوا الى الصراط الذي عهدوه واعتادوا على سلوكه الى مساكنهم لم يقدروا عليه اذ الصراط طريق الاستباق والاستباق مضمن معنى الابتدار فالمراد لو شاء لأعماهم حتى لو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف أو مبتدرين اياه كما كان هجيراهم لم يستطيعوا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه فالمعنى لو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوه لعجزوا ولم يقدروا الا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون فيما ألفوا من المقاصد والجهات دون غيرها عن ابن عباس أراد لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم أو أزمناهم على أرجلهم والمكان والمكانة واحد اراد مسخا مجمدا بحيث لا يقدرون أن يرجعوا مكانهم وانما قدم الطمس على المسخ تدرجا من الأهون الى الأصعب فان الأعمى قد يهتدي الى وجوه التصرف بأمارات عقلية أو حسية غير البصر وأما الممسوخ على مكانه فلا يهتدي الى شئ أصلا ولمثل ما قلنا قدم المضي على الرجوع فان سلوك طريق قد رآه مرة يكون أهون مما لم يره أصلا فنفى أولا استطاعة الأصعب ثم نفى استطاعة الأهون أيضا لأجل المبالغة وحين قطع الاعذار بسبق الانذار وذلك في قوله ألم أعهد اليكم شرع في قطع عذر آخر لكم وهو أن يقول لم يكن لبثنا في الدنيا الا يسيرا ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق) كقوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر أفلا تعقلون أنكم كلما

الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة انهم مسئولون فاختلف أهل التأويل فى المعنى الذى يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه فقال بعضهم يسألهم هل يعجبهم ورود النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء قال كنا عند عبد الله فذكر قصة ثم قال يتمثل الله للخلق فيلقاهم فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئا الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم قرأ انا عرضنا جهنم للكافرين عرضا قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسئولون * وقال آخرون بل ذلك للسؤال عن أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا معتمر عن ليث عن رجل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما رجل دعا رجلا الى شئ كان موقوفا لازما به لا يغادره ولا يفارقه ثم قرأ هذه الآية وقفوهم انهم مسئولون * وقال آخرون بل معنى ذلك وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم انهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله وقوله مالكم لا تناصرون يقول مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا بل هم اليوم مستسلمون يقول بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه موقنون بعذابه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مالكم لا تناصرون لا والله لا يتناصرون ولا يدفع بعضهم عن بعض بل هم اليوم مستسلمون فى عذاب الله وقوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قيل معنى ذلك وأقبل الانس على الجن يتساءلون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الانس على الجن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين﴾ يقول تعالى ذكره قالت الانس للجن انكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه واليمين القوة والقدرة فى كلام العرب ومنه قول الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

يعنى بالقوة والقدرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تأتوننا عن اليمين قال عن الحق الكفار تقوله للشياطين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال قالت الانس للجن انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدوننا عن الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال قال بنو آدم للشياطين

---

وقال آخر

أرى الأيام تتركنى وتمضى
وأوشك أنها تبقى وأمضى
علامة ذاك شيب قد علانى
وضعف عند ابرامى ونقضى
وما كذب الذى قد قال قبلى
اذا ما مر يوم مر بعضى

وحيث بين أصل الوحدانية والحشر فى هذه السورة مرات أقر بها قوله وأن اعبدونى وقوله هذه جهنم الى آخرها عاد الى أصل الرسالة بقوله (وما علمناه الشعر) وانما لم يقل وما علمناه السحر ولا الكهانة مع أنهم ادعوا أنه ساحر كاهن لأنه ما تحداهم الا بالقرآن وانما نسبوه الى السحر عند اظهار فعل خارق كشق القمر وحنين الجذع اليه ونسبوه الى الكهانة عند إخبار عن الغيوب وهو نوع خاص من الكلام من غير اعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية قال جار الله معنى قوله (وما ينبغى له) أنه لا يتأتى له ولا يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى للخط وروى عن الخليل أن الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له قال وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وقال

هل انت الا اصبع دميت
وفى سبيل الله مالقيت

كلام اتفاقى من غير قصد وتعمد والشعر كلام موزون مقفى مع تعمد وقيل أراد نفى الشعر عن القرآن فقال وما علمناه بتعليم القرآن الشعر وما ينبغى للقرآن أن يكون شعرا وأنا أقول الأحسن أن يقال ما ينبغى له معناه أنه لا يليق بجلالة منصبه لأن الشعر مادته كلام يفيد تأثيرا دون التصديق وهو التخييل وأما الوزن والقافية فهما كالصورة ويفيدانه ترويجا وتزيينا

للشياطين الذين كفروا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال تحولون بيننا و بين الخير و رددتمونا عن الاسلام والايمان والعمل بالخير الذي أمر الله به وقوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان يقول تعالى ذكره قالت الجن للانس مجيبة لهم بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين وكنتم للأصنام عابدين وما كان لنا عليكم من سلطان يقول قالوا وما كان لنا عليكم من حجة فنصدكم بها عن الايمان ونحول بينكم من أجلها و بين اتباع الحق بل كنتم قوما طاغين يقول قالوا لهم بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله متعدين الى ما ليس لكم التعدي اليه من معصية الله وخلاف أمره و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالت لهم الجن بل لم تكونوا مؤمنين حتى بلغ قوما طاغين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وما كان لنا عليكم من سلطان قال الحجة وفي قوله بل كنتم قوما طاغين قال كفار ضلال

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ يقول تعالى ذكره فحق علينا قول ربنا فوجب علينا عذاب ربنا انا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا فهذا خبر من الله عن قيل الجن والانس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فحق علينا قول ربنا الآية قال هذا قول الجن وقوله فأغويناكم انا كنا غاوين يقول فأضللناكم عن سبيل الله والايمان به انا كنا ضالين وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والانس قال الله فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يقول فان الانس الذين كفروا بالله وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله والذين أغووا الانس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعا في النار كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فانهم يومئذ في العذاب مشتركون قال هم والشياطين انا كذلك نفعل بالمجرمين يقول تعالى ذكره انا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته والكفر به على الايمان فنذيقهم العذاب الأليم ونجمع بينهم و بين قرنائهم في النار

القول في تأويل قوله تعالى ﴿انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره وان هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون يقول يتعظمون عن قيل ذلك و يتكبرون وترك من الكلام قولوا اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قال يعني المشركين خاصة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قال قال عمر بن الخطاب احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون و يسمعون

وقوله و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يقول تعالى ذكره و يقول هؤلاء المشركون من قريش أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون يقول لاتباع شاعر مجنون يعنون بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ونقول لا اله الا الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

---

لحل رتبته من التخييل الذي هو قريب من المغالطة ولهذا لم يؤمر بأن يدعو بهما الى سبيل ربه وانما أمر بأن يدعو الى الدين بسائر أصناف الكلام حيث قيل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي (٣٣) هي أحسن ونظيره قوله ههنا (ان هو الا ذكر) أي موعظة (وقرآن مبين) ذو البيان أو الابانة وأنه يشمل البرهان والجدل أما البرهان فظاهر وأما الجدل فلأن النتيجة اذا كانت في نفسها حقة فالرجل العالم المحق ليس عليه الا إفحام الخصم الألد والزامه بمقدمات مسلمة أو مشهورة ومما يؤيد ما ذكرنا ما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ قول طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
و يأتيك بالأخبار من لم تزود

هكذا و يأتيك من لم تزود بالأخبار ولا ريب أنه كان يتأتى له رواية الشعر ان لم يتأت له قرضه وما ذاك الا للتنزه عما يشبه ما يشين رتبته ولا يوافق مغزاه و يروى أنه صلى الله عليه وسلم حين قال

* هل أنت الا اصبع دميت *

انقطع الوحي أياما حتى قالت الكفار ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه وهذا أحد أسباب نزول تلك الآية ولمثل ما قلنا لم يرو عنه كلام منظوم وان كان حقا وصدقا كالذي قاله بعض الشعراء في التوحيد والحقائق وقد أشار الى نحو ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقد مر في تفسير قوله سبحانه في آخر الشعراء الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك أن الشاعر يقصد لفظا فيوافقه معنى حكمي و بالجملة لا يخلو الشعر عن تكلف ما وقد يدعوه النظم الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ فأين الشارع من الشاعر ثم بين كون القرآن منزلا على هذا الوجه بقوله (لتنذر) يا محمد أو لينذر هو أي القرآن (من كان حيا) عاقلا متأملا و يجوز أن تكون الحياة عبارة عن الايمان أو المراد بالحي من يؤل حاله الى الايمان أو المراد بالانذار الانتفاع به مثل هدى للمتقين انما تنذر من اتبع الذكر وقوله (و يحق القول) كقوله

ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله بل جاء بالحق وهذا خبر من الله مكذبا للمشركين الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم شاعر مجنون كذبوا ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون بل هو لله نبى جاء بالحق من عنده وهو القرآن الذى أنزله عليه وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل جاء بالحق بالقرآن وصدق المرسلين أى صدق من كان قبله من المرسلين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة القائلين لمحمد شاعر مجنون انكم أيها المشركون لذائقوا العذاب الموجع فى الآخرة وما تجزون يقول وما تثابون فى الآخرة اذا ذقتم العذاب الأليم فيها الا ثواب ما كنتم فى الدنيا تعملون من معاصى الله وقوله الا عباد الله المخلصين يقول الا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته وكتب لهم السعادة فى أم الكتاب فانهم لا يذوقون العذاب لأنهم أهل طاعة الله وأهل الايمان به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا عباد الله المخلصين قال هذه ثنية الله وقوله أولئك لهم رزق معلوم يقول هؤلاء وهم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم وذلك الرزق المعلوم هو الفواكه التى خلقها الله لهم فى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم رزق معلوم فى الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أولئك لهم رزق معلوم قال فى الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ قوله فواكه ردا على الرزق المعلوم تفسيرا له ولذلك رفعت وقوله وهم مكرمون يقول وهم مع الذى لهم من الرزق المعلوم فى الجنة مكرمون بكرامة الله التى أكرمهم الله بها فى جنات النعيم يعنى فى بساتين النعيم على سرر متقابلين يعنى أن بعضهم يقابل بعضا ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض وقوله يطاف عليهم بكأس من معين يقول تعالى ذكره يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يطاف عليهم بكأس من معين قال كأس من خمر جارية والمعين هى الجارية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم فى قوله بكأس من معين قال كل كأس فى القرآن فهو خمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الله بن داود عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال كل كأس فى القرآن فهو خمر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله بكأس من معين قال الخمر والكأس عند العرب كل اناء فيه شراب فان لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا ولكنه يكون اناء وقوله بيضاء لذة للشاربين يعنى بالبيضاء الكأس ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء ولم يقل أبيض وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله صفراء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله بيضاء قال السدى فى قراءة عبد الله صفراء وقوله لذة للشاربين يقول هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها وقوله لا فيها غول يقول لا فى هذه الخمر غول وهو

---

فى أول السورة لقد حق القول وقد مر وهذا كلام مطابق من حيث المعنى كأنه قال لتنذر من كان حيا ويحق القول على من كان ميتا لأن الكافر فى عداد الموتى ثم عاد الى تقرير دلائل الوحدانية (٤٢) مع تعداد النعم فقال (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت) أى من جملة ما عملته (أيدينا) فاستعار عمل الأيدى لتفرده بالاحداث والايجاد مع اشتمال المحدث والموجد على غرائب وعجائب حتى قال فيه أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله (فهم لها مالكون) اشارة الى اتمام الانعام فى خلق الأنعام وقوله (وذللناها لهم) اشارة الى ما فوق التمام فقد يملك الشئ ولا يكون مسخرا ومن الذى يقدر على تذليل الابل لولا أمر الله بتسخيرها حتى قال بعضهم

يصرفه الصبى بكل وجه
ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا غير لديه ولا نكير

والجرير حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة ومن زعم أن الملك بمعنى الضبط من قوله لا أملك رأس البعير أن يفر يلزمه التكرار ثم فصل بعض منافعها بقوله (فمنها ركوبهم) والركوب والركوبة ما يركب كالحلوب والحلوبة والتاء للمبالغة وقيل للوحدة والمنافع كالجلود والأوبار والأصواف ذكرها بالاسم العام لما فى تفصيلها من الطول والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أى الأوانى المتخذة من جلودها أو هو الشرب كالألبان والاسمان وحين وبخهم على عدم الشكر بقوله (أفلا يشكرون) زاد فى توبيخهم بقوله (واتخذوا من دون الله آلهة) أى وضعوا الشرك مكان الشكر فلا أظلم منهم وفى قوله (لعلهم ينصرون) الى قوله محضرون وجهان أحدهما أنهم طمعوا فى أن

أن ينتصروا بهم ويعتضدوا بمكانهم والأمر عكس ذلك حيث هم جند لآلهتهم معدون يخدمونهم ويذبون عنهم من غير نفع فى آلهتهم وثانيهما اتخذوهم لينصروهم عند الله بالشفاعة والأمر على خلاف ذلك حيث ان آلهتهم يوم القيامة جند محضرون لعذابهم لأنهم

أن تغتال عقولهم يقول لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا اذا شربوها فأكثروا منها كما قال الشاعر

وما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول

والعرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول بمعنى واحد ورفع غول ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها وبين الغول وكذلك تفعل العرب في التبرئة اذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه وقد يحتمل قوله لا فيها غول أن يكون معنيا به ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه أو ينال بداهية عظيمة غال فلانا غول وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ليس فيها صداع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا فيها غول يقول ليس فيها صداع * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها أذى فتشتكي منه بطونهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا فيها غول قال هي الخمر ليس فيها وجع بطن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا فيها غول قال وجع بطن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا فيها غول قال الغول ما يوجع البطون وشارب الخمر ههنا يشتكي بطنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا فيها غول يقول ليس فيها وجع بطن ولا صداع رأس * وقال آخرون معنى ذلك أنها لا تغول عقولهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا
١٠٩ أسباط عن السدي لا فيها غول قال لا تغتال عقولهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها أذى ولا مكروه ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن اسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله لا فيها غول قال أذى ولا مكروه حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبد الله بن يزيد قال أخبرنا اسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله لا فيها غول قال ليس فيها أذى ولا مكروه * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها اثم ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه وذلك أن الغول في كلام العرب هو ما غال الانسان فذهب به فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل فقالوا غالت فلانا غول فالذاهب العقل من شرب الشراب والمشتكي البطن منه والمصدع الرأس من ذلك والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول فاذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه لا فيها غول فيعم بنفي كل معاني الغول عنه وأعم ذلك أن يقال لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل ولا غير ذلك واختلفت القراء في قراءة قوله ولا هم عنها ينزفون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة ينزفون بفتح الزاي بمعنى ولا هم عن شربها تنزف عقولهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ولا هم عنها ينزفون بكسر الزاي بمعنى ولا هم عن شربها ينفد شرابهم * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم ولا يسكرهم

يعملون وقود النار ووجه ثالث وهو أن يكون قوله وهم لهم جند محضرون تأكيدا لعدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يتأهب ولم يجمع أنصاره ثم عقب دليل التوحيد بالرسالة مسليا رسوله بقوله (فلا يحزنك قولهم) باتخاذ الشريك لله أو بالطعن في الرسالة او بالايذاء والتهديد ثم علل عدم الحزن بقوله (انا نعلم ما يسرون) من النفاق وسائر العقائد الفاسدة (وما يعلنون) من الشرك وسائر الأفعال القبيحة أو يسرون من المعرفة بالله و يعلنون من العناد وجوز جار الله فتح أن على تقدير لام التعليل بل جوز أن تكون المفتوحة بدلا من قولهم والمكسورة مفعولا لقولهم و يكون نهي الرسول عن ذلك كنهيه عن الشرك في قوله ولا تكونن من المشركين ثم أردف الرسالة بالحشر مع أن فيه دليلا آخر على التوحيد مأخوذا من الانفس فان الاول كان مأخوذا من الآفاق وفي قوله (فاذا هو خصيم مبين) وجهان أحدهما فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق معرب عما في ضميره كقوله أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقوله من نطفة اشارة الى أدنى ما كان عليه الانسان وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى أعلى ما حصل عليه الآن لان أعلى أحوال الناطق أن يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح وثانيهما قول كثير من المفسرين انها نزلت في جماعة من كفار قريش تكلموا في البعث فقال لهم أبي بن خلف الجمحي واللات والعزى لأصيرن الى محمد ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده و يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك و يدخلك جهنم قال أهل البيان سمى قولهم من يحيي العظام وهي رميم مثلا لان انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى قصة عجيبة وفيه تشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز عن خلق أدنى بعوضة الجاهل بما يجري عليه من الاحوال والرميم اسم لما بلى من العظام كالرمة والرفات

ولايبعد أن يكون صفة ولم تؤنث بتقدير موصوف محذوف أي شئ رميم أولأنه بمعنى فاعل كقوله ان رحمة الله قريب وفي الآية دليل ظاهر
على أن عظام الميتة نجسة لان الموت  والحياة يتعاقبان عليها وقال أصحاب أبي حنيفة انها طاهرة وان الحياة لاتحل فيها
فلايتصور موتها وكذا الشعر والعصب وتأولوا الآية بأن المراد باحياء العظام ردها على ما كانت عليه غضة طرية في بدن حي حساس واعلم أن المنكرين للحشر منهم من اكتفى في انكاره بمجرد الاستبعاد كقوله من يحيي العظام وهي رميم فأزال استبعادهم بتصوير الخلق الاول فان الذي قدر على جعل النطفة المتشابهة الاجزاء انسانا مختلف الابعاض والاعضاء مودعا فيه الفهم والعقل وسائر أسباب المزية والفضل فهو على اعادتها أقدر ومنهم من ذكر شبهة وهي كقولهم ان الانسان بعد العدم لم يبق شيأ فكيف يصح اعادة المعدوم عقلا أو كقولهم ان الذي تفرقت أجزاؤه في أبدان السباع وجدران الرباع كيف يجمع ويعاد أو كقولهم ان انسانا اذا نشأ مغتذيا بلحم انسان آخر فلابد أن لايبقى للآكل وللمأكول جزء يمكن اعادته فأجاب الله تعالى عن الاول بقوله (يحييها الذي أنشأها أول مرة) يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيأ مذكورا فانه يعيده وان لم يكن شيأ وعن الباقيتين بقوله (وهو بكل خلق عليم) فيجمع الاجزاء المتفرقة في البقاع والسباع وهكذا يعلم الاصلي من الفضلي فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل والمأكول ثم شبه خلق الانسان بل الحيوان من قبل ايداع الحرارة الغريزية التي بها قوام الحياة في جوهر رطب طري بانشاء الشجر الاخضر الذي تنقدح منه النار قالت العرب في كل
شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر واستغزر يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر ابن
منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله عزوجل وعن ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار الا العناب

شربهم اياه فيذهب عقولهم واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه لاتذهب عقولهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولاهم عنها ينزفون يقول لاتذهب عقولهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولاهم عنها ينزفون يقول لاتنزف فتذهب عقولهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولاهم عنها ينزفون قال لاتذهب عقولهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولاهم عنها ينزفون قال لاتنزف عقولهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولاهم عنها ينزفون قال لاتنزف العقول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولاهم عنها ينزفون قال لاتغلبهم على عقولهم وهذا التأويل الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه لم تفصل لنا رواته القراءة الذي هذا تأويلها وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها ينزفون وينزفون كلتيهما وذلك أن العرب تقول قد نزف الرجل فهو منزوف اذا ذهب عقله من السكر وأنزف فهو منزوف محكية عنهم اللغتان كلتاهما في ذهاب العقل من السكر وأما اذا فنيت خمر القوم فاني لم أسمع فيه الا أنزف القوم بالألف ومن الانزاف بمعنى ذهاب العقل من السكر قول الأبيرد

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم * لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

القول في تأويل قوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يقول تعالى وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن ولا يردن غيرهم ولا يمددن أبصارهن الى غيرهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وعندهم قاصرات الطرف عين يقول عن غير أزواجهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعندهم قاصرات الطرف عين قال على أزواجهن زاد الحارث في حديثه لاتبغي غيرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر أيضا عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله قاصرات الطرف قال لاينظرن الا الى أزواجهن قد قصرن أطرافهن على أزواجهن ليس كما يكون نساء أهل الدنيا وقوله عين يعني بالعين النجل العيون عظامها وهي جمع عيناء والعيناء المرأة الواسعة العين عظيمتها وهي أحسن ما تكون من العيون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد

ابن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله عين قال عظام الأعين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عين قال العيناء العظيمة العين حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن أبيه عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله حور عين قال العين الضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر • قوله كأنهن بيض مكنون اختلف أهل التأويل فى الذى به شبهن من البيض بهذا القول فقال بعضهم شبهن ببطن البيض فى البياض وهو الذى داخل القشر وذلك أن ذلك لم يمسه شئ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله كأنهن بيض مكنون قال كأنهن بطن البيض حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كأنهن بيض مكنون قال البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنهن بيض مكنون لم تمر به الأيدى ولم تمسه يشبهن بياضه * وقال آخرون بل شبهن بالبيض الذى يحضنه الطائر فهو الى الصفرة فشبه بياضهن فى الصفرة بذلك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأنهن بيض مكنون قال البيض الذى يكنه الريش مثل بيض النعام الذى قد أكنه الريش من الريح فهو أبيض الى الصفرة فكأنه يبرق فذلك المكنون * وقال آخرون بل عنى بالبيض فى هذا الموضع اللؤلؤ و به شبهن فى بياضه وصفائه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كأنهن بيض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال شبهن فى بياضهن وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن انس ولا جان ببياض البيض الذى هو داخل القشر وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شئ غيرها وذلك لا شك هو المكنون فأما القشرة العليا فان الطائر يمسها والأيدى تباشرها والعش يلقاها والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشئ لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا كما قال أبو دهبل

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وتقول لكل شئ أضمرته الصدور أكنته فهو مكن وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التى رأيتها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقئ وقوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يقول تعالى ذكره فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون يقول يسأل بعضهم بعضا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أهل الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال أهل الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين

قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين قلت ويشبه أن يكون كل شجرة فى غاية الصلابة هكذا الا أن يكون له سبب خاص به كما يروى أنه معجزة لموسى عليه السلام فانه قد رأى النار فيها فلا ينبغى لغيره أن يراها ثم أكد قدرته الكاملة على خلق الانسان ابداء واعادة بتذكر خلق السموات والارض الذى هو أكبر من خلق الناس ثم أثبت ما نفاه مستفهما للتقرير بقوله (بلى وهو الخلاق) الكثير الخلق الكامل فيه (العليم) بكل جوهر وعرض وما يطلق عليه اسم الشيئية ثم بين أن ايجاده ليس متوقفا الا على تعلق الارادة بالمقدور وقد مر تقريره فى أوائل البقرة وغيرها قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن المعدوم شئ وأجيب بأن الآية دلت على أنه حين تعلق الارادة به شئ أما انه قبل ذلك شئ فكلا ثم ختم السورة بتقرير المبدا والمعاد على الاجمال فقوله (بيده ملكوت كل شئ) اشارة الى المبدا وقوله (واليه ترجعون) اشارة الى المعاد واذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكليف والرسالة فهذه الآية كالنتيجة للمقدمات السابقة فى السورة عن ابن عباس كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا أنه لهذه الآية روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس فذكر الامام الغزالى رضى الله عنه أن الايمان صحته بالاعتراف بالحشر وانه مقرر فى هذه السورة بأبلغ وجه فلذلك سماها قلب القرآن وقال غيره ان الاصول الثلاثة التى يتعلق بها نصيب الجنان وهى التوحيد والرسالة والحشر مكررة فى هذه السورة وليس فيها شئ من بيان وظيفة اللسان ولا العمل بالاركان فلما كان أعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا ورد فى الاخبار أنه ينبغى أن تقرأ على الميت حالة النزع وذلك ليزداد بها قوة قلبه فان الاعضاء الظاهرة وقتئذ ساقطة المنة والقلب مقبل على الله معرض عما سواه ولنا فيه وجه هو بالتأويل أشبه فلنذكره ههنا

أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ يقول تعالى ذكره قال قائل من أهل الجنة اذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون انى كان لى قرين فاختلف أهل التأويل فى القرين الذى ذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم كان ذلك القرين شيطانا وهو الذى كان يقول له أئنك لمن المصدّقين بالبعث بعد الممات ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الله انى كان لى قرين قال شيطان * وقال آخرون ذلك القرين شريك كان له من بنى آدم أو صاحب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين قال هو الرجل المشرك يكون له الصاحب فى الدنيا من أهل الايمان فيقول له المشرك انك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا فلما أن صاروا الى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة وأدخل المشرك النار فاطلع المؤمن فرأى صاحبه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة البهرانى فى قوله انى كان لى قرين قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذى له حرفة للآخر ليس لك حرفة ما أرانى الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم ان صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وانى أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم انه تزوج امرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال انى تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يا رب ان صاحبى تزوج امرأة بألف دينار وانى أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ثم انه مكث ما شاء الله أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفى دينار ثم دعاه فأراه فقال انى ابتعت هذين البستانين فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يا رب ان صاحبى قد اشترى بستانين بألفى دينار وأنا أسألك بستانين من الجنة فتصدق بألفى دينار ثم ان الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه فاذا امرأة تطلع يضىء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيأ الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فانه كان لى صاحب يقول أئنك لمن المصدّقين قيل له فانه فى الجحيم قال فهل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين الآيات وهذا التأويل الذى تأوله فرات بن ثعلبة يقوى قراءة من قرأ أئنك لمن المصدّقين بتشديد الصاد بمعنى لمن المتصدقين لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره انما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق وقراءة قراء الامصار على خلاف ذلك بل قراءتها بتخفيف الصاد وتشديد الدال بمعنى انكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت كأنه قال أتصدّق بأنك تبعث بعد مماتك وتجزى بعملك وتحاسب يدل على ذلك قول الله أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون وهى القراءة الصحيحة عندنا التى لا يجوز خلافها لاجماع الحجة من

القراء

التأويل اتقوا ما بين أيديكم من الدنيا وشهواتها وما خلفكم من نعيم الجنة ولذاتها لعلكم ترحمون بمشاهدة الجمال وأنوار الكمال ونفخ فى الصور اشارة الى نفخ اسرافيل المحبة فى صور القلب فاذا السر والروح والخفى من أجداث أوصاف البشرية الى ربهم ينسلون يرجعون بعضها بالسير وبعضها بالطيران ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل شغلهم الله بالمفاكهة عن المشاهدة كما قال بعض الصوفية والناس يخرجون من مسجد الجامع هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة أقوام آخرون وهم الفارغون من الالتفات الى الكونين قال الله تعالى فاذا فرغت أى من تعلقات الكونين فانصب لطلب الوصال ويحكى أن الآية قرئت فى مجلس الشبلى رضى الله عنه فشهق شهقة وغاب فلما أفاق قال مساكين لو علموا أنهم عم شغلوا لهلكوا ويحتمل أن يقال انهم اليوم أى فى الدنيا فى شغل بانواع الطاعات والعبادات من طلب الحق والشوق الى لقائه كما يحكى عن يحيى ابن معاذ أنه قال رأيت رب العزة فى منامى فقال لى يا ابن معاذ كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى ويمكن أن يقال انهم اليوم فى الدنيا فى شغل بالطاعات والرضا بما قسم الله عن طلب اللذات والفوائد وارتكاب المحرمات والزوائد أو يقال انه خطاب للعصاة فان أهل الله هم المستغرقون فى بحار عظمة الله وأهل الجنة مشتغلون باستيفاء اللذات وليس للعصاة الا رحمتى وكرمى كما قال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وتشهد أرجلهم فى بعض الاخبار المروية ان عبدا لتشهد عليه اعضاؤه بالذلة فتطير شعرة من جفن عينه فتستأذن بالشهادة له فيقول الحق تعالى تكلمى يا شعرة جفن عين عبدى واحتجى عن عبدى فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادى مناد هذا عتيق الله بشعرة ومن نعمره ننكسه ان السالك اذا عمر صار فى آخر الامر الى الفناء فى الله حتى لا يبقى منه ما يسند الفعل اليه وفى قوله

القراء عليها وقوله أئنا لمدينون يقول أئنا لمحاسبون ومجزيون بعد مصيرنا عظاما ولحوما ترابا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أئنا لمدينون يقول أئنا لمجازون بالعمل كما تدين تدان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أئنا لمدينون أئنا لمحاسبون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أئنا لمدينون محاسبون * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ يقول تعالى ذكره قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه هل أنتم مطلعون في النار لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي إنك لمن المصدقين بأنا مبعوثون بعد الممات وقوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم يقول فاطلع في النار فرآه في وسط الجحيم وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو فقالوا نعم وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في سواء الجحيم يعني في وسط الجحيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في سواء الجحيم يعني في وسط الجحيم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن في قوله في سواء الجحيم يقول في وسط الجحيم حدثنا ابن سنان قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت الحسن فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله سواء الجحيم قال وسطها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هل أنتم مطلعون قال سأل ربه أن يطلعه قال فاطلع فرآه في سواء الجحيم أي في وسط الجحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن خليد العصري قال لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه لقد تغير حبره وسبره بعده وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم فقال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين حدثنا ابن بشار قال ثنا ابراهيم بن أبي الوزير قال ثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله في قوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال والله لولا أنه عرفه ما عرفه لقد غيرت النار حبره وسبره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله هل أنتم مطلعون قال كان ابن عباس يقرؤها هل أنتم مطلعوني فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال في وسط الجحيم وهذه القراءة التي ذكرها السدي عن ابن عباس أنه كان يقرأ في مطلعون إن كانت محفوظة عنه فإنها من شواذ الحروف وذلك أن العرب لا تؤثر في المكني من الأسماء إذا اتصل بفاعل على الإضافة في جمع أو توحيد لا يكادون أن يقولوا أنت مكلمني ولا أنتما مكلماني ولا أنتم مكلموني ولا مكلمونني وإنما يقولون أنت مكلمي وأنتما مكلماي وأنتم مكلمي وإن قال منهم قائل ذلك قاله على وجه الغلط توهما به أنت تكلمني وأنتما تكلمانني وأنتم تكلمونني كما قال الشاعر

وما أدري وظني كل ظن * أمسلمني إلى قومي شراحي

---

وما علمناه الشعر إشارة إلى أن العلوم والصنائع كلها من الله تعالى وبتعليمه وإلهامه من الشجر الأخضر وهو شجرة البشرية نار المحبة توقدون مصباح قلوبكم وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن قلب القرآن يس لأن ذكره صلى الله عليه وسلم رمز إليه في أول السورة وفي آخرها أما الأول فتقدم في تفسير لفظ يس وأما الثاني فلأن قوله فسبحان إلى آخره يدل على المبدإ والمعاد تصريحا وعلى الرسالة ضمنا ولا ريب أن القلب خلاصة كل ذي قلب وأنه صلى الله عليه وسلم كان خلاصة المخلوقات وكان خاتمة القرآن الذي نزل على قلبه وكأن فاتحة السورة وخاتمتها مبنية على ذكره منبئة عن سره كالقلب في جوف صاحبه فلأجل هذه المناسبات أطلق على يس أنه قلب القرآن والله ورسوله أعلم بأسرار كلامه

﴿سورة والصافات مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون كلمها ثمانمائة وستون آياتها مائة واحدى وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم

على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا على اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين (٤٠) فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين ﴾ ۞ القراآت والصافات صفا وما بعدهما مدغما حمزة وأبو عمرو غير عباس بزينة منونا حمزة وعاصم عن

فقال مسلمنى وليس ذلك وجه الكلام بل وجه الكلام أمسلمى فأما اذا كان الكلام ظاهرا ولم يكن متصلا بالفاعل فانهم ربما أضافوا وربما لم يضيفوا فيقال هذا مكلم أخاك ومكلم أخيك وهذان مكلما أخيك ومكلمان أخاك وهؤلاء مكلمو أخيك ومكلمون أخاك وانما تختار الاضافة فى المكنى المتصل بفاعل لمصيرا الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه كالحرف الواحد وقوله تالله ان كدت لتردين يقول فلما رأى قرينه فى النار قال تالله ان كدت فى الدنيا لتهلكنى بصدك اياى عن الايمان بالبعث والثواب والعقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان كدت لتردين قال لتهلكنى يقال منه أردى فلان فلانا اذا أهلكه وردى فلان اذا هلك كما قال الأعشى

أفى الطوف خفت علىّ الردى * وكم من رد أهله لم يرم

يعنى بقوله وكم من رد وكم من هالك وقوله ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين يقول ولولا أن الله أنعم علىّ بهدايته والتوفيق للايمان بالبعث بعد الموت لكنت من المحضرين معك فى عذاب الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لكنت من المحضرين أى فى عذاب الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله لكنت من المحضرين قال من المعذبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن الذى أعطاه الله ما أعطاه من كرامته فى جنته سرورا منه بما أعطاه فيها أفما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى يقول أفما نحن بميتين غير موتتنا الاولى فى الدنيا وما نحن بمعذبين يقول وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة ان هذا لهو الفوز العظيم يقول ان هذا الذى أعطاناه الله من الكرامة فى الجنة أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا فى الدنيا نحذر من عقاب الله وادراك ما كنا فيها نؤمل بايماننا وطاعتنا ربنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم قال هذا قول أهل الجنة وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون يقول تعالى ذكره لمثل هذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة فى الآخرة فليعمل فى الدنيا لأنفسهم العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ يقول تعالى ذكره أهذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتى فى الجنة ورزقتهم فيها من النعيم خير أوما أعددت لأهل النار من الزقوم وعنى بالنزل الفضل وفيه لغتان نزل ونزل يقال للطعام الذى له ريع هو طعام له نزل ونزل وقوله أم شجرة الزقوم ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون كيف ينبت الشجر فى النار والنار تحرق الشجر فقال الله انا جعلناها فتنة للظالمين يعنى لهؤلاء المشركين الذين قالوا فى ذلك ما قالوا ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

غير المفضل الكواكب بالنصب أبو بكر وحماد الباقون بالجر لا يسمعون بتشديد السين والميم وأصله يتسمعون حمزة وعلى وخلف
وعاصم غير أبى بكر وحماد الآخرون بسكون السين وتخفيف الميم بل عجبت (٤١) بالضم حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح

عن قتادة أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم حتى بلغ فى أصل الجحيم قال لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة فقالوا ينبئكم صاحبكم هذا أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله ما تسمعون انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم غذيت بالنار ومنها خلقت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال أبو جهل لما نزلت ان شجرة الزقوم قال تعرفونها فى كلام العرب أنا آتيكم بها فدعا جارية فقال ائتينى بتمر وزبد فقال دونكم تزقموا فهذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد فأنزل الله تفسيرها أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين قال لأبى جهل وأصحابه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انا جعلناها فتنة للظالمين قال قول أبى جهل انما الزقوم التمر والزبد أتزقمه وقوله طلعها كأنه رؤس الشياطين يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة يعنى شجرة الزقوم فى قبحه وسماجته رؤس الشياطين فى قبحها وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله انها شجرة نابتة فى أصل الجحيم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين قال شبهه بذلك فان قال قائل وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤس الشياطين فى القبح ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤس الشياطين وانما يمثل الشئ بالشئ تعريفا من الممثل الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما أو أحدهما ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ولا برؤس الشياطين ولا كانوا رأوهما ولا واحدا منهما قيل له أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هى وما صفتها فقال لهم انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فلم يتركهم فى عماء منها وأما فى تمثيله طلعها برؤس الشياطين فأقوال لكل منها وجه مفهوم أحدها أن يكون مثل ذلك برؤس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم اذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشئ قال كأنه شيطان فذلك أحد الأقوال والثانى أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا وهى حية له عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر واياه عنى الراجز بقوله

عنجرد تحلف حين أحلف * كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروى عجيز والثالث أن يكون مثل نبت معروف برؤس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون يقول تعالى ذكره فان هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة لآكلون من هذه الشجرة التى هى شجرة الزقوم فمالئون من زقومها بطونهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾ يقول تعالى ذكره ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبا وهو الخلط من قول العرب شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبا وشيابا من حميم والحميم الماء المحموم وهو الذى أسخن فانتهى حره وأصله مفعول صرف الى فعيل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم ان لهم عليها

على الخطاب آيذا بالمد والياء انا بهمزة واحدة مكسورة يزيد وقالون وزيد الباقون مثل التى فى الرعد وأما الثانية فمثل التى فى الرعد أو آباؤنا مثل أو أمن أهل القرى وكذلك فى الواقعة لا تناصرون بالتشديد البزى وابن فليح أئنا أئنك أئفكا مثل أئنكم فى الانعام ينزفون بضم الياء وكسر الزاى حمزة وعلى وخلف والمفضل الآخرون بفتح الزاى لتردين بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل ۞ الوقوف صفا ه لا زجرا ه لا لواحد ه ط المشارق ه ط الكواكب ه لا مارد ه ج لاحتمال ما بعده الوصف والاستئناف قاله السجاوندى وعليه بحث يجئ فى التفسير واصب ه لا ثاقب ه ج خلقنا ط لازب ه ويسخرون ه ص لا يذكرون ه ص يستسخرون ه ص مبين ه ج لمبعوثون ه لا الاولون ه ط داخرون ه ينظرون ه الدين ه تكذبون ه يعبدون ه لا الجحيم ه مسئولون ه لا لأن المسئول عنه قوله مالكم لا تناصرون ه مستسلمون ه يتساءلون ه اليمين ه مؤمنين ه ج سلطان ج للعدول مع اتفاق الجملتين طاغين ه لذائقون ه غاوين ه مشتركون ه بالمجرمين ه يستكبرون ه مجنون ه ط المرسلين ه الاليم ه ج تعملون ه لا المخلصين ه معلوم ه فواكه ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف مكرمون ه لا النعيم ه لا متقابلين ج معين ه لا للشاربين ه ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا ينزفون ه عين ط مكنون ج يتساءلون ه قرين ه المصدقين ه لمدينون ه

لشوبا من حميم يقول لمزجا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم ان لهم عليها الشوبا من حميم يعني شرب الحميم على الزقوم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان لهم عليها الشوبا من حميم قال مزاجا من حميم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم ان لهم عليها الشوبا من حميم قال الشوب الخلط وهو المزج حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ان لهم عليها الشوبا من حميم قال حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم يقول تعالى ذكره ثم ان مآبهم ومصيرهم لالى الجحيم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم فهم فى عناء وعذاب من نار جهنم وتلا هذه الآية يطوفون بينها وبين حميم آن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّى فى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال فى قراءة عبد الله ثم ان منقلبهم لالى الجحيم وكان عبد الله يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال (١) موتهم وقوله انهم ألفوا آباءهم ضالين يقول ان هؤلاء المشركين الذين اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون وجدوا آباءهم ضلالا عن قصد السبيل غير سالكين محجة الحق فهم على آثارهم يهرعون يقول فهؤلاء يسرع بهم فى طريقهم ليقتفوا آثارهم وسننهم يقال منه أهرع فلان اذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالرعدة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انهم ألفوا آباءهم ضالين أى وجدوا آباءهم ضالين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهم ألفوا آباءهم أى وجدوا آباءهم وبنحو الذى قلنا فى يهرعون أيضا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فهم على آثارهم يهرعون قال كهيئة الهرولة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم على آثارهم يهرعون أى يسرعون اسراعا فى ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله يهرعون قال يسرعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يهرعون اليه قال يستعجلون اليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركى قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم ولقد أرسلنا فيهم منذرين يقول ولقد أرسلنا فى الأمم التى خلت من قبل أمتك ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقول فتأمل وتبين كيف كان غب أمر

(١) لعله مقرهم وحرر اه مصححه

---

مطلعون ه الجحيم ه لتردين ه المحضرين ه بميتين ه لا بمعذبين ه العظيم ه العاملون ه الزقوم ه للظالمين ه الجحيم ه لا لان ما بعده صفة لشجرة الشياطين ه البطون ه لا لأن ثم لترتيب الاخبار حميم ه الجحيم ه ج ضالين ه لا للعطف مع اتصال المعنى يهرعون ه الأولين ه منذرين ه المنذرين ه لا المخلصين ه المجيبون ه ز العظيم ه ز الباقين ه ز فى الآخرين ه لا لان ما بعده مفعول تركنا على سبيل الحكاية العالمين ه المحسنين ه المؤمنين ه الآخرين ه ۞ التفسير انه سبحانه بدأ فى أول هذه السورة بالتوحيد كما ختم السورة المتقدمة بذكر المعاد وأقسم على المطلوب بثلاثة أشياء أما الحكمة فى القسم فكما مر فى أول سورة يس وأما الاقسام بغير الله وصفاته فلا نسلم أنه لا يجوز لله سبحانه او هو على عادة العرب أو المراد تعظيم هذه الأشياء وتشريفها أو المراد رب هذه الاشياء بحذف المضاف قال الواحدى ادغام التاء فى الصاد حسن وكذا التاء فى الزاى وفى الذال لتقارب مخارجها ألا ترى أن التاء والصاد هما من طرف اللسان وأصول الثنايا ويجتمعان فى الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم فى الاطباق والصفير وادغام الأنقص فى الأزيد حسن وأيضا الزاى مجهورة وفيها زيادة صفير ثم المقسم بها فى الآيات اما أن تكون صفات ثلاثا لموصوف واحد أو صفات لموصوفات متباينة وأما التقدير الأول ففيه وجوه الأول أنها صفة الملائكة لانهم صفوف فى السماء كصفوف المصلين فى الارض أو أنهم يصفون أجنحتهم فى الهواء واقفين منتظرين لأمر الله تعالى والصف ترتيب الشئ على نسق الفاعل صاف والجماعة صافة والصافات جمع الجمع ولولا ذلك لقيل والصافين قال الحكيم يشبه أن يكون معنى كونهم صفوفا أن لكل منهم مرتبة معينة فى الشرف أو بالغلبة والزجر سوق السحاب قال ابن عباس يعني الملائكة الموكلين بالسحاب الذين

الذين أنذرتهم أنبياؤنا والى ما صار أمرهم وما الذي أعقبهم كفرهم بالله ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة وقوله إلا عباد الله المخلصين يقول تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله الذين أخلصناهم للايمان بالله وبرسله واستثنى عباد الله من المنذرين لأن معنى الكلام فانظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المؤمنين فلذلك حسن استثناؤهم منهم وبنحو الذي قلنا في قوله الا عباد الله المخلصين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله الا عباد الله المخلصين قال الذين استخلصهم الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد نادانا نوح بمسئلته ايانا اهلاك قومه فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الى قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقوله فلنعم المجيبون يقول فلنعم المجيبون كنا له اذ دعانا فأجبناله دعاءه فأهلكنا قومه ونجيناه وأهله يعني أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة وقد ذكرناهم فيما مضى قبل وبينا اختلاف العلماء في عددهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون قال أجابه الله وقوله من الكرب العظيم يقول من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين ومن كرب الطوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ونجيناه وأهله من الكرب العظيم قال من الغرق قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يقول وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح الى اليوم انما هم ذرية نوح فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح والسودان أولاد حام بن نوح وبذلك جاءت الآثار وقالت العلماء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال فالناس كلهم من ذرية نوح حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يقول لم يبق الا ذرية نوح ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وتركنا عليه في الآخرين وأبقينا عليه يعني على نوح ذكرا جميلا وثناء حسنا في الآخرين يعني فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وتركنا عليه في الآخرين يقول يذكر بخير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتركنا عليه في الآخرين يقول جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتركنا عليه في الآخرين قال أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين

وقال آخرون أراد زجرهم الناس عن المعاصي بالخواطر والالهامات أو بدفع تعرض الشياطين عن بني آدم والتاليات الذين يتلون كتاب الله على الانبياء والحاصل أن كونهم صافين اشارة الى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها أعني وقوفهم في مواقف العبودية والطاعة وكونهم زاجرين اشارة الى كيفية تأثيراتها في ازالة ما لا ينبغي من جواهر الأرواح البشرية وكونهم تالين اشارة الى كيفية تأثيراتها في افاضة الجلايا القدسية والأنوار الالهية على الأرواح الانسانية الوجه الثاني أنها صفات النفوس الانسانية المقبلة على عبودية الله وعبادته وهم ملائكة الأرض أقسم بنفوس المصلين بالجماعات الزاجرين أنفسهم عن الشهوات أو عن إلقاء وساوس الشيطان في قلوبهم أثناء الصلوات بتقديم الاستعاذة أو برفع الأصوات التالين للقرآن في الصلاة وغيرها أو أقسم بنفوس العلماء الصافات لأجل الدعوة الى دين الله الزاجرات عن الشبهات والمنهيات بالمواعظ والنصائح الدارسات شرائع الله وكتبه لوجه الله أو أقسم بنفوس المجاهدين في سبيل الله كقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا والزجرة والصيحة سواء والمراد رفع الصوت بزجر الخيل وأما التاليات فذلك أنهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة القرآن وذكر الله يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يخرج من الصف وسيفه ينطف دما فاذا رقي ربوة يأتي بالخطبة الغراء الوجه الثالث أنها صفات آيات القرآن وذلك أنها أنواع مختلفة بعضها دلائل التوحيد وبعضها دلائل العلم والقدرة وبعضها دلائل النبوة وبعضها دلائل المعاد وبعضها بيان التكاليف والأحكام وبعضها تعليم الأخلاق الفاضلة وكلها مترتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فكأنها أجرام واقفة في صفوف معينة ولا ريب أنها تزجر المكلفين عن المناهي والمنكرات وأما نسبة التلاوة إليهن فمجاز كما يقال شعر شاعر والفاء في هذه الوجوه لترتب الصفات

حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أسباط عن السدى قوله وتركنا عليه فى الآخرين قال الثناء الحسن وقوله سلام على نوح فى العالمين يقول أمنة من الله لنوح فى العالمين أن يذكره أحد بسوء وسلام مرفوع بعلى وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول معناه وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح أى تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول قرأت من القرآن الحمد لله رب العالمين فتكون الجملة فى معنى نصب وترفعها باللام كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى وهو فى تأويل نصب قال ولو كان تركنا عليه سلاما كان صوابا وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره انا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه فى رضانا فأنجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وأبقينا عليه ثناء فى الآخرين كذلك نجزى الذين يحسنون فيطيعوننا وينتهون الى أمرنا ويصبرون على الأذى فينا وقوله انه من عبادنا المؤمنين يقول ان نوحا من عبادنا الذين آمنوا بنا فوحدونا وأخلصوا لنا العبادة وأفردونا بالالوهة وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول تعالى ذكره ثم أغرقنا حين نجينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بقى من قومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أغرقنا الآخرين قال أنجاه الله ومن معه فى السفينة وأغرق بقية قومه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ يقول تعالى ذكره وان من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لابراهيم خليل الرحمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان من شيعته لابراهيم يقول من أهل دينه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وان من شيعته لابراهيم قال على منهاج نوح وسنته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وان من شيعته لابراهيم قال على منهاجه وسنته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من شيعته لابراهيم قال على دينه وملته حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان من شيعته لابراهيم قال من أهل دينه وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك وان من شيعة محمد لابراهيم وقال ذلك مثل قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم بمعنى أنا حملنا ذرية من هم منه فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم وقوله اذ جاء ربه بقلب سليم يقول تعالى ذكره اذ جاء ابراهيم ربه بقلب سليم من الشرك مخلص له التوحيد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ جاء ربه بقلب سليم والله من الشرك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله اذ جاء ربه بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد بقلب سليم قال لا شك فيه * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على قال ثنا هشام عن أبيه قال يا بنى لا تكونوا لعانين ألم تروا الى ابراهيم لم يلعن شيأ قط فقال الله اذ جاء ربه بقلب سليم وقوله اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون يقول حين قال يعنى ابراهيم لأبيه وقومه أى شئ تعبدون وقوله أئفكا آلهة دون الله تريدون

فى الفضل فالفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو بالعكس فلكل وجه ويحتمل وان لم يذكره جار الله أن تكون لترتيب معانيها فى الوجود كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * كأنه قال (٤٤) الذى صبح فغنم فآب مثاله المصلون يقفون أولا صفوفا ثم يزجرون الوساوس عنهم بالاستعاذة ثم يشتغلون بالقراءة وأما التقدير الثانى وهو أن يكون المراد بهذه الأمور الثلاثة موصوفات متغايرة فالصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله أو الصافات طائفة من الملائكة أو من الأشخاص الانسانية وكل من الزاجرات والتاليات طائفة أخرى وقيل الصافات العالم الجسمانى المنضود كرة فوق كرة من الأرض الى الفلك الأعظم والزاجرات الأرواح المدبرة للاجسام بالتحريك والتصريف والتاليات الأرواح المستغرقة فى بحار معرفة الله تعالى والثناء عليه والفاء على هذه المعانى لترتب الموصوفات فى الفضل ثم انه سبحانه لم يقتصر فى اثبات التوحيد على الحلف ولكنه عقبه بالدليل الباهر فقال (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) فلكل كوكب مشرق ومغرب بل للشمس ولسائر السيارات وللثوابت فى كل يوم مشرق آخر بحسب تباعدها عن منطقة المعدل وتقاربها منها وانما اقتصر على ذكر المشارق لشرفها ولدلالتها على المغارب كقوله سرابيل تقيكم الحر ثم بين أنه جعل الكواكب بحيث يشاهدها الناس من السماء الدنيا وهى تأنيث الأدنى لمنفعتين الاولى تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان والزينة مصدر كالنسبة أو اسم لما يزان به الشئ كالليقة لما تلاق به الدواة ثم من قرأ بالاضافة فلها وجوه أن يكون مصدرا مضافا الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب والى المفعول أى بأن زان الله تعالى الكواكب وحسنها فى أنفسها فان النور والضوء أحسن الصفات وأكملها وكذا أشكالها المختلفة

تريدون يقول أكذبا معبودا غير الله تريدون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما ظنكم برب العالمين • فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لأبيه وقومه فما ظنكم برب العالمين يقول فأي شئ تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم ان لقيتموه وقد عبدتم غيره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما ظنكم برب العالمين يقول اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم فرأى نجما قد طلع فعصب رأسه وقال اني مطعون وكان قومه يهربون من الطاعون فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم ويخرجوا عنه ليخالفهم اليها فيكسرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال اني مطعون فتركوه مخافة الطاعون حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم رأى نجما طلع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه رأى نجما طلع فقال اني سقيم قال كايد نبي الله عن دينه فقال اني سقيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قالوا لابراهيم وهو في بيت آلهتهم اخرج معنا فقال لهم اني مطعون فتركوه مخافة أن يعديهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن أبيه في قول الله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال أرسل اليه ملكهم فقال ان غدا عيدنا فاحضر معنا قال فنظر الى نجم فقال ان ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي فقال اني سقيم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يقول الله فتولوا عنه مدبرين وقوله اني سقيم أي طعين أو لسقم كانوا يهربون منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذي يريد واختلف في وجه قيل ابراهيم لقومه اني سقيم وهو صحيح فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثني هشام عن محمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبي قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم في شئ قط الا في ثلاث ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن المسيب بن رافع عن أبي هريرة قال ما كذب ابراهيم غير ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وانما قاله موعظة وقوله حين سأله الملك فقال أختي لسارة وكانت امرأته حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال ان ابراهيم ما كذب الا ثلاث كذبات ثنتان في الله وواحدة في ذات نفسه فأما الثنتان فقوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقصته في سارة وذكر قصتها

---

كشكل الثريا وبنات النعش والجوزاء وسائر الصور المتوهمة من الخطوط التي تنتظم طائفة منها وقد ترتقي الى نيف وأربعين منها صور البروج الاثني عشر وبالجملة اشراق الجواهر الزواهر وتلألؤها على بسيط أزرق بنظام مخصوص مما يروق الناظر ويجوز أن يقع الكواكب بيانا للزينة وهي اسم لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به فيكون كخاتم فضة ويجوز أن يراد بالزينة ما زينت به الكواكب كما روى عن ابن عباس أنه فسر الزينة بالضوء ومن قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب فعلى الابدال ومن قرأ بتنوين زينة ونصب الكواكب فعلى أنه بدل من محل بزينة أو من السماء أو على أن المراد بتزيينها الكواكب كما في أحد وجوه الاضافة قوله (وحفظا) فيه وجوه أحدها أنه محمول على المعنى والتقدير انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين وثانيها أن يقدر مثل الفعل المتقدم للتعليل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وثالثها قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لأنه قد دل على فعله بما تقدم تقول افعل ذلك وكرامة أي وأكرمك كرامة وذلك لما علم أن الأسماء لا تعطف على الأفعال فالتقدير وحفظناها حفظا قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب فأخبروا صنعاءهم فجعل الله الكواكب في زمن محمد صلى الله عليه وسلم بحيث تحرقهم وتحفظ أهل السماء من إصغائهم قال الحكيم ليس المراد بالكواكب الحافظة أنفس الكواكب المركوزة في الأفلاك والا لوقع نقصان ظاهر في أعدادها بل المراد ما يضاهيها من الشهب الحادثة عند كرة النار من الأبخرة المرتفعة وقد مر تحقيق ذلك في أول سورة الحجر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ان الشياطين لهم حذق كامل في استخراج الصنائع الدقيقة فاذا عرفوا هذه الحالة

بالتجربة فلم لا يمنعون منه وايضا انهم مخلوقون من النار والنار كيف تؤثر في النار وايضا مقر الملائكة السطح الظاهر من الفلك الأعلى وانهم
لا يصعدون الا الى قريب من الفلك الأدنى  فكيف يسمعون كلام الملائكة والجواب أنا لا نسلم حذقهم في كل الأمور ولهذا
جاء في وجوه تسخيرهم ما جاء على أن موضع الاستراق والاحتراق غير متعين ووقوع هذه الحالة أيضا كالنادر فلعل المسترق يكون غير واقف عليه والنيران بعضها أقوى من البعض وليس الشيطان نارا صرفا ولكن النارى غالب عليه ولا نسلم أن الملائكة لا ينزلون الى الفلك الأخير باذن الله والمارد الخارج من الطاعة وقد مر اشتقاقه في قوله مردوا على النفاق والضمير في قوله (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه في معنى الجمع والتسمع تكلف السماع سمع أو لم يسمع وقد ضمن معنى الاصغاء فلذلك عدى بالى وقيل معنى سمعت اليه صرفت الى جهته سمعى قال جار الله هذه الجملة لا يصح أن تكون صفة لأن الحفظ من شياطين غير سامعين أو مستمعين لا معنى له ولا يصح أن يكون استئنافا لأن سائلا لو سأل لم يحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ به لاقتصاص حال المسترقة للسمع قلت لو كان صفة باعتبار ما يؤول اليه حالهم جاز وكذا ان كان مستأنفا كأنه قيل لم يحفظ فأجيب لأنهم يؤلون الى كذا ومن هنا زعم بعضهم أن أصله لئلا يسمعوا لهم فحذفت اللام ثم أن وأهدر عملها كما في قول القائل
* ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى *
ورد عليه في الكشاف ان حذف اللام في قولك جئتك أن تكرمنى وحذف أن في قول الشاعر جائز
فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات قلت ان القرآن حجة على غيره مع أن قول الشاعر أيضا لا يصح الا بتقدير اللام قراء
أو من مع أن والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات وعن ابن عباس أراد أشراف الملائكة وعنه الكتبة من الملائكة والقذف

وقصة الملك * وقال آخرون ان قوله اني سقيم كلمة فيها معراض ومعناها أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم وان لم يكن به حين قالها سقم ظاهر والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا القول وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق دون غيره وقوله فتولوا عنه مدبرين يقول فتولوا عن ابراهيم مدبرين عنه خوفا من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به كما حدثت عن يحيى بن زكريا عن بعض أصحابه عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس اني سقيم يقول مطعون فتولوا عنه مدبرين قال سعيد ان كان الفرار من الطاعون لقديما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتولوا فنكصوا عنه مدبرين منطلقين وقوله فراغ الى آلهتهم يقول تعالى ذكره فمال الى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا وأرى ان أصل ذلك من قولهم راغ فلان عن فلان اذا حاد عنه فيكون معناه اذا كان كذلك فراغ عن قومه والخروج معهم الى آلهتهم كما قال عدى بن زيد

حين لا ينفع الرواغ ولا ينـ * ـفع الا المصادق النحرير

يعني بقوله لا ينفع الرواغ الحياد أما أهل التأويل فانهم فسروه بمعنى فمال ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فراغ الى آلهتهم أي فمال الى آلهتهم قال ذهب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فراغ الى آلهتهم قال ذهب وقوله فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون هذا خبر من الله عن قيل ابراهيم للآلهة وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو فقرب اليها الطعام فلم يرها تأكل فقال لها ألا تأكلون فلما لم يرها تأكل قال لها مالكم لا تأكلون فلم يرها تنطق فقال لها مالكم لا تنطقون مستهزئا بها وكذلك ذكر أنه فعل بها وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقال ألا تأكلون يستنطقهم مالكم لا تنطقون

القول في تأويل قوله تعالى (فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) يقول تعالى ذكره فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين بفأس في يده يكسرهن كما حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك فذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبل عليهم يكسرهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين ثم جعل يكسرهن بفأس في يده وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى فراغ عليهم ضربا بالقوة والقدرة ويقول اليمين في هذا الموضع القوة وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع الحلف ويقول جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله فراغ عليهم صفقا باليمين وروى نحو ذلك عن الحسن حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا خالد بن عبد الله الحشمى قال سمعت الحسن قرأ فراغ عليهم صفقا باليمين أي ضربا باليمين وقوله فأقبلوا اليه يزفون اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض

قراء الكوفة فأقبلوا اليه يزفون بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم زفت النعامة وذلك أول عدوها وآخر مشيها ومنه قول الفرزدق

وجاء قريع الشول قبل إفالها * يزف وجاءت خلفه وهي زفف

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة يزفون بضم الياء وتشديد الفاء من أزف فهو يزف وكان الفراء يزعم أنه لم يسمع في ذلك الا زففت ويقول لعل قراءة من قرأ يزفون بضم الياء من قول العرب أطردت الرجل أى صيرته طريدا وطردته اذا أنت خسأته اذا قلت اذهب عنا فيكون يزفون أى جاؤا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة فتدخل الألف كما تقول أحمدت الرجل اذا أظهرت حمده وهو محمد اذا رأيت أمره الى أحمد ولم تنشر حمده قال وأنشدني المفضل

تمنى حصين أن يسود جذاعه * فأمسى حصين قد أذل وأقهرا

فقال أقهر وانما هو قهر ولكنه أراد صار الى حال قهر وقرأ ذلك بعضهم يزفون بفتح الياء وتخفيف الفاء من وزف يزف وذكر عن الكسائى أنه لا يعرفها وقال الفراء لا أعرفها الا أن تكون لغة لم أسمعها وذكر عن مجاهد أنه كان يقول الوزف النسلان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اليه يزفون قال الوزيف النسلان * والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب والذى عليه قراءة الفصحاء من القراء وقد اختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم معناه فأقبل قوم ابراهيم الى ابراهيم يجرون ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فأقبلوا اليه يزفون فأقبلوا اليه يجرون * وقال آخرون أقبلوا اليه يمشون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى في قوله فأقبلوا اليه يزفون قال يمشون * وقال آخرون معناه فأقبلوا يستعجلون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن أبيه فأقبلوا اليه يزفون قال يستعجلون قال يزف يستعجل وقوله قال أتعبدون ما تنحتون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أتعبدون ما تنحتون الأصنام وقوله والله خلقكم وما تعملون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه والله خلقكم أيها القوم وما تعملون وفي قوله وما تعملون وجهان أحدهما أن يكون قوله ما بمعنى المصدر فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم والآخر أن يكون بمعنى الذى فيكون معنى الكلام عند ذلك والله خلقكم والذى تعملونه أى والذى تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس والأشياء التى كانوا ينحتون منها أصنامهم وهذا المعنى الثانى قصد ان شاء الله قتادة بقوله الذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم وما تعملون بأيديكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم لما قال لهم ابراهيم أتعبدون ما تنحتون

الرمي بحجر تقول قذفته بحجر أى رميت اليه حجرا وقوله (من كل جانب) اى مرة من هذا الجانب ومرة من هذا الجانب وقيل من كل الجوانب (دحورا) أى طردا مع صغار مصدر من غير لفظ الفعل لان القذف والطرد متغايران كأنه قيل يقذفون قذفا أو يدحرون دحورا ويجوز أن يكون مفعولا له أى لأجل الدحور أو مصدرا في موضع الحال أى مدحورين كقوله مذموما مدحورا (ولهم) أى للشياطين (عذاب واصب) دائم وقدمر في النحل في قوله وله الدين واصبا يعنى أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب ولهم في الآخرة نوع من العذاب غير منقطع (الامن خطف) في محل الرفع بدلا من الواو في لا يسمعون أى لا يسمع الا الشيطان الذى اختلس الكلمة مسارقة وقيل وثب وثبة وقيل الاستثناء منقطع خبره (فأتبعه) أى أتبعه ورمى في أثره (شهاب ثاقب) مضىء أو ماض فاذا قذفوا احترقوا وقيل تصيبهم آفة فلا يعودون وقيل لا يقتلون بالشهب بل يحس بذلك فلا يرجع ولهذا لا يمتنع غيره من ذلك وقيل يصيبهم مرة ويسلمون مرة فصاروا في ذلك كراكبي السفينة للتجارة وحين بين الوحدانية ودلائلها في أول هذه السورة أراد أن يذكر ما يدل على الحشر والكلام فيه من طريقين الأول أن يقال قدر على الأصعب فيقدر على الأسهل بالأولى الثاني قدر في أول الأمر فيقدر في الحالة الثانية أما الطريق الأول فاشار اليه بقوله (فاستفتهم) أى سل قومك أو صاحبهم وأراد بمن خلقنا ما ذكرنا من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب والشياطين وغلب أولى العقل على غيرهم وقيل أراد عادا وثمود ومن قبلهم من الامم الخالية والقول الأول أقوى بدليل فاء التعقيب ولاطلاق قوله خلقنا اكتفاء ببيان ما تقدم كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق فاستخبرهم أهم أشد خلقا أم هذه الخلائق ومن هان عليه هذه كان خلق البشر بل اعادته عليه أهون وأما الطريق الثاني

فاليه الاشارة بقوله (انا خلقناهم من طين لازب) أى لازم والباء بدل من الميم عند أكثرهم ولهذا قال ابن عباس هو الملتصق من الطين الحر
وقال مجاهد والضحاك هو المنتن ووجه (٤٨) الاستدلال أن هذا الجسم لو لم يكن قابلا للحياة لم يقبلها من أول الامر واذا قبلها أولا
فلا يبقى ريب في قبولها ثانيا وقادرية
الله تعالى باقية على حالها فالاعادة
أمر ممكن وقد أخبر الصادق عن
وقوعها فيجب وقوعها وفي هذا
الطريق الثاني تقوية للطريق الأول
فان خلقهم من الطين شهادة عليهم
بالضعف والرخاوة ثم بين أنهم مع
قيام الحجج الضرورية عليهم مصرون
على الانكار فقال (بل عجبت) من
قرأ بفتح التاء فظاهر أى عجبت يا محمد
من تكذيبهم وإنكارهم البعث (و) هم
(يسخرون) من تعجبك أو عجبت
من القرآن حين أعطيته ويسخر
أهل الكفر منه ومن قرأ بالضم
فأورد عليه أن التعجب على الله غير
جائز لأنه روعة تعترى الشخص
عند استعظام الشئ وقيل هذه حالة
تحصل عند الجهل بصفة الشئ
وأجيب ثانيا معناه قل يا محمد بل
عجبت سلمنا لكن العجب هو أن
يرى الانسان ما ينكره الكافر والانكار
من الله تعالى غير منكر سلمنا لكن
هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة
على النهايات كالمكر والاستهزاء
والمعنى بلغ من عظم آياتي وكثرة
خلائقي أني استعظمتها فكيف
بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم
يسخرون منها أو استعظمت
انكارهم البعث ممن هذا افعاله وهم
يسخرون ممن يصف الله تعالى
بالقدرة عليه نظيره الآية وان تعجب
فعجب قولهم عند من يرى أن
العجب من الله وقد جاء في الحديث
يعجب ربك من الشاب ليس له
صبوة وقال أيضا عجب ربكم من
ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته والأل التضرع ثم حكى عنهم أنه كما أن دأبهم السخرية عند ايراد البراهين فكذلك معونته
دأبهم أنهم اذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) بينة كانشقاق القمر وغيره من المعجزات (يستسخرون) يبالغون في السخرية

والله خلقكم وما تعملون ابنوا لابراهيم بنيانا ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور ثم نقلوا اليه الحطب وأوقدوا عليه فألقوه في الجحيم والجحيم عند العرب جمر النار بعضه على بعض والنار على النار وقوله فأرادوا به كيدا يقول تعالى ذكره فأراد قوم ابراهيم بابراهيم كيدا وذلك ما كانوا أرادوا من احراقه بالنار يقول الله فجعلناهم أى فجعلنا قوم ابراهيم الأسفلين يعني الأذلين حجة وغلبنا ابراهيم عليهم بالحجة وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين قال فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم وقوله وقال انى ذاهب الى ربي سيهدين يقول وقال ابراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم انى ذاهب الى ربي يقول انى مهاجر من بلدة قومي الى الله أى الى الأرض المقدسة ومفارقهم فمعتزلهم لعبادة الله وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انى ذاهب الى ربي سيهدين ذاهب بعمله وقلبه ونيته * وقال آخرون في ذلك انما قال ابراهيم انى ذاهب الى ربي حين أرادوا أن يلقوه في النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت سليمن بن صرد يقول لما أرادوا أن يلقوا ابراهيم في النار قال انى ذاهب الى ربي سيهدين فجمع الحطب فجاءت عجوز على ظهرها حطب فقيل لها أين تريدين قالت أريد أذهب الى هذا الرجل الذي يلقى في النار فلما ألقي فيها قال حسبي الله عليه توكلت أو قال حسبي الله ونعم الوكيل قال فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال فقال ابن لوط أو ابن أخي لوط ان النار لم تحرقه من أجلي وكان بينهما قرابة فأرسل الله عليه عنقا من النار فأحرقته وانما اخترت القول الذي قلت في ذلك لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من احراقه قال انى مهاجر الى ربي ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه انى مهاجر الى أرض الشام فكذلك قوله انى ذاهب الى ربي لأنه كقوله انى مهاجر الى ربي وقوله سيهدين يقول سيثبتني على الهدى الذي أبصرته ويعينني عليه وقوله رب هب لي من الصالحين وهذا مسئلة ابراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا يقول قال يا رب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك ولا يعصونك ويصلحون في الارض ولا يفسدون كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله رب هب لي من الصالحين قال ولدا صالحا وقال من الصالحين ولم يقل صالحا من الصالحين اجتزاء بمن من ذكر المتروك كما قال عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين بمعنى زاهدين من الزاهدين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني انى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره فبشرنا ابراهيم بغلام حليم يعني بغلام ذي حلم اذا هو كبر فأما في طفولته في المهد فلا يوصف بذلك وذكر أن الغلام الذي بشر الله به ابراهيم اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فبشرناه بغلام حليم قال هو اسحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبشرناه بغلام حليم بشر باسحق قال لم يثن بالحلم على أحد غير اسحق وابراهيم وقوله فلما بلغ معه السعي يقول فلما بلغ الغلام الذي بشر به ابراهيم مع ابراهيم العمل وهو السعي وذلك حين أطاق

أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ونسبوا ما رأوه الى السحر فالحاصل أنه لاتفيد معهم البراهين الضرورية ولا المقدمات الوعظية ولا المعجزات الدالة على صدق اخبارك بالبعث قوله (أو آباؤنا) من قرأ بسكون الواو (٤٩) فمعطوف على محل اسم ان ومن قرأ بفتحها فعليه أو على الضمير في مبعوثون وحسن الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وعلى الأول أرادوا انكار أن يبعث واحد منهم أو من آبائهم فأرغمهم الله سبحانه بقوله (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون أذلاء واذا كان كذلك (فانما هي) أي البعثة أو هو مبهم يوضحه خبره (زجرة) واحدة يعني صيحة النفخة الثانية (فاذا هم ينظرون) أراد أنهم أحياء بصراء أو أراد أنهم ينظرون أمر الله فيهم (وقالوا ياويلنا) الظاهر أن كلامهم يتم عند قوله تكذبون يقوله الكفرة فيما بينهم وقيل ان كلامهم يتم عند قوله ياويلنا ثم قال الله أو الملائكة (هذا يوم الدين) الجزاء والحساب (هذا يوم الفصل) القضاء والفرق بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) بالكفر أو بالفسق يعني رؤساءهم وهذا الحشر بمعنى الجمع لأنه بعد البعث أي اجمعوهم (وأزواجهم) أي أشكالهم الذين على دينهم وسيرتهم الزاني مع الزاني والسارق مع السارق والشارب مع الشارب وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على ملتهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام (فاهدوهم) ادعوهم أو قدموهم والسابق يسمى الهادي أو دلوهم (الى صراط الجحيم) وسطها أو طريقها لأنه قال بعد ذلك (وقفوهم) أي احبسوهم للسؤال كأنهم اذا انتهوا الى الجحيم سئلوا تهكما وتوبيخا بالعجز عن التناصر (مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله وحقيقته طلب كل منهم سلامة نفسه فقال المفسرون ان أبا جهل قال يوم بدر

معونته على عمله وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلما بلغ معه السعي يقول العمل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فلما بلغ معه السعي قال لما شب حتى أدرك سعيه سعي ابراهيم في العمل حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال لما شب حين أدرك سعيه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فلما بلغ معه السعي قال سعي ابراهيم حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فلما بلغ معه السعي سعي لابراهيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلما بلغ معه السعي قال السعي ههنا العبادة * وقال آخرون معنى ذلك فلما مشى مع ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما بلغ معه السعي أي لما مشى مع أبيه وقوله قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك يقول تعالى ذكره قال ابراهيم خليل الرحمن لابنه يابني اني أرى في المنام أني أذبحك وكان فيما ذكر أن ابراهيم نذر حين بشرته الملائكة باسحق ولدا أن يجعله اذا ولدته سارة لله ذبيحا فلما بلغ اسحق مع أبيه السعي أري ابراهيم في المنام فقيل له أوف لله بنذرك ورؤيا الأنبياء يقين فلذلك مضى لما رأى في المنام وقال له ابنه اسحق ما قال ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال قال جبرائيل لسارة أبشري بولد اسمه اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضربت جبهتها عجبا فذلك قوله فصكت وجهها وقالت أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب الى قوله حميد مجيد قالت سارة لجبريل ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح فلما كبر اسحق أتى ابراهيم في النوم فقيل له أوف بنذرك الذي نذرت ان الله رزقك غلاما من سارة أن تذبحه فقال لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى اذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام ياأبت أين قربانك قال يابني اني رأيت في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال له اسحق ياأبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحزن وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فاذا أتيت سارة فاقرأ عليها مني السلام فأقبل عليه ابراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكي واسحق يبكي حتى استنقع الدموع تحت خد اسحق ثم انه جر السكين على حلقه فلم تحك السكين وضرب الله صفيحة من نحاس على حلق اسحق فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه وحز من قفاه فذلك قوله فلما أسلما يقول سلما لله الأمر وتله للجبين فنودي ياابراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق فالتفت فاذا بكبش فأخذه وخلى عن ابنه فأكب على ابنه يقبله وهو يقول اليوم يابني وهبت لي فلذلك يقول الله وفديناه بذبح عظيم فرجع الى سارة فأخبرها الخبر فجزعت سارة وقالت ياابراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يابني اني أرى في المنام أني أذبحك قال رؤيا الأنبياء حق اذا رأوا في المنام

نحن جميع منتصر فيوبخ على ذلك يوم القيامة ثم حكى أنهم فى جهنم يتساءلون تساؤل التخاصم وذلك أن أتباعهم (قالوا) لرؤسائهم (انكم كنتم

تأتوننا عن اليمين) وفيه وجوه الاول أنها استعارة  عن الخيرات والسعادات وذلك أن الجانب الايمن أشرف من الايسر شرعا

وعرفا كان رسول الله يحب التيامن فى كل شئ ولهذا أمرت الشريعة بمباشرة أفاضل الامور باليمين وأراذلها بالشمال وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيآت ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسىء بالضد وما جعلت يمنى الا للتيمن بها ولذلك تيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح فقيل أتاه عن اليمين أى من قبل الخير وناحيته فصدته عنه وأضله قال جار الله من المجاز ما غلب عليه الاستعمال حتى لحق بالحقيقة وهذا من ذاك لأن اليمين كالحقيقة فى الخير ثم صار قولك أتاه عن اليمين مجازا فى المعنى المذكور الثانى أن يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بمنزلة رفيعة فكأنهم قالوا انكم كنتم تخدعوننا وتوهموننا أننا عندكم بمحل رفيع فوثقنا بكم وقبلنا عنكم الثالث اليمين الحلف كان الكفار قد حلفوا لهؤلاء الضعفة أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم وتمسكوا بعهودهم الرابع أن اليمين القوة والقهر فبها يقع البطش غالبا أى كنتم تأتوننا عن القهر والغلبة حتى حملتمونا على الضلال وكما أن الضمير فى قالوا الاول كان عائدا الى الاتباع بقرينة الخطاب فالضمير فى قالوا الثانى يعود الى الرؤساء لمثل تلك القرينة والمعنى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه كما أعرضنا (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما) مختارين الطغيان وهذا مثل محاجة ابليس وما كان لى عليكم من سلطان

شيأ فعلوه حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال رؤيا الانبياء وحى ثم تلا هذه الآية انى أرى فى المنام أنى أذبحك وقوله فانظر ماذا ترى اختلفت القراء فى قراءة قوله ماذا ترى فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة و بعض قراء أهل الكوفة فانظر ماذا ترى بفتح التاء بمعنى أى شئ تأمر أو فانظر ما الذى تأمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ماذا ترى بضم التاء بمعنى ماذا تشير وماذا ترى من صبرك أو جزعك من الذبح * والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه ماذا ترى بفتح التاء بمعنى ماذا ترى من الرأى فان قال قائل أو كان ابراهيم يؤامر ابنه فى المضى لأمر الله والانتهاء الى طاعته قيل لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه فى طاعة الله ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذى هو عليه فيسر بذلك أم لا وهو فى الأحوال كلها ماض لأمر الله وقوله قال يا أبت افعل ما تؤمر يقول تعالى ذكره قال اسحق لأبيه يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحى ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يقول ستجدنى ان شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا وقال افعل ما تؤمر ولم يقل ما تؤمر به لأن المعنى افعل الأمر الذى تؤمره وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله انى أرى فى المنام افعل ما أمرت به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما أسلما أمرهما لله وفوضاه اليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد وحدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن صالح قالا ثنا عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فلما أسلما قال اتفقا على أمر واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قوله فلما أسلما وتله للجبين قال أسلما جميعا لأمر الله و رضى الغلام بالذبح و رضى الأب بأن يذبحه فقال يا أبت اقذفنى للوجه كيلا تنظر الى فترحمنى وأنظر أنا الى الشفرة فأجزع ولكن أدخل الشفرة من تحتى وامض لأمر الله فذلك قوله فلما أسلما وتله للجبين فلما فعل ذلك ناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أسلما قال أسلم هذا نفسه لله وأسلم هذا ابنه لله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلما أسلما قال أسلما ما أمرا به حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أسلما يقول سلما لأمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما أسلما أى سلم ابراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه حين عرف أن الله أمره بذلك فيه وقوله وتله للجبين يقول وصرعه للجبين والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها وللوجه جبينان والجبهة بينهما و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وتله للجبين قال وضع وجهه للارض قال لا تذبحنى وأنت تنظر الى وجهى عسى أن ترحمنى ولا تجهز

الا أن دعوتكم فاستجبتم (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون) قال مقاتل أراد قوله لأملأن جهنم والمعنى أنه على

ما أخبر عن وقوعنا فى العذاب وكان خبر الله حقا فلا جرم وجب وقوعنا فى العذاب قال جار الله لو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون

ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم يتكلمون بذلك عن انفسهم وكلا الاستعمالين شائع (فأغويناكم انا كنا غاوين) اى اقدمنا على إغوائكم
لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية كأنهم قالوا ان اعتقدتم أن غوايتكم  بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء

على" اربط يدي" الى رقبتي ثم ضع وجهي للارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتله للجبين أى وكبه لفيه وأخذ الشفرة وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا حتى بلغ وفديناه بذبح عظيم حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس وتله للجبين قال أكبه على جبهته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتله للجبين قال جبينه قال أخذ جبينه ليذبحه حدثنا ابن سنان قال ثنا حجاج عن حماد عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قال ابن عباس ان ابراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب به جبريل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم تله للجبين وعلى اسمعيل قميص أبيض فقال له يا أبت انه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره هذا فاخلعه حتى تكفنني فيه فالتفت ابراهيم فاذا هو بكبش أعين أبيض فذبحه فقال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع هذا الضرب من الكباش وقوله وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وهذا جواب قوله فلما أسلما ومعنى الكلام فلما أسلما وتله للجبين ناديناه أن يا ابراهيم وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما وحتى اذا وتلقيها ويعني بقوله قد صدقت الرؤيا التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك وقوله انا كذلك نجزي المحسنين يقول انا كما جزيناك بطاعتنا يا ابراهيم كذلك نجزي الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا وعملوا في رضانا وقوله ان هذا لهو البلاء المبين يقول تعالى ذكره ان أمرنا اياك يا ابراهيم بذبح ابنك اسحق لهو البلاء يقول لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة وكان ابن زيد يقول البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هذا لهو البلاء المبين قال هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه صدقت الرؤيا ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك قال وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ وقوله وفديناه بذبح عظيم يقول وفدينا اسحق بذبح عظيم والفدية الجزاء يقول جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم وأنقذناه من الذبح * واختلف أهل التأويل في المفدي من الذبح من ابني ابراهيم فقال بعضهم هو اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مبارك عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثني الحسين بن يزيد بن اسحق قال ثنا ابن ادريس عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال الذي أمر بذبحه ابراهيم هو اسحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس الذبيح اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو اسحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا

غاو آخر لزم التسلسل فعلمنا أن غوايتنا أيضا من الله كما مر في قوله فحق علينا قول ربنا هذا تفسير أهل السنة وأما المعتزلة فيفسرون الآيات هكذا قالوا بل لم تكونوا مؤمنين أي كنتم مختارين الكفر على الايمان وما سلبنا تمكنكم من تسلط بل اخترتم أنتم الطغيان فحق علينا وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة فأغويناكم فدعوناكم الى الغي لأنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا وحين حكى كلام الاتباع والمتبوعين أنتج من ذلك قوله (فانهم) جميعا (يومئذ) أي يوم القيامة (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية ولعل للمتبوعين عذابا زائدا للاغواء ولكن الزيادة لا تنافي الاشتراك في أصل الشئ (انا كذلك) أي مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم أي كافر بدليل قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) يأبون من قبوله والجملة الشرطية خبر كان وهو مع الاسم والخبر خبر إن وان ألغيت كان فالخبر يستكبرون واذا ظرفه (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) عنوا محمدا صلى الله عليه وسلم بين أنهم منكرون للتوحيد وللنبوة جميعا فرد عليهم بقوله (بل جاء) متلبسا (بالحق وصدق المرسلين) وفيه تنبيه على أن التوحيد دين كل الانبياء ثم صدقهم في قولهم فحق علينا قول ربنا ونقل الكلام من الغيبة الى الحضور للمبالغة قائلا
(انكم لذائقوا العذاب الأليم) ثم كأن لقائل ان يقول كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عبيده فقال (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) فالحكمة اقتضت الأمر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود بهما الا بالترغيب

والترهيب واذا وقع الاخبار عنه وجب تحققه صونا للكلام عن الكذب هـذا بتفسير المعتزلة أشبه والسنى يقول لا اعتراض عليه فى شئ
ولا يسئل عما يفعل قال جار الله (الا عباد الله) (٥٣) استثناء منقطع أى لكن عباد الله (المخلصين أولئك لهم رزق) قلت يجوز أن يكون
الاستثناء متصلا والمعنى وما تجزون الا ما كنتم تعملون من غير زيادة الا المخلصين فان جزاءهم بالأضعاف ويحتمل أن يكون الخطاب فى قوله انكم للمكلفين جميعا فيصح الاستثناء المتصل مطلقا أى تذوقون العذاب الأليم قوله (معلوم) قيل أى معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم القدر على حسب استحقاقهم وقيل أراد أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع ثم فسر ذلك الرزق بأنه (فواكه) فقيل ان الفاكهة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وأرزاق أهل الجنة كلها كذلك لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فلذلك سمى رزقهم فاكهة وقيل أراد به التنبيه بالأدنى على الأعلى فاذا كانت الفاكهة حاضرة أبدا كان الطعام أولى بالحضور وحيث بين الأكل ذكر أن ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال (وهم مكرمون) اذ الاكل الخالى عن التعظيم يليق بالبهائم وحين ذكر مأكولهم وصف مسكنهم وهيئة جلوسهم فقال (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) وقد مر فى الحجر ثم وصف مشروبهم قال أهل اللغة لا يسمى الاناء كاسا الا اذا كان فيها خمر
وقد تسمى الخمر نفسها كاسا عن الأخفش كل كاس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس والمعين النهر الجارى على
وجه الأرض وأصله معيون لانه الظاهر للعيون أو من عين الماء وقد يقال عان الماء يعين اذا ظهر جاريا قاله ثعلب وقيل فعيل من المعن

شعبة عن أبى اسحق عن أبى الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار قال ثنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن الزهرى عن العلاء بن حارثة الثقفى عن أبى هريرة عن كعب فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال من ابنه اسحق حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا زكريا وشعبة عن ابن اسحق عن مسروق فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن زيد ابن أسلم عن عبيد بن عمير قال هو اسحق حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمير قال قال موسى يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فبم قالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى عليه وان اسحق جاد لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى أى رب بم أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب ما أعطيتهم فذكر معنى حديث عمرو بن على حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبى سنان الشيبانى عن ابن أبى الهذيل قال الذبيح هو اسحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب أن عمرو بن أبى سفيان ابن أسيد بن حارثة الثقفى أخبره أن كعبا قال لأبى هريرة ألا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم النبى قال أبو هريرة بلى قال كعب لما أرى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت سارة غدا لبعض حاجته قال الشيطان لا والله ما لذلك غدا به قالت سارة فلم غدا به قال غدا به ليذبحه قالت سارة ليس من ذلك شئ لم يكن ليذبح ابنه قال الشيطان بلى والله قالت سارة فلم يذبحه قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن بأن يطيع ربه ان كان أمره بذلك فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك اسحق وهو يمشى على اثر أبيه فقال أين أصبح أبوك غاديا بك قال غدا بى لبعض حاجته قال الشيطان لا والله ما غدا بك لبعض حاجته ولكن غدا بك ليذبحك قال اسحق ما كان أبى ليذبحنى قال بلى قال لم قال زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحق فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه قال فتركه الشيطان وأسرع الى ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال غدوت به لبعض حاجتى قال أما والله ما غدوت به الا لتذبحه قال لم أذبحه قال زعمت أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان أمرنى بذلك ربى لأفعلن قال فلما أخذ ابراهيم اسحق ليذبحه وسلم اسحق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال ابراهيم لاسحق قم أى بنى فان الله قد أعفاك وأوحى الله الى اسحق انى قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم انى أدعوك أن تستجيب لى أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فأدخله الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر عن محمد بن مسلم الزهرى عن أبى سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة عن أبى هريرة عن كعب الأحبار أن الذى أمر ابراهيم بذبحه من ابنيه اسحق وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذى كان فيه قال الله لاسحق

انى

وهو المنقعة أو الماء الشديد الجرى ومنه أمعن فى السير أى بالغ فيه واشتد وصف الخمر بما يوصف به الماء لأنها تجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء و بيضاء صفة للكأس قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (٥٣) و (لذة) اما مصدر وصف بها للمبالغة كأنها نفس اللذة او هى تأنيث اللذ واللذ واللذيذ واحد كالطب والطبيب ثم بين أن خمر الجنة لا تغتال العقول يقال غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده وفيه تعريض بخمور الدنيا ولهذا قدم الظرف وبنى الكلام على الاسم فى قوله (ولا هم عنها ينزفون) أى يسكرون وخص هذا الوصف بالذكر لأنه أعظم المفاسد فى شرب الخمر يقال نزف الشارب على البناء للمفعول اذا ذهب عقله والتركيب يدور على الفناء والنفاد ومنه نزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وأنزف مثله ومعناه صار ذا نزف وعن بعضهم أن معنى قوله ولا هم عنها ينزفون هو أن الشراب لا ينقطع عنهم لئلا يلزم نوع من التكرار والأولون حملوه على المبالغة ثم وصف منكوحهم بقوله (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابساتها عن غير أزواجهن كقوله عربا والعين جمع العيناء مؤنث الأعين وهو كبير العين ثم شبههن ببيض النعام المكنون فى وكناتها وذلك لأن فيها بياضا يشوبه قليل من الصفرة واذا كانت مستورة فى أماكنها كانت مصونة عن الغبرة والتغير فكانت فى غاية الحسن وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور ثم عطف على قوله يطاف قوله فأقبل وهو مضارع فى المعنى الا أنه على عادة الله تعالى فى الاخبار ولعل هذا التذاكر عقيب اطافة الكاس فلهذا جىء بالفاء بخلاف ما مر فى تخاصم أهل النار والمراد أنهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة أهل المنادمة والعشرة قال بعضهم

وما بقيت من اللذات الا ۞ أحاديث الكرام على المدام

وقد حكى من جملة مكالماتهم تذكرهم أنه كان قد حصل لهم فى الدنيا

انى قد أعطيتك بصبرك لأمرى دعوة أعطيك فيها ما سألت فسلنى قال رب أسألك أن لا تعذب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك فكانت تلك مسئلته التى سأل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا اسرائيل عن جابر عن ابن سابط قال هو اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا سفيان بن عقبة عن حمزة الزيات عن أبى ميسرة قال قال يوسف للملك فى وجهه ترغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * قال ثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل قال قال يوسف للملك فذكر نحوه * وقال آخرون الذى فدى بالذبح العظيم من ابنى ابراهيم اسمعيل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب واسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر قال الذبيح اسمعيل حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنى بيان عن الشعبى عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن محمد بن ميمون السكرى عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال ان الذى أمر بذبحه ابراهيم اسمعيل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن على بن زيد عن عمار مولى بنى هاشم أو عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال هو اسمعيل يعنى وفديناه بذبح عظيم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا داود عن الشعبى قال قال ابن عباس هو اسمعيل وحدثنى به يعقوب مرة أخرى قال ثنا ابن علية قال سئل داود بن أبى هند أى ابنى ابراهيم الذى أمر بذبحه فزعم أن الشعبى قال قال ابن عباس هو اسمعيل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بيان عن الشعبى عن ابن عباس أنه قال فى الذى فداه الله بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمر بن قيس عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله ابن عباس أنه قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن مبارك عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس الذى فداه الله هو اسمعيل حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا حجاج بن حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل عن ابن عباس مثله حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال الذى أراد ابراهيم ذبحه اسمعيل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى هذه الآية وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل قال وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى قال الذبيح اسمعيل * قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى قال رأيت قرنى الكبش فى الكعبة * قال ثنا ابن يمان عن مبارك بن فضالة عن على ابن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال هو اسمعيل * قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هو اسمعيل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا عوف عن الحسن وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا

ما يوجب لهم الوقوع فى عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالنعيم المقيم وهذا ابتداء الحكاية (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) جليس أو شريك فى الدنيا يقول (٥٤) (أئنك لمن المصدقين) أى بيوم الدين (أئنا لمدينون) لمجزيون من دان يدين اذا جزى وقيل لمسوسون مقهورون من دانه اذا ساسه ومنه الحديث الكيس من دان نفسه وعن بعضهم أراد بالمتحادثين الرجلين المذكورين فى الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (قال) يعنى ذلك القائل أوالله أو بعض الملائكة (هل أنتم مطلعون) الى النار أى هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم منها عن ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى النار (فاطلع) على أهل النار فرأى قرينه (فى سواء الجحيم) وسطها (قال) لقرينه (تالله ان كدت لتردين) ان مخففة واللام فارقة والارداء الاهلاك وبخه على أنه كان يدعوه فى الدنيا الى انكار البعث المتضمن للكفر المؤدى الى الهلاك الحقيق والخطاب مع القرين إما أن يكون بحيث يسمعه حقيقة وذلك لرفع الحجاب وتقريب المسافة أو كما أراد الله بقدرته وإما أن يخاطبه وان لم يمكنه السماع لبعده كما يخاطب الموتى ومن فى حكمهم نظيره ما مر فى قصة صالح فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم الى آخر الآية والله أعلم ثم شكر الله تعالى على أن وفقه لنعمة الاسلام وأرشده الى الحق وعصمه عن الباطل فقال (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) فى النار مثلك أطلق اطلاقا لان الاحضار يستعمل فى الشر غالبا ولاسيما فى اصطلاح القرآن وحين تم كلامه مع الرجل الذى كان قرينا له فى الدنيا وهو الآن من أهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة قائلا (أفما نحن بميتين) وفيه قولان أحدهما أن أهل الجنة لا يعلمون فى أول دخولهم الجنة أنهم لا يموتون فيستفهمون عن ذلك فيما بينهم أو يسألون الملائكة فاذا جىء بالموت على صورة كبش أملح وذبح فمنذ ذلك يعلمون نحو

سلمة عن ابن اسحق قال سمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبح ابنه اسمعيل وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين يقول بشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحق وله فيه من الله الموعود ماوعده الله وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنه كان لا يشك فى ذلك أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق سمعت محمد بن كعب القرظى يقول ذلك كثيرا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لأراه كما هو ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم فحسن اسلامه وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد ابن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال اسمعيل والله يا أمير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن اسحق أبوهم فالله أعلم أيهما كان كل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه حدثنى محمد ابن عمار الرازى قال ثنا اسمعيل بن عبيد بن أبى كريمة قال ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى عن عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبى سفيان عن أبيه قال ثنى عبد الله بن سعيد عن الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك عليه السلام فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل واسمعيل الثانى حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفديناه بذبح عظيم قال الذى فدى به اسمعيل ويعنى تعالى ذكره الكبش الذى فدى به اسحق والعرب تقول لكل ما أعد للذبح ذبح وأما الذبح بفتح الذال فهو الفعل «قال أبو جعفر» وأولى القولين بالصواب فى المفدى من ابنى ابراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو اسحق لأن الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذى بشر به ابراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين فقال رب هب لى من الصالحين فاذ كان المفدى بالذبح من ابنيه هو المبشر به وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بشر به هو اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقال جل ثناؤه فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيره اياه بولد فانما هو معنى به اسحق كان بينا أن تبشيره اياه بقوله فبشرناه بغلام حليم فى هذا الموضع

انهم لايموتون والتقدير نحن مخلدون منعمون فما من شأننا أن نموت ولا ان نعذب وثانيهما ان هذا مما يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله سبحانه واغتباطا بحاله فان الذى يتكامل خيره وسعادته اذا عظم تعجبه بها قد يقول  أفيدوم هذا لى وان كان على يقين من دوامه

نحو سائر أخباره فى غيره من آيات القرآن و بعد فان الله أخبر جل ثناؤه فى هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته اياه أن يهب له من الصالحين ومعلوم أنه لم يسأله ذلك الا فى حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين لأنه لم يكن له من ابنيه إلا امام الصالحين وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه فى هبة ما قد كان أعطاه و وهبه له فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذى ذكر تعالى ذكره فى هذا الموضع هو الذى ذكر فى سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه اسحق اذ كان المفدى هو المبشر به وأما الذى اعتل به من اعتل فى أنه اسمعيل أن الله قد كان وعد ابراهيم أن يكون له من اسحق ابن ابن فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذى قد تقدم فان الله انما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعى وتلك حال (٣) غير ممكن أن يكون قد كان ولد لاسحق فيها أولاد فكيف الواحد وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد ابراهيم بقوله و بشرناه باسحق نبيا ولو كان المفدى هو اسحق لم يبشر به بعد وقد ولد و بلغ معه السعى فان البشارة بنبوة اسحق من الله فيما جاءت به الاخبار جاءت ابراهيم واسحق بعد أن فدى تكرمة من الله له على صبره لامر ربه فيما امتحنه به من الذبح وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا فى الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام الى مكة وقد روى عن جماعة من أهل العلم أن ابراهيم انما أمر بذبح ابنه اسحق بالشام وبها أراد ذبحه * واختلف أهل العلم فى الذبح الذى فدى به اسحق فقال بعضهم كان كبشا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبى الطفيل عن على وفديناه بذبح عظيم قال كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسمرة فى ثبير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال كبش قال عبيد بن عمير ذبح بالمقام وقال مجاهد ذبح بمنى فى المنحر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن سعيد عن ابن عباس قال الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن عكرمة أن ابن عباس كان أفتى الذى جعل عليه أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الابل قال فقال ابن عباس بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فان الله قال فى كتابه وفديناه بذبح عظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وفديناه بذبح عظيم قال ذبح كبش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفديناه بذبح عظيم قال قال ابن عباس التفت فاذا كبش فأخذه فذبحه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وفديناه بذبح عظيم قال كان الكبش الذى ذبحه ابراهيم رعى فى الجنة أربعين سنة وكان كبشا أملح صوفه مثل العهن الأحمر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفديناه بذبح قال بكبش حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ليث قال قال مجاهد الذبح العظيم شاة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بذبح عظيم قال بكبش وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا شريك

وأيضا انه قال ذلك بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزجرا احتج نفاة عذاب القبر بقوله الا موتتنا الاولى فانه يدل على ان الانسان لا يموت الا موتة واحدة ولو حصلت الحياة فى القبر لكان الموت حاصلا مرتين وأجيب بأن المراد بالموتة الاولى كل ما يقع فى الدنيا وقوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) يجوز أن يكون من تمام كلامه لقرينه تقريعا له وتوبيخا وأن يكون من قول أهل الجنة فيما بينهم أى ان هذا الامر الذى نحن فيه أو هو قول الله تصديقا لهم وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون ولا خلاف أن قول ذلك خير من كلام الله عز وجل كأنه لما تم قصة المؤمن رجع الى ذكر الرزق المعلوم فاستفهم للتقرير ان ذلك الرزق (خير نزلا أم شجرة الزقوم) قال جار الله أصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل تلك الشجرة الألم والغم ويمكن أن يقال النزل ما يقدم للضيف ومعلوم أنه لا خير فى شجرة الزقوم ولكنهم وبخوا على ذلك وظاهر القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم والرائحة مؤلمة التناول صعبة الابتلاع الا أن المفسرين اختلفوا فى ماهيتها فذكر قطرب أنها شجرة مرة تكون بتهامة وقال غيره انها ليس لها فى الدنيا وجود بدليل قوله (انا جعلناها فتنة للظالمين) وذلك أنها خلاف المألوف والمعتاد فاذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله تعالى واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن فى القرآن ويزيد فى شبهته كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل انما كانت فتنة لهم لانهم اذا كلفوا تناولها شق ذلك عليهم

عن ليث عن مجاهد وفديناه بذبح عظيم قال الذبح الكبش حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال التفت يعنى ابراهيم فاذا بكبش فأخذه وخلى عن ابنه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الذبح العظيم الكبش الذى فدى الله به اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة بن دعامة عن جعفر بن اياس عن عبدالله بن العباس فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم ابنه واتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الأولى فرمى بسبع حصيات فأفلته عنده فجاء الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه عند ميزاب الكعبة قد حش يعنى يبس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ابن اسحق ويزعم أهل الكتاب الاول وكثير من العلماء أن ذبيحة ابراهيم التى فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين حدثنا عمرو بن عبدالحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال بكبش * وقال آخرون كان ذلك الذبح وعلا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن رجل عن أبى صالح عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال كان وعلا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول مافدى اسمعيل الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للذبح الذى فدى به اسحق عظيم فقال بعضهم قيل ذلك كذلك لأنه كان رعى فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عبدالله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال رعى فى الجنة أربعين خريفا * وقال آخرون قيل له عظيم لأنه كان ذبحا متقبلا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عظيم قال متقبل حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فى وفديناه بذبح عظيم قال العظيم المتقبل * وقال آخرون قيل له عظيم لأنه ذبح ذبح بالحق وذلك ذبحه بدين ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما يقول الله وفديناه بذبح عظيم لذبيحته التى ذبح فقط ولكنه الذبح على دينه فتلك السنة الى يوم القيامة فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء فضحوا عباد الله «قال أبو جعفر» ولا قول فى ذلك أصح مما قال الله جل ثناؤه وهو أن يقال فداه الله بذبح عظيم وذلك أن الله عم وصفه اياه بالعظم دون تخصيصه فهو كما عمه به وقوله وتركنا عليه فى الآخرين يقول تعالى ذكره وأبقينا عليه فيمن بعده الى يوم القيامة ثناء حسنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتركنا عليه فى الآخرين قال أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتركنا عليه فى الآخرين قال سأل ابراهيم فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين قال فترك الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين كما ترك اللسان السوء

فهو كقوله يوم هم على النار يفتنون وذكر المفسرون أن ابن الزبعرى قال لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر وافريقية الزبد والتمر وذكروا أيضا أن أبا جهل (٥٦) أدخلهم بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا الذى يوعدكم محمد به فأنزل الله صفة الزقوم وذكر بقية أوصاف الشجرة منها (انها تخرج فى أصل الجحيم) أى منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وفيه تكذيب للطاعنين فيه كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر ومنها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) قال جار الله الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية وذلك أن يكون وجه الاستعارة مجرد الطلوع أى الظهور أو معنوية وذلك اذا كان يشبه الطلع شكلا ولونا وفى تشبيه ثمرتها برؤس الشياطين أقوال أحدها وهو الأقوى انه تمثيل وتخييل وذلك أن الشيطان مثل فى القبح ونفرة الطباع عنه كما أن الملك مثل فى الحسن وميل النفوس اليه واذا كان الشيطان كله مستقبحا فرأسه كذلك وتشبيه الثمرة برأسه أولى للاستدارة وللتوسط فى الجحيم الثانى أن الشيطان ههنا نوع من الحيات تعرفها العرب خفاف لها أعراف ورؤس قباح الثالث أنه شجر معروف عند العرب قبيح الاعالى يسمى الاستن وثمره يسمى رؤس الشياطين الرابع قال مقاتل رؤس الشياطين حجارة سود تكون حول مكة ولعل هذا بل الثالث والثانى أيضا يعود الى الاول لأنه بعد التسمية كأنه صار أصلا يشبه به ثم علل جعل الشجرة فتنة للظالمين بقوله (فانهم لآكلون منها) أى من طلعها (فمالؤن منها البطون) أى بطونهم إما لأن شدة الجوع تحملهم على تناول ذلك الشئ الكريه وإما لأن على الزبانية يقسرونهم على أكلها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش أو أخذتهم الغصة فيسقون من حميم وهو الماء الشديد الحرارة

وقد وصفه الله سبحانه في قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه والشوب المزج كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وهو تسمية بالمصدر والمراد أن الطعام ممزوج بالحميم أو يسقون صديدا  أو شرابا حارا ممزوجا بما هو أحر وهو الحميم

على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء وقيل معنى ذلك وتركنا عليه في الآخرين السلام وهو قوله سلام على ابراهيم وذلك قول يروى عن ابن عباس تركنا ذكره لأن في اسناده من لم نستجز ذكره وقد ذكرنا الأخبار المروية في قوله وتركنا عليه في الآخرين فيما مضى قبل وقيل معنى ذلك وتركنا عليه في الآخرين أن يقال سلام على ابراهيم وقوله سلام على ابراهيم يقول تعالى ذكره أمنة من الله في الأرض لابراهيم أن لا يذكر من بعده الا بالجميل من الذكر وقوله كذلك نجزي المحسنين يقول كما جزينا ابراهيم على طاعته ايانا واحسانه في الانتهاء الى أمرنا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين يقول ان ابراهيم من عبادنا المخلصين لنا الايمان

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ يقول تعالى ذكره وبشرنا ابراهيم باسحق نبيا شكرا له على احسانه وطاعته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر به بعد ذلك نبيا بعدما كان هذا من أمره لما جاد لله بنفسه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس الذبيح اسحق قال وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر بنبوته قال وقوله ووهبنا له أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب الله له نبوته حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر ابن سليمن قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال انما بشره به نبيا حين فداه من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده حدثني الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن داود عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله وبشرناه باسحق نبيا قال انما بشر بالنبوة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر ابراهيم باسحق حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بنبوته حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن شيخ من أهل المسجد قال بشر ابراهيم لسبع عشرة ومائة سنة وقوله وباركنا عليه وعلى اسحق يقول تعالى ذكره وباركنا على ابراهيم وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن يعني بالمحسن المؤمن المطيع لله المحسن في طاعته اياه وظالم لنفسه مبين ويعني بالظالم لنفسه الكافر بالله الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه مبين يعني الذي قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله محسن وظالم لنفسه مبين قال المحسن المطيع لله والظالم لنفسه العاصي لله

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد تفضلنا على موسى وهرون ابني عمران فجعلناهما نبيين ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبودة آل فرعون ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط

ومعنى ثم التراخي في الزمان كأنهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة تكميلا للتعذيب أو التراخي بالرتبة لأن الشراب أبشع من الطعام بكثير قال مقاتل معنى ثم في قوله (ثم ان مرجعهم) أنهم يخرجون من الجحيم ودركاتها الى موضع فيه الزقوم والحميم وبعد الأكل والشرب يردون الى موضعهم أي من الجحيم فكأنهم في وقت الأكل والشرب لا يعذبون بالنار وقيل هو كقولهم فلان يرجع الى مال ونعمة أي هو فيها وقيل ثم لتراخي الاخبار أي فقد صح أن مرجع الكفار الى النار وقيل ثم مع الجملة قد تدل على التقديم أي قبل ذلك كان مرجعهم الى الجحيم ثم بين أن سبب وقوعهم في أصناف العذاب المذكور هو التقليد والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يساقون سوقا ولو لم يوجد في ذم التقليد الا هذه الآية لكفى ثم أراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا بقوله (ولقد ضل قبلهم) أي قبل قومك (أكثر الأولين) ثم استثنى من قوله ولقد ضل أو من المنذرين المهلكين عباده المخلصين فان عاقبتهم كانت حميدة ثم سلاه بوقائع الامم الخالية تفصيلا وقدم قصة نوح عليه السلام لكونه أبا ثانيا ونداؤه في قوله رب انصرني بما كذبون أو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف أو للابتداء والمخصوص بالمدح وهو نحن محذوف والجمع لتصوير العظمة والكبرياء وفيه وفي فاء التعقيب في فلنعم دليل على أن نداء العظيم الكبير حقيق بأن يكون مقرونا بالاجابة والكرب العظيم ما هو فيه من مخاوف الطوفان أو من ايذاء قومه مع اليأس من ايمانهم وهذا أقرب

عن السدى فى قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم قال من الغرق حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم أى من آل فرعون وقوله
ونصرناهم يقول ونصرنا موسى وهرون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم فكانوا هم الغالبين
لهم وقال بعض أهل العربية انما أريد بالهاء والميم فى قوله ونصرناهم موسى وهرون ولكنها
أخرجت على مخرج مكنى الجمع لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبى والأمير وشبهه الى الجمع بجنوده
وأتباعه والى التوحيد لأنه واحد فى الأصل ومثله على خوف من فرعون وملئهم وفى موضع آخر
وملئه قال وربما ذهبت العرب بالاثنين الى الجمع كما تذهب بالواحد الى الجمع فتخاطب الرجل
فتقول ما أحسنتم ولا أجملتم وانما تريده بعينه وهذا القول الذى قاله هذا الذى حكينا قوله
فى قوله ونصرناهم وان كان قولا غير مدفوع فانه لاحاجة بنا الى الاحتيال به لقوله ونصرناهم لأن
الله أتبع ذلك قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ثم قال ونصرناهم يعنى هما وقومهما لأن
فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بنى اسرائيل قد استضعفوهم يذبحون أبناءهم ويستحيون
نساءهم فنصرهم الله عليهم بأن غرقهم ونجى الآخرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وآتيناهما
الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى
وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين} يقول تعالى ذكره وآتينا موسى
وهرون الكتاب يعنى التوراة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناهما
الكتاب المستبين التوراة ويعنى بالمستبين المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه وقوله
وهديناهما الصراط المستقيم يقول تعالى ذكره وهدينا موسى وهرون الطريق المستقيم الذى
لا اعوجاج فيه وهو الاسلام دين الله الذى ابتعث به أنبياءه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهديناهما
الصراط المستقيم الاسلام وقوله وتركنا عليهما فى الآخرين يقول وتركنا عليهما فى الآخرين
بعدهم الثناء الحسن عليهما وقوله سلام على موسى وهرون يقول وذلك أن يقال سلام على
موسى وهرون وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول هكذا نجزى أهل طاعتنا والعاملين بما
يرضينا عنهم انهما من عبادنا المؤمنين يقول ان موسى وهرون من عبادنا المخلصين لنا الايمان
۞ القول فى تأويل قوله تعالى {وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا
وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله
المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين} يقول تعالى ذكره وان الياس وهو الياس بن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون بن عمران فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل انه
إدريس حدثنا بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان يقال
الياس هو ادريس وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل وقوله لمن المرسلين يقول جل ثناؤه لمرسل من
المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون يقول حين قال لقومه من بنى اسرائيل ألا تتقون الله أيها القوم
فتخافونه وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله والها سواه وتذرون أحسن الخالقين يقول
وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق وقد اختلف فى معنى بعل فقال بعضهم معناه أتدعون ربا
وقالوا هى لغة لأهل اليمن معروفة فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى

ابن

وفى قوله (هم الباقين) بصيغة الحصر دلالة على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ذريته
وهم سام وحام و يافث فسام أبو العرب (٥٨) وفارس والروم وحام أبو السودان شرقا وغربا و يافث أبو الترك والخزر و يأجوج
ومأجوج وتركنا عليه فى المتأخرين
من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام
على نوح) ومعنى (فى العالمين)
أن هذه التحية ثبتها الله فيهم فيسلم
الثقلان عليه الى يوم القيامة ثم بين
أن سبب هذه التشريفات هو
كونه محسنا وهذا جزاء كل محسن
ثم بين أن احسانه كان مسبوقا
بايمانه فعلى كل مؤمن أن يجتهد
حتى يصير محسنا وحين تم ما آل
اليه أمر نوح وذريته ذكر عاقبة سائر
قومه فقال (ثم أغرقنا الآخرين)
أعاذنا الله من الاغراق والاحراق
وجعل فلكنا فلك نوح وسفرنا
متضمنا للنصر والفتوح ۞ التأويل
والصافات اشارة الى ما جاء أن
الارواح خلقت قبل الأجساد
فى أربعة صفوف الأول للانبياء
والثانى للاولياء والثالث للمؤمنين
والرابع لأهل الكفر فالزاجرات
هى الالهامات الربانية للعوام عن
المناهى وللخواص عن رؤية
الأعمال وللأخص عن الالتفات
الى غير الله فالتاليات ذكرا هم
الذين يذكرون الله فى الخلوات
بخلوص النيات رب سموات
القلوب وأرض النفوس وما بينهما
من صفاتهما ورب مشارق القلوب
يطلع منها شموس الشواهد وأقمار
الطوالع ونجوم اللوامع السماء
الدنيا هى الرأس وكواكبها
الحواس والشهب هى الخواطر
الرحمانية تدفع بها الوساوس
الشيطانية طين لازب أى لاصق
بكل ما يصادفه فقوم لصقوا بالدنيا
وقوم لصقوا بالآخرة وقوم لصقوا بنفحات ألطاف الحق فأذابتهم وجذبتهم عن أنانيتهم بهويتها كتذيب
الشمس الثلج وتجذبه عنه وقفوهم انهم مسؤلون للسالك فى كل مقام وقفة تناسب ذلك المقام وهو سؤل عن أداء حقوق ذلك المقام

فقوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملك والاولون أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف والآخرون قسمان قوم لهم أعمال يسترها
الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة كما قال أوليائي تحت قبابي  لا يعرفهم غيري وقوم لهم ذنوب لا يطلع عليها الا الله

فيسترها عليهم كما جاء ذكره في الحديث ان الله يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته الا موتتنا الأولى وهي الموتة الارادية عن الصفات النفسانية وبعد ذلك لا موت بل ينتقل من دار الى دار لمثل هذا فليعمل العاملون بل لمثل هذه الأمور تبذل الأرواح وتفدى الأشباح كما قيل شعر

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه *
وان بات من ليلى على اليأس والصد

ثم أخبر بعد قصة الأولياء عن قصة الأعداء بقوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم وفي قوله كأنه رؤس الشياطين دليل على أن أفعالهم كانت في قبح صفات الشياطين فكانت مكافآتهم من جنس صورة الشياطين سلام على نوح في العالمين انه تعالى سلم على نوح الروح لانه يحتاج الى سلام الله ليعبر على الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ولهذا يكون دعوة الرسل حينئذ رب سلم سلم وانما اختصوا بالصراط والعبور عليه ليؤدوا الامانة التي حملوها الى أهلها

وهو الله سبحانه وتعالى ﴿وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم

ابن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة في قوله أتدعون بعلا قال إلها حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عمارة عن عكرمة في قوله أتدعون بعلا يقول أتدعون ربا وهي لغة أهل اليمن تقول من بعل هذا الثور أي من ربه حدثني زكريا بن يحيى ابن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أتدعون بعلا قال ربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أتدعون بعلا قال هذه لغة باليمانية أتدعون ربا دون الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله أتدعون بعلا قال ربا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن عبد الله بن أبي يزيد قال كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية أتدعون بعلا قال فسكت ابن عباس فقال رجل أنا بعلها فقال ابن عباس كفاني هذا الجواب * وقال آخرون هو صنم كان لهم يقال له بعل وبه سميت بعلبك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أتدعون بعلا يعني صنما كان لهم يسمى بعلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال بعل صنم كانوا يعبدون كانوا ببعلبك وهم وراء دمشق وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون * وقال آخرون كان بعل امرأة كانوا يعبدونها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله وللبعل في كلام العرب أوجه يقولون لرب الشيء هو بعله يقال هذا بعل هذه الدار يعني ربها ويقولون لزوج المرأة بعلها ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء ولم يكن سقيا هو بعل وهو العذي وذكر أن الله بعث الى بني اسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن بوزا وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال ان الله قبض حزقيل وعظمت في بني اسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله اليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هرون بن عمران نبيا وانما كانت الانبياء من بني اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة فكان الياس مع ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له أحاب كان اسم امرأته أربل وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان سائر بني اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل الا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فجعل الياس يدعوهم الى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيئا الا ما كان من ذلك الملك والملوك متفرقة بالشام كل ملك له ناحية منها يأكلها فقال ذلك الملك الذي كان الياس معه يقوم له أمره ويراه على هدى من بين أصحابه يوما يا إلياس والله ما أرى ما تدعو اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا يعدد ملوكا من ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون

ضر باباليمين فأقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين (٦٠) رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان إلياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وإن لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون

الله

وينعمون مملكين ما ينقص دنياهم أمرهم الذى تزعم أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل فيزعمون والله أعلم أن الياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه عبد الأوثان وصنع ما يصنعون فقال الياس اللهم ان بنى اسرائيل قد أبوا الا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك فغير ما بهم من نعمتك أو كما قال حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال فذكر لى أنه أوحى اليه انا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك واليك حتى تكون أنت الذى تأذن فى ذلك فقال الياس اللهم فأمسك عليهم المطر فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والهوام والدواب والشجر وجهد الناس جهدا شديدا وكان الياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بنى اسرائيل قد استخفى شفقا على نفسه منهم وكان حيثما كان وضع له رزق وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقى منهم أهل ذلك المنزل شرا ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا الياس لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس فآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى الى إلياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بنى اسرائيل من البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بحبس المطر عن بنى اسرائيل فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال أى رب دعنى أنا الذى أدعو لهم وأكون أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك قيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال لهم انكم قد هلكتم جهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وغرور أو كما قال لهم فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه وأن الذى أدعوكم اليه الحق فاخرجوا بأصنامكم هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم اليه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به الى الله من احداثهم الذى لا يرضى فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ثم قالوا لالياس يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس باذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون ثم ترامى اليه السحاب ثم أدحست ثم أرسل المطر فأغاثهم فحييت بلادهم وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه اليه فيريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى بلد كذا وكذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى اذا كان فى البلد الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل اليه فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه فانطلق به فناداه اليسع يا الياس يا الياس ما تأمرنى فكان آخر عهدهم به فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار فى الملائكة فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا واختلفت القراء فى قراءة قوله

أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون
أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه (٦١) و بين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون

الله ربكم ورب آبائكم الأولين فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة الله ربكم ورب آبائكم الأولين رفعا على الاستئناف وأن الخبر قد تناهى عند قوله أحسن الخالقين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة الله ربكم و رب آبائكم الأولين نصبا على الرد على قوله وتذرون أحسن الخالقين على أن ذلك كله كلام واحد * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مع استفاضة القراءة بهما فى القراء فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ذلك معبودكم أيها الناس الذى يستحق عليكم العبادة ربكم الذى خلقكم ورب آبائكم الماضين قبلكم لا الصنم الذى لا يخلق شيأ ولا يضر ولا ينفع وقوله فكذبوه فانهم لمحضرون يقول فكذب الياس قومه فانهم لمحضرون يقول فانهم لمحضرون فى عذاب الله فيشهدونه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانهم لمحضرون فى عذاب الله الا عباد الله المخلصين يقول فانهم يحضرون فى عذاب الله الا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب وتركنا عليه فى الآخرين يقول وأبقينا عليه الثناء الحسن فى الآخرين من الأمم بعده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سلام على إلياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره أمنة من الله لآل ياسين

واختلفت القراء فى قراءة قوله سلام على الياسين فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة سلام على الياسين بكسر الألف من الياسين فكان بعضهم يقول هو اسم إلياس و يقول انه كان يسمى باسمين إلياس وإلياسين مثل ابراهيم وابراهام و يستشهد على أن ذلك كذلك بأن جميع ما فى السورة من قوله سلام فانه سلام على النبى الذى ذكر دون آله فكذلك إلياسين انما هو سلام على الياس دون آله وكان بعض أهل العربية يقول الياس اسم من أسماء العبرانية كقولهم اسمعيل واسحق والألف واللام منه و يقول لو جعلته عربيا من الالس فتجعله إفعالا مثل الاخراج والادخال أجرى و يقول قال سلام على الياسين فتجعله بالنون والعجمى من الأسماء قد تفعل به هذا العرب تقول ميكال وميكائيل وميكائين وهى فى بنى أسد تقول هذا اسمعين قد جاء وسائر العرب باللام قال وأنشدنى بعض بنى نمير لضب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

قال فهذا كقوله الياسين قال وان شئت ذهبت بالياسين الى أن تجعله جمعا فتجعل أصحابه داخلين فى اسمه كما تقول لقوم رئيسهم المهلب قد جاءتكم المهالبة والمهلبون فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف والسعدين بالتخفيف وشبهه قال الشاعر

* أنا ابن سعد سيد السعدين * قال وهو فى الاثنين أن يضم أحدهما الى صاحبه اذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر

جزانى الزهدمان جزاء سوء * وكنت المرء يجزى بالكرامه

واسم أحدهما زهدم وقال الآخر

جزى الله فيها الأعورين دمامة * وفروة ثفر الثورة المتضاجم

واسم أحدهما أعور وقرأ ذلك عامة قراء المدينة سلام على آل ياسين بقطع آل من ياسين فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى سلام على آل محمد وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله وان الياس

سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ ۞ القراآت يزفون بضم الياء وكسر الزاى حمزة الباقون بفتح الياء انى أرى أنى أذبحك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وترى بضم التاء وكسر الراء على وخلف وحمزة ستجدنى بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وان الياس موصولا كهمزة الوصل ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بكسر الهمزة الله ربكم ورب بالنصب فى ثلاثتها على البدل سهل و يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد والمفضل الباقون برفعها على الابتداء والخبر آل ياسين بن عامر ونافع ورويس الآخرون إلياسين كأنه جمع الياس لكاذبون آصطفى موصولا والابتداء بكسر الهمزة

يزيد واسمعيل والأصبهانى عن ورش الباقون بفتحها فى الحالين ۞ الوقوف لابراهيم ٥ ط لان التقدير واذكر وجوز فى الكشاف ان يتعلق الظرف بما فى الشيعة من معنى المتابعة فلا وقف سليم ٥ تعبدون ٥ ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد المقول تريدون ٥ ط

بترك الهمز فى ألف الياس و يجعل الألف واللام داخلتين على ياس للتعريف و يقول انما كان اسمه ياس أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك سلام على آلياسين * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه سلام على الياسين بكسر ألفها على مثال ادراسين لأن الله تعالى ذكره انما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم فى هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله فكذلك السلام فى هذا الموضع ينبغى أن يكون على الياس كسلامه على غيره من أنبيائه لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك فان ظن ظان أن الياسين غير الياس فان فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن الياسين هو الياس غنى عن الزيادة فيه مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى سلام على الياسين قال إلياس وفى قراءة عبدالله بن مسعود سلام على ادراسين دلالة واضحة على خطا قول من قال عنى بذلك سلام على آل محمد وفساد قراءة من قرأ وان الياس بوصل النون من ان بالياس و توجيه الألف واللام فيه الى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذى هو ياس وذلك أن عبدالله كان يقول الياس هو ادريس و يقرأ وان ادريس لمن المرسلين ثم يقرأ على ذلك سلام على ادراسين كما قرأ الآخرون سلام على إلياسين فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبدالله لقراءة من قرأ ذلك سلام على آل ياسين بقطع الآل من ياسين ونظير تسمية الياس بالياسين قوله وشجرة تخرج من طور سيناء ثم قال فى موضع آخر وطور سينين وهو موضع واحد سمى بذلك وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره انا هكذا نجزى أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا وقوله انه من عبادنا المؤمنين يقول ان الياس عبد من عبادنا الذين آمنوا فوحدونا وأطاعوا ولم يشركوا بنا شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره وان لوطا لمرسل من المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين يقول اذ نجينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذى أحللناه بقومه فأهلكناهم به الا عجوزا فى الغابرين يقول الا عجوزا فى الباقين وهى امرأة لوط وقد ذكرنا خبرها فيما مضى واختلاف المختلفين فى معنى قوله فى الغابرين والصواب من القول فى ذلك عندنا وقد حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك الا عجوزا فى الغابرين يقول الا امرأته تخلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هيشفع حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الا عجوزا فى الغابرين قال الهالكين وقوله ثم دمرنا الآخرين يقول ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم فأهلكناهم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين و بالليل أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش وانكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارا و بالليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانكم لتمرون عليهم مصبحين قالوا نعم والله صباحا ومساء يطؤنها وطأ من أخذ من المدينة الى الشام أخذ على سدوم قرية قوم لوط حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله لتمرون عليهم مصبحين قال فى أسفاركم وقوله أفلا تعقلون يقول أفليس لكم عقول تتدبرون بها و تتفكرون فتعلمون أن من سلك من عباد الله فى الكفر به و تكذيب رسله مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط نازل بهم من عقوبة الله مثل الذى نزل بهم على كفرهم بالله وتكذيب رسوله

لا ستفهام آخر العالمين ٥ فى النجوم ٥ لا للفاء واتحاد المعنى سقيم ٥ مدبرين ٥ تأكلون ٥ ج للاستفهام مع الاتحاد كما مر لا تنطقون ٥ باليمين ٥ يزفون ٥ تنحتون ٥ لا لان الواو للحال تعملون ٥ فى الجحيم ٥ الأسفلين ٥ سيهدين ٥ الصالحين ٥ حليم ٥ ماذا ترى ط ما تؤمر ز للسين مع اتصال المقول الصابرين ٥ للجبين ٥ ج لاحتمال أن الواو مقحمة وناديناه جواب لما ولاحتمال أن الجواب محذوف أى قبلنا منه وناديناه يا ابراهيم ٥ لا الرؤيا ج لاحتمال أن ما بعده داخل فى حكم النداء أو مستأنف المحسنين ٥ المبين ٥ عظيم ٥ فى الآخرين ٥ لا ابراهيم ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ الصالحين ٥ اسحق ط مبين ٥ وهرون ٥ ج للآية مع العطف العظيم ٥ ج لذلك الغالبين ٥ لا المستبين ٥ ج المستقيم ٥ ج فى الآخرين ٥ لا وهرون ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ المرسلين ٥ لا وجه صحيح وان لم يكن مقصودا فلهذا لم يكن الوقف لازما تتقون ٥ الخالقين ٥ لا لمن قرأ الله بالنصب الاولين ٥ لمحضرون ٥ المخلصين ٥ فى الآخرين ٥ لا الياسين ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ المرسلين ٥ أجمعين ٥ لا الغابرين ٥ الآخرين ٥ مصبحين ٥ لا وبالليل ط تعقلون ٥ المرسلين ٥ لا المشحون ٥ لا المدحضين ٥ ج لحق المحذوف مع الفاء مليم ٥ من المسبحين ٥ لا يبعثون ٥ سقيم ٥ ج يقطين ٥ ج أو يزيدون ٥ ط الى حين ٥ ط البنون ٥ ط شاهدون ٥ ليقولون ٥ لا ولد الله لا تعجيلا لتكذيبهم لكاذبون ٥ البنين ٥ ط لابتداء استفهام آخر تحكمون ٥ تذكرون ٥ ج لأن أم تصلح استئنافا مبين ٥ لا لتعجيل أمر التعجيز صادقين ٥ نسبا ط لمحضرون ٥ لا لتعلق الاستثناء وسبحان الله معترض يصفون ٥ المخلصين ٥ تعبدون ٥ لا بفاتنين ٥ لا الجحيم ٥

رسوله فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله وتكذيب محمد عليه السلام كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفلا تعقلون قال أفلا تتفكرون ما أصابهم فى معاصى الله أن يصيبكم ما أصابهم قال وذلك المرور أن يمر عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ يقول تعالى ذكره وان يونس لمرسل من المرسلين الى أقوامهم اذ أبق الى الفلك المشحون يقول حين فر الى الفلك وهو السفينة المشحون وهو المملوء من الحمولة الموقر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى الفلك المشحون كنا نحدث أنه الموقر من الفلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الفلك المشحون قال الموقر وقوله فساهم يقول فقارع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله فساهم يقول أقرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فساهم فكان من المدحضين قال فاحتبست السفينة فعلم القوم انما احتبست من حدث أحدثوه فتساهموا فقرع يونس فرمى بنفسه فالتقمه الحوت حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فساهم قال قارع وقوله فكان من المدحضين يعنى فكان من المسهومين المغلوبين يقال منه أدحض الله حجة فلان فدحضت أى أبطلها فبطلت والدحض أصله الزلق فى الماء والطين وقد ذكر عنهم دحض الله حجته وهى قليلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكان من المدحضين يقول من المقروعين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من المدحضين قال من المسهومين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فكان من المدحضين قال من المقروعين وقوله فالتقمه الحوت يقول فابتلعه الحوت وهو افتعل من اللقم وقوله وهو مليم يقول وهو مكتسب اللوم يقال قد ألام الرجل اذا أتى ما يلام عليه من الأمر وان لم يلم كما يقال أصبحت محمقا معطشا أى عندك الحمق والعطش ومنه قول لبيد

سفها عذلت ولمت غير مليم * وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأما الملوم فهو الذى يلام باللسان ويعذل بالقول وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهو مليم قال مذنب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو مليم أى فى صنعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهو مليم قال وهو مذنب قال والمليم المذنب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى

---

معلوم ٥ الصافون ٥ ج للعطف مع الاتفاق المسبحون ٥ ج ليقولون ٥ لا من الأولين ٥ لا المخلصين ٥ يعلمون ٥ المرسلين ٥ لان ما بعده يصلح ابتداء مقولا للكلمة المنصورون ٥ ص لعطف الجملتين المتفقتين الغالبون ٥ حين ٥ لا للعطف ولشدة اتصال المعنى يبصرون ٥ يستعجلون ٥ المنذرين ٥ حين ٥ لا يبصرون ٥ عما يصفون ٥ ج لعطف جملتين مختلفتين المرسلين ٥ ج للابتداء بالحمد الذى به يبتدأ الكلام واليه ينتهى مع اتفاق الجملتين العالمين ٥ ۞ التفسير الضمير فى (شيعته) يعود الى نوح والمراد أن ابراهيم ممن شايع نوحا على أصول الدين أو على التصلب فى الدين وقال الكلبى واختاره الفراء إنه يعود الى محمد أى هو على منهاجه ودينه وان كان ابراهيم سابقا والاول أظهر لتقدم ذكر نوح ولما روى عن ابن عباس معناه من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الانبياء هود وصالح وبين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ومعنى (جاء ربه) أقبل بقلبه على الله وأخلص العمل له والقلب السليم قد مر فى الشعراء ثم ذكر من جملة آثار سلامة قلبه أن دعا أباه وقومه الى التوحيد ومعنى (ماذا تعبدون) أى شئ تعبدونه كقوله فى الانبياء ما تعبدون سألهم عن جنس معبوديهم ثم وبخهم على ذلك بقوله (أئفكا) هو مفعول له قدم للعناية كما قدم المفعول به على الفعل لذلك فانه كان الأهم عنده أن يكافحهم ويعنفهم على شركهم وأنهم على افك وباطل ويجوز أن يكون افكا حالا بمعنى أو مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك فى أنفسها (فما ظنكم برب العالمين) حتى جعلتم الجمادات أندادا له أو حسبتم أنه يهمل أمركم ولا يعاقبكم وفيه أنه لا يقدر فى وهم ولا ظن ما يصدر عن عبادته وفى قوله انى سقيم قولان الأول أنه صدر منه كذب للمصلحة رأى فيه ولما جاء فى الحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات

قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها أختى وقد سبق تقرير ذلك فى الانبياء الثانى وهو الأقوى أنه كلام صادق
لان الكذب قبيح وان اشتمل على مصلحة  وأما الحديث فنسبة الراوى الى الكذب أولى من نسبة نبى الله الى ذلك

يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يقول تعالى ذكره فلولا أنه يعنى يونس كان من المصلين لله قبل البلاء الذى ابتلى به من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت للبث فى بطنه الى يوم يبعثون يقول لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء فذكره الله فى حال البلاء فأنقذه ونجاه وقد اختلف أهل التأويل فى وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به فقال لولا أنه كان من المسبحين فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك وقالوا مثل قولنا فى معنى قوله من المسبحين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلولا أنه كان من المسبحين كان كثير الصلاة فى الرخاء فنجاه الله بذلك قال وقد كان يقال فى الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا ما عثر فاذا صرع وجد متكأ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن بعض أصحابه عن قتادة فى قوله فلولا أنه كان من المسبحين قال كان طويل الصلاة فى الرخاء قال وان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشى حدثه قال سمعت أنس بن مالك قال ولا أعلم الا أن أنسا يرفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يونس النبى حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو فى بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فأقبلت الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف فى بلاد غريبة قال أما تعرفون ذلك قالوا يا رب ومن هو قال ذلك عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا يا رب أولا يرحم بما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس فلولا أنه كان من المسبحين قال من المصلين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير فلولا أنه كان من المسبحين قال من المصلين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فلولا أنه كان من المسبحين قال كان له عمل صالح فيما خلا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله من المسبحين قال المصلين حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر قال ثنا ميمون بن مهران قال سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة إن يونس كان عبدا لله ذاكرا فلما أصابته الشدة دعا الله فقال الله لولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فذكره الله بما كان منه وكان فرعون طاغيا باغيا فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال الضحاك فاذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة «قال أبو جعفر» وقيل انما أحدث الصلاة التى أخبر الله عنه بها فقال فلولا أنه كان من المسبحين فى بطن الحوت * وقال بعضهم كان ذلك تسبيحا لا صلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران القطان قال سمعت الحسن يقول فى قوله فلولا أنه كان من المسبحين قال فوالله ما كانت الا صلاة أحدثها

وفى التوجيه وجوه الأول أن النظر فى النجوم يريد به النظر فى علم النجوم وأحكامها وكتبها وذلك ليس بحرام ولاسيما فى ذلك الشرع فليس فيه الا اعتقاد أنه تعالى خص كل واحد من الكواكب بقوة وخاصية يظهر بها منه أثر مخصوص والانسان لا ينفك فى أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة له اما فى بدنه أو فى قلبه فلعل به سقما كالحمى الثابتة أو أراد أنه سيسقم لأمارة نجومية أو أراد به الموت الذى يلحقه لا محالة ولا داء أعيى منه الثانى أن المراد بالنجوم ما جاء فى قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآية أى نظر فيها ليعرف أحوالها وأنها قديمة أو محدثة وقوله انى سقيم أى سقيم القلب غير عارف بربى وكان ذلك قبل البلوغ أو سقيم النفس لكفركم الثالث أن النجوم النبات أى فنظر فيها متحريا منها ما فيه شفاء لسقمهم وهمهم أن به ذلك وكان به وقال الازهرى عن أحمد بن يحيى النجوم جمع نجم وهو كل ما تفرق ومنه نجوم الكتابة أى نظر فى متفرقات كلامهم وأحوالهم حتى يستخرج منه حيلة فلم يجد عذرا أحسن من قوله انى سقيم قال المفسرون كان الطاعون أغلب الأسقام عليهم فظنوا أن به ذلك فتركوه فى بيت الأصنام مخافة العدوى وهربوا الى عيدهم وذلك قوله سبحانه (فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم) ذهب اليها فى خفية حتى لا يرى فكأنه رجع اليها مراوغا قومه من روغان الثعلب وقيل راغ بقوله انى سقيم حتى خلا بها فى
وسماها آلهة على زعمهم وقوله ألا تأكلون مالكم لا تنطقون استهزاء بها وكان عندها طعام زعموا أنها تأكل منه وقيل وضع الطعام ليبارك فيه

وروى أن سدنتها كانوا يأكلون ما يوضع عندها من الطعام وينطقون عند الضعفة عن لسانها يوهمون أنها تأكل وتنطق وانما جاء في هذه السورة فقال ألا تأكلون بالفاء وفي الذاريات قال ألا تأكلون بغير الفاء لأنه قصد  من أول الأمر تقريع من زعم أنها تأكل

في بطن الحوت قال عمران فذكرت ذلك لقتادة فأنكر ذلك وقال كان والله يكثر الصلاة في الرخاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير فالتقمه الحوت وهو مليم قال قال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فلما قالها قذفه الحوت وهو مغرب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون لصار له بطن الحوت قبرا الى يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك قال لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوما وقوله فنبذناه بالعراء يقول فقذفناه بالفضاء من الأرض حيث لا يواريه شئ من شجر ولا غيره ومنه قول الشاعر

ورفعت رجلا لا أخاف عثارها * ونبذت بالبلد العراء ثيابي

يعني بالبلد الفضاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فنبذناه بالعراء يقول ألقيناه بالساحل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناه بالعراء بأرض ليس فيها شئ ولا نبات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله بالعراء قال بالأرض وقوله وهو سقيم يقول وهو كالصبي المنفوس لحم نيء كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وهو سقيم كهيئة الصبي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله ابن أبي سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج به يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه مثل الصبي المنفوس لم ينقص من خلقه شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبي المنفوس قد نشر اللحم والعظم فصار مثل الصبي المنفوس فألقاه في موضع وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وقوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين يقول تعالى ذكره وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ والحنظل ونحو ذلك فهي عند العرب يقطين واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير في قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال هو كل شئ ينبت على وجه الأرض ليس له ساق حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا يزيد قال ثنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير في قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال كل شئ ينبت ثم يموت من عامه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شجرة من يقطين فقالوا عنده القرع قال وما يجعله أحق من البطيخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله شجرة من يقطين قال غير ذات أصل من الدباء أو غيره من نحوه * وقال آخرون هو القرع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنبتنا عليه شجرة

وتشرب وفي الذاريات يستأنف تقديره قربه اليهم فلم يأكلوا فلما رآهم لا يأكلون فقال ألا تأكلون (فراغ عليهم) عداه بعلى لأن الميل الاول كان على سبيل الرفق استهزاء وهذا كان بطريق العنف والقهر وهذا كما يقال في المحبوب مال اليه وفي المكروه مال عليه وقوله (ضربا) مصدر راغ من غير لفظه أو لفعل محذوف أو حال أي يضرب ضربا أو ضاربا ومعنى (باليمين) أي باليد اليمنى لأنها أقوى على الأعمال أو بالقوة مجازا او بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) أي الى ابراهيم (يزفون) يمشون على سرعة وزفيف النعامة ابتداء عدوها ومن قرأ بضم الياء فاما لازم من أزف اذا صار الى حال الزفيف أو متعد والمفعول محذوف أي يزفون دوابهم أو بعضهم بعضا وقد مر نظيره في التوبة في قوله ولأوضعوا خلالكم قال بعض الطاعنين قوله فأقبلوا اليه دل على أنهم عرفوا كاسر أصنامهم وقوله في الانبياء من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم دل على أنهم لم يعرفوا الكاسر فبينهما تناقض وأجيب بأن هؤلاء غير أولئك فالذين عرفوه ذهبوا اليه مسرعين والذين لم يعرفوه بعد استخبروا عنه على أن قوله فأقبلوا اليه لا دلالة له على أنهم عرفوا أن الكاسر هو ابراهيم فلعلهم أقبلوا اليه لأجل السؤال عن الكاسر وحين عاتبوه على فعله أراد أن يبين لهم فساد طريقتهم



(قال أتعبدون ما تنحتون) وذلك أن الناحت لم يحدث فيه الا صورة معينة فيكون معناه ان الشئ الذي لم يكن معبودا لى صار بسبب تصرفي فيه معبودا لى وفساد هذا معلوم بالبديهة احتج جمهور الاشاعرة

من يقطين قال القرع حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال في هذه الآية وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا عبد الله بن داود الواسطي قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنبتنا عليه شجرة من يقطين كنا نحدث أنها الدباء هذا القرع الذي رأيتم أنبتها الله عليه يأكل منها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو صخر قال ثني ابن قسيط أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بالعراء فأنبت الله عليه يقطينة فقلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال الشجرة الدباء هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هشاش فتفشح عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال ابن أبي الصلت قبل الاسلام في ذلك بيتا من شعر

فأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا الله ألفي ضاحيا

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة في قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله شجرة من يقطين قال القرع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أنبت الله عليه شجرة من يقطين قال فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها الا أروته لبنا أو قال شرب منها ما شاء حتى نبت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله شجرة من يقطين قال هو القرع والعرب تسميه الدباء حدثنا عمرو ابن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء عن سعيد بن جبير في قول الله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال هو القرع حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع * وقال آخرون كان اليقطين شجرة أظلت يونس ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير قال اليقطين شجرة سماها الله يقطينا أظلته وليس بالقرع قال فيما ذكر أرسل الله عليه دابة الأرض فجعلت تقرض عروقها وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت اليه الشمس وشكاها فقال يا يونس جزعت من حر الشمس ولم تجزع لمائة ألف أو يزيدون تابوا الي فتبت عليهم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسلنا يونس الى مائة ألف من الناس أو يزيدون على مائة ألف وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول معنى قوله أو بل يزيدون ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن الحكم بن عبد الله بن الأزور عن ابن عباس في قوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال بل يزيدون كانوا مائة ألف وثلاثين ألفا حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون سبعين ألفا وقد كان العذاب أرسل عليهم فلما فرقوا بين النساء وأولادها والبهائم وأولادها وعجوا الى الله كشف عنهم العذاب

بقوله (والله خلقكم وما تعملون) على أن العبد ليس خالق أعماله لأن المعنى خلقكم وأعمالكم وزيف بأن ما موصولة لتناسب قرينتها في قوله ما تنحتون وليتوجه التوبيخ ولكيلا يلزم  التناقض فان النحت عملهم والصحيح أن الآية كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن أي فطر الاصنام ثم ان ابراهيم لما ألقمهم الحجر بهذا القول وألزمهم عدلوا الى طريقة الايذاء و(قالوا ابنوا له بنيانا) قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون وتقدير الآية ابنوا له بنيانا واملؤه نارا وألقوه فيها والجحيم النار العظيمة ومعنى الفاء في قوله (فأرادوا) كقوله أهلكناها فجاءها بأسنا كأنه قيل فبنوا البنيان وملؤه نارا وألقوه فيها فنجيناه منها وقد صح أنهم أرادوا به كيدا (فجعلناهم الأسفلين) الأذلين وأما في الانبياء فلم يقصد هذا الترتيب فاقتصر على الواو العاطفة وانما اختصت هذه السورة بقوله الأسفلين لأنه ذكر أنهم بنوا بنيانا عاليا فكان ذكر السفل في طباقه أنسب ثم ذكر بقية قصة ابراهيم وقوله (اني ذاهب الى ربي) كقوله في العنكبوت اني مهاجر الى ربي وانما حكم بقوله (سيهدين) ربي الى ما فيه صلاحي في الدارين اعتمادا على فضل الله أو عرف ذلك بالوحي وحين هاجر الى الارض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) والله تعالى بين استجابته بقوله فبشرناه بغلام حليم ووصف الغلام بالعلم في سورة الحجر وبالحلم ههنا فذهب العلماء الى أنه أراد بغلام عليم في صغره حليم في كبره فان الصبي لا يوصف بالحلم ومن هنا انطوت البشارة على معان ثلاثة أحدها أن الولد ذكر والثاني أنه يبلغ أوان الحلم والثالث أنه يكون حليما وأي حلم أعظم من استسلامه حين عرض أبوه عليه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وفيه ان ولده قائم مقامه في الشرف والفضيلة فوصفه بالحلم كما وصف به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب

وأمطرت

وقيل العليم اسحق لقوله فأقبلت امرأته في صرة والحليم اسمعيل ثم حكى حديث ذبحه قائلا (فلما بلغ معه السعي) أي قوي على أن يمشي مع أبيه
في حوائجه والظرف بيان كأنه قال أولا فلما بلغ السعي فقيل مع من فأجيب مع أبيه (٦٧) ولا يجوز تعلقه بالسعي لأن صلة المصدر
لا تتقدم عليه ولا بقوله بلغ لانهما لم يبلغا معا حد السعي والمعنى في اختصاص الاب اخراج الكلام مخرج الأغلب وقال جار الله السبب فيه أن الاب أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته يروى أنه كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل أراد السعي في المنافع وفي طاعة الله اعلم ان الناس اختلفوا في الذبيح فعن أبي بكر الصديق وابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب وعكرمة ومجاهد والضحاك أنه اسمعيل لقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحدا منهم تقربا فلما كملوا عشرة أتى بهم البيت وضرب عليهم بالقداح فخرج قدح عبد الله فمنعه أخواله ففداه بعشرة من الابل ثم ضرب عليه وعلى الابل فخرج قدحه ففداه بعشرة أخرى وضرب مرة أخرى فخرج قدحه وهكذا يزيد عشرة عشرة الى أن تمت مائة فخرج القدح على الجزر فنحرها وسن الدية مائة وفي رواية أن اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعوه ففداه بمائة من الابل * حجة أخرى نقل عن الاصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع أبيه وسن النحر بمكة * وحجة أخرى وصف اسمعيل بالصبر في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح

وأمطرت السماء دما حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثني أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه الى مائة ألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم وانما عنى بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أنه أرسله الى قومه الذين وعدهم العذاب فلما أظلهم تابوا فكشف الله عنهم وقيل انهم أهل نينوى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قال قال الحسن بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه فآمنوا فمتعناهم الى حين حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الى مائة ألف أو يزيدون قال قوم يونس الذين أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت وقيل ان يونس أرسل الى أهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال سمعت أبا هلال محمد بن سليمن قال ثنا شهر بن حوشب قال أتاه جبرائيل يعني يونس وقد انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم قال ألتمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك قال ألتمس حذاء قال الأمر أعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تؤخر قال فتساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت أيا حوت انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له حوزا ومسجدا قال فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيلة ثم انطلق به حتى مر به على دجلة ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا أبو هلال قال ثنا شهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وقوله فآمنوا يقول فوحدوا الله الذي أرسل اليهم يونس وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله وقوله فمتعناهم الى حين يقول فأخرنا عنهم العذاب ومتعناهم الى حين بحياتهم الى بلوغ آجالهم من الموت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فمتعناهم الى حين الموت حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فمتعناهم الى حين قال الموت وقوله فاستفتهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سل يا محمد مشركي قومك من قريش كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون يعني مشركي قريش حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون قال سلهم وقرأ ويستفتونك قال يسألونك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فاستفتهم يقول يا محمد سلهم وقوله ألربك البنات ولهم البنون ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون الملائكة بنات الله وكانوا يعبدونها فقال الله لنبيه محمد عليه السلام سلهم وقل لهم ألربي البنات ولكم البنون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

فى قوله ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ووصفه بصدق الوعد انه كان صادق الوعد وذلك انه وعد أباه الصبر على قضاء الله أو على الذبح فوفى به * أخرى ومن وراء اسحق يعقوب فيمن قرأ بالنصب لانه اذا بشر بالولد من صلبه علم أنه لم يؤمر بذبحه * أخرى

ألربك البنات ولهم البنون لأنهم قالوا يعنى مشركى قريش لله البنات ولهم البنون حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون قال كانوا يعبدون الملائكة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون﴾ يعنى تعالى ذكره أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين الملائكة بنات الله خلق الملائكة وأنا أخلقهم اناثا فشهدوا هذه الشهادة ووصفوا الملائكة بأنها اناث وقوله ألا انهم من افكهم يقول تعالى ذكره ألا ان هؤلاء المشركين من كذبهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون فى قيلهم ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم من افكهم يقول من كذبهم ليقولون ولد الله حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ألا انهم من افكهم ليقولون قال من كذبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره موبخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركى قريش أصطفى الله أيها القوم البنات على البنين والعرب اذا وجهوا الاستفهام الى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا كما قيل أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا يستفهم بها ولا يستفهم بها والمعنى فى الحالين واحد واذا لم يستفهم فى قوله أصطفى البنات ذهبت ألف اصطفى فى الوصل ويبتدأ بها بالكسر واذا استفهم فتحت وقطعت وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل فأما قراء الكوفة والبصرة فانهم فى ذلك على قراءته بالاستفهام وفتح ألفه فى الأحوال كلها وهى القراءة التى نختار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله مالكم كيف تحكمون يقول بئس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون يقول كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات مالكم كيف تحكمون وقوله أفلا تذكرون يقول أفلا تتدبرون ما تقولون فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله وقوله أم لكم سلطان مبين يقول ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم لكم سلطان مبين أى عذر مبين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله سلطان مبين قال حجة وقوله فأتوا بكتابكم يقول فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذى تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأتوا بكتابكم أى بعذركم ان كنتم صادقين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فأتوا بكتابكم أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين أن لكم بذلك حجة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا * واختلف أهل التأويل فى معنى

أجمعوا على أن اسمعيل مقدم فى الوجود على اسحق فهو المراد بقوله رب هب لى من الصالحين ثم انه ذكر عقيبه قصة الذبح وأيضا قوله وبشرناه باسحق يجب أن يكون غير قوله فبشرناه بغلام حليم والا لزم التكرار * حجة أخرى ان قرنى الكبش كانا ميراثا لولد اسمعيل عن أبيهم وكانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فى أيام ابن الزبير والحجاج * وعن على وابن مسعود وكعب الاحبار واليه ذهب أهل الكتاب أن الذبيح اسحق لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وأجابوا عن قوله وبشرناه باسحق أنه بشر بغلام أولا ثم بنبوته ثانيا وأيضا صرح بالمبشر به فى قوله فبشرناها باسحق وفى قوله وبشرناه باسحق فيحمل عليه المبهم فى قوله فبشرناه بغلام وأيضا لانسلم أن البشارة بيعقوب كانت متصلة ببشارة اسحق اعتبارا بقراءة من قرأ يعقوب بالرفع وأيضا أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله انى ذاهب الى ربى هو مهاجرته الى الشام ثم قال فبشرناه بغلام فوجب أن يكون الغلام الحليم قد حصل له فى الشام وذلك الغلام لم يكن الا اسحق لأن اسمعيل قد نشأ بمكة وكان الزجاج يقول الله أعلم أيهما الذبيح ويتفرع على اختلاف المفسرين فى الذبيح اختلافهم فى موضع الذبح فالذين قالوا ان الذبيح اسمعيل ذهبوا الى أن الذبح كان بمنى وهذا أقوى والذين قالوا انه اسحق قالوا ان الذبح كان بالشام وخصه النسب بعضهم ببيت المقدس اذا عرفت هذا الاختلاف فقوله (يا بنى انى أرى فى المنام) انما قال بلفظ المستقبل لأنه كان يرى فى منامه ثلاث ليال

النسب الذى أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى فقال بعضهم هو أنهم قالوا أعداء الله ان الله وابليس اخوان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وابليس اخوان * وقال آخرون هو أنهم قالوا الملائكة بنات الله وقالوا الجنة هى الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله فسأل أبو بكر من أمهاتهن فقالوا بنات سروات الجن يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه ابليس حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال ثنا عمرو بن سعيد الابح عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قالت اليهود ان الله تبارك وتعالى تزوج الى الجن فخرج منهما الملائكة قال سبحانه سبح نفسه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الجنة الملائكة قالوا هن بنات الله حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الملائكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال بين الله وبين الجنة نسبا افتروا وقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه ولقد علمت الجنة انهم لمشهدون الحساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون أنها ستحضر الحساب * وقال آخرون معناه ان قائلى هذا القول سيحضرون العذاب فى النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى انهم لمحضرون ان هؤلاء الذين قالوا هذا لمحضرون لمعذبون * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال انهم لمحضرون العذاب لأن سائر الآيات التى ذكر فيها الاحضار فى هذه السورة انما عنى به الاحضار فى العذاب فكذلك فى هذا الموضع وقوله سبحان الله عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له مما يضيف اليه هؤلاء المشركون به ويفترون عليه و يصفونه من أن له بنات وأن له صاحبة وقوله الا عباد الله المخلصين يقول ولقد علمت الجنة إن الذين قالوا ان الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب الا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته وخلقهم لجنته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره فانكم أيها المشركون بالله وما تعبدون من الآلهة والأوثان ما أنتم عليه بفاتنين يقول ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين أى بمضلين أحدا الا من هو صال الجحيم يقول الا أحدا سبق فى علمى أنه صال الجحيم وقد قيل ان معنى عليه فى قوله ما أنتم عليه بفاتنين بمعنى به * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين يقول لا تضلون أنتم ولا أضل منكم الا من قد قضيت

أو لأن رؤيا الأنبياء وحى ثانٍ فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب سفينة رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة فكأنه قال انى أرى فى المنام ما يوجب أنى أذبحك ويحتمل أن يكون حكاية ما رآه قال بعض المفسرين رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فأصبح يروى فى ذلك أمن الله أو من الشيطان فسمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى عرفة ثم رأى مثله فى الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر وقال بعضهم حين بشره الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد و بلغ حد السعى مع أبيه قيل له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى هو من الرأى ومن قرأه من الاراءة فالمعنى ماذا تبصر من رأيك وتدبيرك وانما شاوره فى حتم من الله ليثبته ان جزع و يفرح بصبره ان ثبت ولئلا يقع الذبح معافصة من غير اعلام به و بسببه وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى الأكل من الشجرة لما فرط منه ذلك (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى به فحذف الجار كقوله أمرتك الخير أى أمرتك بالخير أو أمرك على تسمية المأمور به بالمصدر ثم اضافته الى المفعول (فلما أسلما) أى انقادا وخضعا لأمر الله قال قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله) اى صرعه واللام فى (للجبين) كهى فى قوله ويخرون للأذقان والجبين أحد جانبى الجبهة وقيل كبه لوجهه لأن الولد قال له اذبحنى وأنا ساجد يروى أنه حين أراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية ننطلق الى الشعب ونحتطب فلما توسطا الشعب أخبره بما أمر فقال له اشدد به رباطى لئلا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شئ من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع امرارها على حلقى ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه

وهما يبكيان فقال له كبني على وجهي ولا تنظر الى حتى لا تدركك رقة تحول بينك و بين أمر الله قال جار الله تقدير الكلام فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (٧٠) كان ما كان مما ينطق به العيان ولا يحيط به البيان من استئثارهما مما أنعم الله عليهما من دفع البلاء و بما اكتسبا في تضاعيف ذلك من الثواب والثناء وقد أشير الى جميع ذلك بقوله (انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا) الأمر الذي قد وقع (لهو البلاء المبين) الذي يتميز فيه المخلص عن المدعي والمكروه الذي لا أصعب على النفس منه يروى أنه لما وصل موضع السجود منه الأرض جاء الفرج وقيل انه وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرائيل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبرائيل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وذلك قوله سبحانه (وفديناه بذبح عظيم) والفداء جعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر عنه والذبح اسم لما يذبح كالطحن لما يطحن وقوله عظيم أي سمين ضخم الجثة بالقياس الى أمثاله وهي السنة في الأضاحي قال صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحايا كم فانها على الصراط مطايا كم والاستشراف جعلها شريفة وكريمة وعن سعيد ابن جبير حق له أن يكون عظيما وقد رعى في الجنة أربعين خريفا وفي قول ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة الى أن فدي به اسمعيل وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد خليله وقيل وصفه بالعظم لبقاء أثره الى يوم القيامة فانه ما من سنة الا ويذبح بسبب ذلك من الأنعام ما لا يحصيه

أنه صال الجحيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول ما أنتم بفاتنين على أوثانكم أحدا الا من قد سبق له أنه صال الجحيم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن خالد قال قلت للحسن قوله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم الا من أوجب الله عليه أن يصلى الجحيم حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال ما أنتم عليه بمضلين الا من كان في علم الله أنه سيصلى الجحيم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم إلا من قدر عليه أنه يصلى الجحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز وكانوا متكلمين كلهم فتكلموا ثم ان عمر بن عبد العزيز تكلم بشئ فظننا أنه تكلم بشئ رد به ما كان في أيدينا فقال للناهل تعرفون تفسير هذه الآية فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال انكم والآلهة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها الا من قضيت عليه أنه يصلى الجحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم الا من هو صال الجحيم قال ما أنتم بمضلين الا من كتب عليه أنه يصلى الجحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانكم وما تعبدون حتى بلغ صال الجحيم يقول ما أنتم بمضلين أحدا من عبادي بباطلكم هذا الا من تولاكم بعمل النار حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما أنتم عليه بفاتنين بمضلين الا من هو صال الجحيم الا من كتب الله أنه يصلى الجحيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم يقول لا تضلون بآلهتكم أحدا الا من سبقت له الشقاوة ومن هو صال الجحيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم يقول لا تفتنون به أحدا ولا تضلونه الا من قد قضى الله أنه صال الجحيم إلا من قد قضى أنه من أهل النار وقيل بفاتنين من فتنت أفتن وذلك لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أفتنته فانا أفتنه وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ الا من هو صال الجحيم برفع اللام من صال فان كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر

اذا ما حاتم وجد ابن عمي * مجدنا من تكلم أجمعينا

فقال أجمعينا ولم يقل تكلموا وكما يقال في الرجال من هو اخوتك يذهب بهو الى الاسم المجهول و يخرج فعله على الجمع فذلك وجه وان كان غيره أفصح منه وان كان أراد بذلك واحدا فهو عند أهل العربية لحن لانه لحن عندهم أن يقال هذا رام وقاض الا أن يكون سمع في ذلك من العرب لغة مقلوبة مثل قولهم شاك السلاح وشاكي السلاح وعاث وعثا وعاق وعقا فيكون لغة ولم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب وقوله وما منا الا له مقام معلوم وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم و بنحو الذي قلنا في ذلك

الا الله وعن الحسن أنه وعل أهبط عليه من ثبير وقال السدي نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح ينحط من ... قال الجبل فقام عند ابراهيم عليه السلام فذبحه وخلى ابنه * استدل بعض الأصوليين من أهل السنة بالآية على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته

وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية بعدم الجواز لاستلزامه البداء أو الجهل وزعموا أنه تعالى أمر ابراهيم في المنام بمقدمات الذبح كاضجاع ابنه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان  بذلك الفعل أوان ورود الأمر سلمنا أنه أمر بنفس الذبح لكن لم لا يجوز أنه قطع الحلقوم الا أنه كان يلتئم جزأ فجزأ فلهذا قيل له قد صدقت الرؤيا والفداء فضل من الله في حقه وتعظيم له بدلا من عدم وقوع الذبح في الظاهر ولهذا قال وفديناه باسناد الفداء الى ذاته تعالى والحق أن نسخ الحكم قبل وقته لا يدل على البداء والعبث كما أنه بعد الوقت لا يدل على ذلك فقد يكون غرض الآمر أن يعلم أن المأمور هل يعزم على الفعل ويوطن نفسه على الانقياد والطاعة أم لا وتصديق الرؤيا يكفي فيه الاتيان بمثل هيئة الذبح فمن الرؤيا ما يكون تأويلها بالشبيه كرؤيا يوسف والفداء زيادة تشريف وتكريم ووضع سنة مؤكدة وروى أن الكبش هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه لما ذبحه قال جبرائيل الله أكبر الله أكبر فقال الولد الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة قوله وتركنا الى قوله المؤمنين قد مر نظيره في قصة نوح الا أنه لم يقل ههنا في العالمين اكتفاء بما علم في قصة نوح ولم يقل ههنا انا كذلك بل اقتصر على كذلك لأنه سبق ذكر التأكيد في هذه القصة فلم يحتج الى اعادته على أنه قد بقي من القصة شئ فناسب الاختصار في الاعتراض قوله (وبشرناه باسحق) من جعل الذبيح اسمعيل قال وبشرناه باسحق بعد اسمعيل ومن جعل الذبيح اسحق قال بشر بنبوته وقد كان بشر بمولده قوله (نبيا من الصالحين) كل منهما حال مقدرة من الفاعل أي بشرناه به مقدرا وعالما وحاكما بأنه نبي صالح وقد أطنب صاحب الكشاف في هذا المقام حيث بنى الكلام على أنه حال مقدرة من اسحق وهو عندي

---

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وما منا الا له مقام معلوم قال الملائكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما منا الا له مقام معلوم هؤلاء الملائكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة أنها قالت قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثني موسى بن اسحق الجبائي المعروف بابن القواس قال ثنا يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم وان ناركم هذه لتعوذ من نار جهنم حدثنا موسى بن اسحق قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن زيد بن وهب قال قال عبد الله بن مسعود ان ناركم هذه لما أنزلت ضربت في البحر مرتين ففترت فلولا ذلك لم تنتفعوا بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته وانا لنحن الصافون لله لعبادته وانا لنحن المسبحون له يعني بذلك المصلون له وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال به أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي قال ثنا أبو معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة أنها قالت قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ما في السماء الدنيا موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله ان من السموات لسماء ما فيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائما قال ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال ان من السموات سماء ما فيها موضع الا فيه ملك ساجد أو قدماه قائم ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال كان عمر اذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال يا أيها الناس استووا ان الله انما يريد بكم هدى الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون استووا تقدم أنت يا فلان تأخر أنت أي هذا فاذا استووا تقدم فكبر حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنى أبو أسامة قال ثنى الجريري سعيد ابن اياس أبو مسعود قال ثنى أبو نضرة كان عمر اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم واستووا فانما يريد الله بكم هدى الملائكة يقول وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ثم ذكر نحوه حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال

تطويل بلا طائل فليتأمل (وباركنا عليه) قيل أى على الغلام المبشر به وقيل على ابراهيم (وعلى اسحق) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ومن جملة ذلك ما روى أنه أخرج  من صلب اسحق ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى وهم المشار اليهم بقوله (ومن ذريتهما محسن) ويعلم من قوله (وظالم لنفسه) أن البر قد يلد الفاجر ولا عار على الأب وأن الشرف بالحسب لا بالنسب وأما قصة موسى فلا خفاء بها والكرب العظيم تسلط فرعون وجفاؤه على قومه وقيل الغرق والضمير فى نصرناهم لهما ولقومهما والمستبين البليغ فى بيانه وهو التوراة بان وأبان واستبان بمعنى الا أن الثالث أبلغ والصراط المستقيم دين الله الذى اشترك فى أصوله جميع الرسل وأما إلياس فالجمهور على أنه نبى من بنى اسرائيل بعث بعد موسى وكان من ولد هرون وقيل هو ادريس النبى وقد مر ذكره فى سورة مريم واذ ظرف لمحذوف أى اذكر يا محمد لقومك (اذ قال لقومه ألا تتقون) الله قال الكلبى أى ألا تخافون عبادة غير الله وحين خوفهم مجملا ذكر سببه فقال (أتدعون) أى أتعبدون (بعلا) وهو اسم صنم من ذهب كان ببعلبك من بلاد الشام طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس قال الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه لو جوزنا دخول الشيطان فى جوف الصنم وتكلمه فيه لكان قادحا فى كثير من المعجزات كحنين الجذع وكلام الجمل قلت هذا الوهم زائل بعد ثبوت النبوة بمعجزات أخر وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة أحسن الخالقين ثم بين جزاء تكذيبهم أنهم محضرون فى العذاب غدا وباقى القصة ظاهر الا قوله إلياسين فمن قرأ بالاضافة فعلى أن ادريس بن ياسين أى سلام على أهل ياسين

ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانا لنحن الصافون قال يعنى الملائكة وانا لنحن المسبحون قال الملائكة صافون تسبح لله عز وجل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وانا لنحن الصافون قال الملائكة حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة وانا لنحن الصافون قال الملائكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانا لنحن الصافون قال صفوف فى السماء وانا لنحن المسبحون أى المصلون هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وانا لنحن الصافون قال للصلاة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال وذكر السدى عن عبد الله قال ما فى السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه ساجدا أو قائما أو راكعا ثم قرأ هذه الآية وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانا لنحن الصافون قال الملائكة هذا كله لهم وقوله وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله يقول تعالى ذكره وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم نبيا لو أن عندنا ذكرا من الأولين يعنى كتابا أنزل من السماء كالتوراة والانجيل أو نبى أتانا مثل الذى أتى اليهود والنصارى لكنا عباد الله الذين أخلصهم لعبادته واصطفاهم لجنته

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين قال قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم لو كان عندنا ذكر من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به فسوف يعلمون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ذكرا من الأولين قال هؤلاء ناس من مشركى العرب قالوا لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين أو جاءنا علم من علم الأولين قال قد جاءكم محمد بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد رجع الحديث الى الأولين أهل الشرك وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين هذا قول مشركى أهل مكة فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا به فسوف يعلمون

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب يقول الله فسوف يعلمون اذا وردوا على ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين قال لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين

الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب فسوف يعلمون يقول قد جاءكم محمد بذلك فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون يقول تعالى ذكره ولقد سبق منا القول لرسلنا انهم لهم المنصورون أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين حتى بلغ لهم الغالبون قال سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون يقول بالحجج وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين فجعلت على مكان اللام فكأن المعنى حقت عليهم ولهم كما قيل على ملك سليمن وفي ملك سليمن اذ كان معنى ذلك واحدا وقوله وان جندنا لهم الغالبون يقول وان حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون يقول لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا والخلاف علينا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فتول عنهم حتى حين فأعرض عنهم الى حين واختلف أهل التأويل في هذا الحين فقال بعضهم معناه الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتول عنهم حتى حين أي الى الموت * وقال آخرون الى يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فتول عنهم حتى حين قال حتى يوم بدر * وقال آخرون معنى ذلك الى يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتول عنهم حتى حين قال يوم القيامة وهذا القول الذي قاله السدي أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه فقال أفبعذابنا يستعجلون وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عنهم الى مجيء حينه فتأويل الكلام فتول عنهم يا محمد الى حين مجيء عذابنا ونزوله بهم وقوله وأبصرهم فسوف يبصرون وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأبصرهم فسوف يبصرون حين لا ينفعهم البصر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأبصرهم فسوف يبصرون يقول انظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم قال يقول يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله وكفرهم بالله ورسوله وكتابه قال فأبصرهم وأبصر واحد وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد وذلك قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقوله فاذا نزل بساحتهم يقول فاذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب والعرب تقول نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة وذلك اذا نزل به والساحة هي فناء دار الرجل فساء صباح المنذرين يقول فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

وقيل آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يس اسم القرآن فكأنه قيل سلام على من آمن بكتاب الله والوجه الأول هو أنسب الأقوال ومن قرأ على صورة الجمع فقد قال الفراء أراد به الياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم (٧٣) المهلبون والأشعرون بتخفيف ياء النسبة وقيل انه لغة في الياس قال الزجاج يقال ميكائيل وميكائين فكذا ههنا حكى الثعلبي وغيره أن الياس نبي من سبط هرون بعثه الله الى بني اسرائيل وكان فيهم ملك يقال له احب وله امرأة يقال لها ازبيل وكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتجلس للحكم كما يجلس فأتاهما الياس ودعاهما الى الله تعالى فأبيا عليه وهما بقتله فاختفى منهما سبع سنين وكان اليسع خليفته وآل أمره الى أن أوحى اليه أن اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تخف فجاء فرس من نار فوثب عليه وناداه خليفته اليسع بن أخطوب ما تأمرني فرمى الياس اليه بكسائه من الجو وكان ذلك عليه علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وقيل الياس موكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار وهما آخر من يموت من بني آدم وكان الحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس وقصة لوط مذكورة مرارا ومعنى (مصبحين وبالليل) أن مشركي العرب كانوا مسافرين الى الشام فلعل أكثر مرورهم بتلك الديار كان في هذين الوقتين لأمر عارض كحر أو غيره وقصة يونس أيضا مما سبق ذكرها وفيها مزيد تسلية وتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه أرسله ملك زمانه الى أولئك القوم ليدعوهم الى الله تعالى فالاباق وهو هرب العبد من سيده لا يوجب العصيان والأظهر أن قوله وان يونس لمن المرسلين مذكور في معرض التعظيم على قياس أوائل سائر القصص ولن يفيد هذه الفائدة

الا اذا كان الارسال من الله تعالى وأما الجواب عن اباقه فقد مر فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا قوله (المشحون) كالعلة لقوله فساهم والمساهمة المقارعة يقال أسهم القوم اذا اقترعوا  قال المبرد هى من السهام التى تجال للقرعة والمدحض المغلوب فى الحجة وغيرها

ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاذا نزل بساحتهم قال بدارهم فساء صباح المنذرين قال بئس ما يصبحون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين وخلهم وفريتهم على ربهم حتى حين يقول الى حين يأذن الله بهلاكهم وأبصر فسوف يبصرون يقول وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا فى حين لا تنفعهم التوبة وذلك عند نزول بأس الله بهم وقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له رب العزة يقول رب القوة والبطش عما يصفون يقول عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركى قريش من قولهم ولد الله وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحان ربك رب العزة عما يصفون أى عما يكذبون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان وقوله وسلام على المرسلين يقول وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم الى أممهم الذين ذكرهم فى هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلام على المرسلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فانما أنا رسول من المرسلين والحمد لله رب العالمين يقول تعالى ذكره والحمد لله رب الثقلين الجن والانس خالصا دون ما سواه لأن كل نعمة لعباده فمنه فالحمد له خالص لا شريك له كما لا شريك له فى نعمه عندهم بل كلها من قبله ومن عنده

آخر تفسير سورة الصافات

﴿تفسير سورة ص﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾

* قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله عز وجل ص فقال بعضهم هو من المصاداة من صاديت فلانا وهو أمر من ذلك كأن معناه عندهم صاد بعملك القرآن أى عارضه به ومن قال هذا تأويله فانه يقرؤه بكسر الدال لأنه أمر وكذلك روى عن الحسن ذكر الرواية بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن ص قال حادث القرآن وحدثت عن على بن عاصم عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله ص قال عارض القرآن بعملك حدثت عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله ص والقرآن قال عارض القرآن قال عبد الوهاب يقول اعرضه على عملك فانظر أين عملك من القرآن حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن اسمعيل عن الحسن أنه كان

وحقيقته الذى أزلق عن مقام الظفر والغلبة يروى أنه حين غضب على قومه خرج من بينهم حتى أتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة لحملوه فيها فلما وصلت الى لجة البحر أشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل فى السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقد يزعم أهل البحر أن السفينة اذا كان فيها آبق لا تجرى فاقترعوا فخرج من بينهم يونس فقال التجار نحن أولى بالمعصية من نبى الله ثم عادوا ثانيا وثالثا فخرج سهمه فقال يا هؤلاء أنا العاصى ورمى بنفسه الى الماء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه كاللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة ومنه المثل رب لائم مليم أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) قيل أى من المصلين عن قتادة كان كثير الصلاة فى الرخاء وقيل من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس كما قيل اذكر الله فى الخلوات يذكرك فى الفلوات والأظهر أن المراد منه ما حكى الله تعالى فى آية أخرى أنه كان يقول فى تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والضمير فى يبعثون للخلائق بالقرينة وقوله للبث فيه أقوال * أحدها يبقى هو والحوت الى يوم البعث * والثانى يموت الحوت ويبقى هو فى بطنه * والثالث يموتان ثم يحشر يونس من بطنه واختلفوا فى مدة لبثه فى بطن الحوت فعن الحسن لم يلبث الا قليلا وقيل ثلاثة أيام وعن عطاء سبعة وعن الضحاك عشرون وقال الكلبى أربعون وروى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه بالعراء وهو المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه يقرأ

يقرأ ص والقرآن بخفض الدال وكان يجعلها من المصاداة يقول عارض القرآن * وقال آخرون هي حرف هجاء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما ص فمن الحروف * وقال آخرون هو قسم أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ص قال قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ص قال هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به * وقال آخرون معنى ذلك صدق الله ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك في قوله ص قال صدق الله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا عبد الله بن أبي اسحق وعيسى بن عمر بسكون الدال فأما عبد الله بن أبي اسحق فانه كان يكسرها لاجتماع الساكنين ويجعل ذلك بمنزلة الأداة كقول العرب تركته حاث باث وخاز باز يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف فيخفضون مع الألف وينصبون مع غيرها فيقولون حيث بيث ولأجعلنك في حيص بيص اذا ضيق عليه وأما عيسى بن عمر فكان يوفق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف وما كان قبل آخره ياء أو واو فيفتح جميع ذلك وينصبه فيقول ص وق ون ويس فيجعل ذلك مثل الأداة كقولهم ليت وأين وما أشبه ذلك * والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قراء الامصار مستفيضة فيهم وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات فيعرب اعراب الاسماء والأدوات والأصوات فيسلك بهن مسالكهن فتأويلها اذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بياننا لها قبل فيما مضى وكان بعض أهل العربية يقول ص في معناها كقولك وجب والله نزل والله وحق والله وهي جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله نزل والله وقوله والقرآن ذي الذكر وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال والقرآن ذي الذكر واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ذي الذكر فقال بعضهم معناه ذي الشرف ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن علي قال ثنا أبو أحمد عن قيس عن أبي حصين عن سعيد ص والقرآن ذي الذكر قال ذي الشرف حدثنا نصر بن علي وابن بشار قالا ثنا أبو أحمد عن مسعر عن أبي حصين ذي الذكر ذي الشرف * قال ثنا أبو أحمد عن سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح أو غيره ذي الذكر ذي الشرف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والقرآن ذي الذكر قال ذي الشرف حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ص والقرآن ذي الذكر ذي الشرف وقال بعضهم بل معناه ذي التذكير ذكركم الله به ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك ذي الذكر قال فيه ذكركم قال ونظيرتها لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذي الذكر أي ما ذكر فيه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ذي التذكير لكم لأن الله أتبع ذلك قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق فكان معلوما بذلك أنه انما أخبر عن

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا لنسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة فقال نعم ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه في الساحل وحكى في بعض التفاسير وان لم يطابقه رأي أصحاب المسالك كل المطابقة أن الحوت أخرجه الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم دجلة فلفظه بأرض نصيبين لم تتناله آفة الا أن بدنه عاد كبدن الصبي حين يولد فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وذلك كالمعجزة له قال المبرد والزجاج هو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به فيشمل كل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ الا أن المفسرين خصصوه بالدباء قالوا لأن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس قال الواحدي في الآية دلالة أولا على أن اليقطين لم يكن من قبل فأنبته الله لأجله والآخر أن اليقطين كان قائما بحيث يحصل له ظل قلت الثاني مسلم الا أن الأول ممنوع ان أراد به النوع وان أراد به الشخص فسلم وقيل هي التين وقيل هي شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها واغتذى من ثمارها وروي أنه كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تأتيه فيشرب من لبنها وروي أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون فرجع الى قومه وقد سبق في سورة يونس باقي التفسير وأوفى قوله أو يزيدون ليست للشك وانما المراد وصفهم بالكثرة في مرأى الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر ومن هذا التأويل يتضح وجه العطف من حيث المعنى كأنه قيل وأرسلناه الى جم غفير مقول فيهم انهم مائة ألف أو يزيدون وقيل التقدير وأرسلناه الى مائة ألف وأرسلناه الى قوم

يزيدون في الايهام وكم الزائد قيل ثلاثون ألفا عن ابن عباس وقيل بضعة وثلاثون وقيل بضعة وأربعون وقيل سبعون وجاء مرفوعا
عشرون ألفا ويحتمل أن يراد أو يزيدون (٧٦) في مرور الزمان لانه يبقى فيهم مدة كما قال آمنوا فمتعناهم الى حين هو انقضاء آجالهم
وقيل القيامة وقدمر ثم عطف قوله (فاستفتهم) على مثله في أول السورة والوجه فيه أنه أمر رسوله باستفتاء قريش عن سبب انكار البعث ثم ساق الكلام متصلا بعضه ببعض على ماعرفت في أثناء التفسير ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حين أضافوا البنات الى الله تعالى قائلين الملائكة بنات الله مع كراهتهم التامة لهن ورغبتهم الوافرة في البنين وحين استفتاهم على سبيل التوبيخ شرع في تزييف معتقدهم بقسمة عقلية وذلك أن سند الدعوى اما أن يكون حسا أو خبرا أو نظرا أما الحس فمفقود لأنهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وأما الخبر فكذلك لأن الخبر انما يفيد العلم اذا علم أنه صدق قطعا وهؤلاء كذابون أفاكون وأشار اليه بقوله (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وأما النظر فمفقود أيضا وبيانه من وجهين الاول أن دليل العقل يقتضي فساده لانه تعالى أكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء الأخس لأجل نفسه وذلك قوله (أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) من قرأ أصطفى بفتح الهمزة فلأنه استفهام بطريق الانكار وقد حذفت همزة الوصل للتخفيف ومن قرأ بكسرها على الاخبار جعله من جملة كلام الكفرة * الثاني عدم الدليل على صحة مذهبهم وهو قوله
(أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) نظيره ما مر في قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يقول
يشركون وقوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) للمفسرين فيه قولان أحدهما أنهم الطائفة الاولى والمعنى أنهم جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبة

القرآن أنه أنزله ذكرا لعباده ذكرهم به وأن الكفار من الايمان به في عزة وشقاق واختلف في الذي وقع عليه اسم القسم فقال بعضهم وقع القسم على قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل الذين كفروا في عزة قال ههنا وقع القسم وكان بعض أهل العربية يقول بل دليل على تكذيبهم فاكتفى ببل من جواب القسم وكأنه قيل ص ما الأمر كما قلتم بل أنتم في عزة وشقاق وكان بعض نحويي الكوفة يقول زعموا أن موضع القسم في قوله ان كل إلا كذب الرسل وقال بعض نحويي الكوفة قد زعم قوم أن جواب والقرآن قوله ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قال وذلك كلام قد تأخر عن قوله والقرآن تأخرا شديدا وجرت بينهما قصص مختلفة فلا نجد ذلك مستقيما في العربية والله أعلم قال ويقال ان قوله والقرآن يمين اعترض كلام دون موقع جوابها فصار جوابها للمعترض ولليمين فكأنه أراد والقرآن ذي الذكر لكم أهلكنا فلما اعترض قوله بل الذين كفروا في عزة صارت كم جوابا للعزة واليمين قال ومثله قوله والشمس وضحاها اعترض دون الجواب قوله ونفس وما سواها فألهمها فصارت قد أفلح تابعة لقوله فألهمها وكفى من جواب القسم فكأنه قال والشمس وضحاها لقد أفلح * والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي قاله قتادة وأن قوله بل لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغني بها من الجواب اذ عرف المعنى فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك ص والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم في عزة وشقاق وقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق يقول تعالى ذكره بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة وفراق لمحمد وعداوة وما بهم أن لا يكونوا أهل علم بأنه ليس بساحر ولا كذاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في عزة وشقاق قال معازين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في عزة وشقاق أي في حمية وفراق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق قال يعادون أمر الله ورسله وكتابه ويشاقون ذلك عزة وشقاق فقلت له الشقاق الخلاف فقال نعم ۞ القول في تأويل قوله تعالى {كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص} يقول تعالى ذكره كثيرا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عندنا من الحق من قرن يعني من الأمم الذين كانوا قبلهم فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله فنادوا يقول فعجوا الى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة اليه حين نزل بهم بأس الله وعاينوا عذابه فرارا من عقابه وهربا من أليم عذابه ولات حين مناص يقول وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة وقد حقت كلمة العذاب عليهم وتابوا حين لا تنفعهم التوبة واستقالوا في غير وقت الاقالة وقوله مناص مفعل من النوص والنوص في كلام العرب التأخر والمناص المفر ومنه قول امرئ القيس

أمن ذكر سلمى اذ نأتك تنوص * فتقصر عنها خطوة وتبوص

بسبب قولهم انهم بناته فان الولادة تقتضي الجنسية والمناسبة وفيه توبيخ لهم على أن من صفته الاجتنان والاستتار كيف يصلح أن يكون مناسبا لمن لا يجوز عليه صفات الاجرام وعلى هذا فالضمير في قوله (انهم لمحضرون)  للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علمت الملائكة أنهم في ذلك كاذبون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون * وثانيهما أنهم طائفة من الزنادقة قائلون بيزدان واهرمن كما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله شركاء الجن وعلى هذا فالضمير اما للكفار كما مر واما للشياطين روى عكرمة أنهم قالوا سروات الجن بنات الرحمن وقال الكلبي زعموا أن الله سبحانه تزوج الى الجن فخرج منها الملائكة والتاء في الجنة للتأنيث لحق وحقة قال جار الله الاستثناء في قوله (الا عباد الله) منقطع معناه انهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون وما بينهما اعتراض دال على التنزيه وجوز أن يكون الاستثناء من الضمير في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن أهل الاخلاص مبرؤن من وصفه بما لا ينبغي وحين بين المذاهب الفاسدة بقضها بين أن أهل الشرك ومعبوديهم ليس لهم أن يفتنوا على الله أي يحملوا غيرهم على سلوك سبيل الفتنة والضلال الا من سبق في علم الله بأنه من أهل النار وقالت المعتزلة الا من سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها وجوز جار الله أن تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع وجاز السكوت على تعبدون كما في قولهم كل رجل وضيعته ثم قال (ما أنتم عليه) أي على ما تعبدون (بفاتنين الا من هو صال) مثلكم وقال والوجه في نظم هذه الآيات أن يكون قوله سبحان الله الى قوله المسبحون من كلام الملائكة والمعنى ولقد علمت الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله تنزهوه عن ذلك واستثنوا عباده المخلصين وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه الا من كان مثلكم

يقول أو تقدم يقال من ذلك ناصني فلان اذا ذهب عنك وباصني اذا سبقك ناض في البلاد اذا ذهب فيها بالضاد وذكر الفراء أن العقيلي أنشده

اذا عاش اسحق وشيخه لم أبل * فقيدا ولم يصعب على مناص
ولو أشرفت من كفة الستر عاطلا * لقلت غزال ما عليه خضاض

والخضاض الحلي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس في قوله ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا حين فرار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن التميمي قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبي اسحق الهمداني عن التميمي قال سألت ابن عباس قول الله ولات حين مناص قال ليس حين نزو ولا فرار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولات حين مناص قال ليس حين نزو ولا فرار حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولات حين مناص يقول ليس حين مغاث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولات حين مناص قال ليس هذا بحين فرار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنادوا ولات حين مناص قال نادى القوم على غير حين نداء وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله فلم يقبل منهم ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ولات حين مناص قال حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع الى التوبة ولا فرارا من العذاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فنادوا ولات حين مناص يقول وليس حين فرار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولات حين مناص ولات حين منجى ينجون منه ونصب حين في قوله ولات حين مناص تشبيها للات بليس وأضمر فيها اسم الفاعل وحكى بعض نحويي أهل البصرة الرفع مع لات في حين زعم أن بعضهم رفع ولات حين مناص فجعله في قوله ليس كأنه قال ليس وأضمر الحين قال وفي الشعر

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

فجر أوان وأضمر الحين الى أوان لأن لات لا تكون الا مع الحين قال ولا تكون لات الا مع حين وقال بعض نحويي الكوفة من العرب من يضيف لات فيخفض بها وذكر أنه أنشد

* لات ساعة مندم * بخفض الساعة قال والكلام أن ينصب بها لأنها في معنى ليس وذكر أنه أنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ممن علم الله عز وجل لكفرهم أنهم أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يتجاوزه ونحن الصافون (٧٨) كما مر في أول السورة ونحن المسبحون وقال في التفسير الكبير ها تان الجملتان تدلان على الحصر وفيه اشارة الى أن طاعة البشر كالعدم بالنسبة الى طاعة الملك فكيف يجوز أن يقال البشر تقرب درجتهم من درجة الملك فضلا عن دعوى الأفضلية قلت لا شك أن هذا التركيب يفيد الحصر الا أنه لم يفرق بين قصر الاول على الثاني كما في الآية و بين عكسه والذي يفيد مدعاه هو العكس لا الأصل فافهم وقيل هذه الآيات من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة و يسبحون الله و ينزهونه ثم حكى أن مشركي قريش (كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا) أي كتابا من جملة كتب الأولين أي نظيرها في بيان الشرائع والتكاليف لأخلصنا العبادة لله و إن مخففة واللام فارقة (فكفروا به) الفاء للربط أي فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار فكفروا به (فسوف يعلمون) وخامة عاقبة التكذيب وقيل أرادوا لو علمنا حال آبائنا وما آل اليه أمرهم وكان ذلك كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم لآمنا به وأخلصنا لكنا على شك من حديثه ثم بين أن رسل الله وجنده منصورون غالبون عاجلا وآجلا والأول أكثري والثاني تحقيقي يقيني ثم أمر نبيه بالصفح والاغماض الى أوان النصرة والغلبة قائلا (فتول عنهم) أي أعرض عن أذاهم الى حين الامر بالقتال أو الى يوم بدر عن السدي أو الى الموت والقيامة (وأبصرهم) وما يقضي عليهم من الاسر والقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يؤل قال
اليه أمرك من النصر والثواب في الدارين وفي هذا الامر تنفيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له كأن الحالة الموعودة قدام عينيه قريبا

---

قال وأنشدني بعضهم

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

بخفض أوان قال وتكون لات مع الأوقات كلها واختلفوا في وجه الوقف على قراءة ولات حين فقال بعض أهل العربية الوقف عليه ولات بالتاء ثم يبتدأ حين مناص قالوا وانما هي لا التي بمعنى ما وان في الجحد وصلت بالتاء كما وصلت ثم بها فقيل ثمت وكما وصلت رب فقيل ربت * وقال آخرون منهم بل هي هاء زيدت في لا فالوقف عليها لاه لانها هاء زيدت للوقف كما زيدت في قولهم

العاطفونة حين ما من عاطف * والمطعمونة حين أين المطعم

فاذا وصلت صارت تاء وقال بعضهم الوقف على لا والابتداء بعدها تحين وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين وأوان والآن ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

تولى قتلى يوم سبي حمانا * وصلينا كما زعمت تلانا

وأنه ليس ههنا لا فيوصل بها هاء أو تاء ويقول ان قوله لات حين انما هي ليس حين ولم توجد لات في شيء من الكلام * والصواب من القول في ذلك عندنا أن لا حرف جحد كما و إن وصلت بها تصير في الوصل تاء كما فعلت العرب ذلك بالأدوات ولم تستعمل ذلك كذلك مع لا المدة الا للاوقات دون غيرها ولا وجه للعلة التي اعتل بها القائل انه لم يجد لات في شيء من كلام العرب فيجوز توجيه قوله ولات حين الى ذلك لأنها تستعمل الكلمة في موضع ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم رأيت بالهمز ثم قالوا فانا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر للجاري من استعمال العرب ذلك بينها وأما ما استشهد به من قول الشاعر كما زعمت تلانا فان ذلك منه غلط في تأويل الكلمة وانما أراد الشاعر بقوله * وصلينا كما زعمت تلانا * وصلينا كما زعمت أنت الآن فأسقط الهمزة من أنت فلقيت التاء من زعمت النون من أنت وهي ساكنة فسقطت من اللفظ وبقيت التاء من أنت ثم حذفت الهمزة من الآن فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلان والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن لانها تاء أنت وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الامام التاء متصلة بحين فان الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الاسلام والتاء في جميعها منفصلة عن حين فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله ولات حين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب﴾ يقول تعالى ذكره وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم ولم يأتهم ملك من السماء بذلك وقال الكافرون هذا ساحر كذاب يقول وقال المنكرون وحدانية الله هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر كذاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب حدثنا محمد

وتحقيقه سوف في الموضعين للوعيد لا للتبعيد وكأنهم فهموا التسويف فاستعجلوا العذاب فوبخوا عليه وكان من عادة العرب أن يغيروا
صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وشبه نزول العذاب  بساحتهم بعدما أنذروه بجيش أنذر بعض

قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله ساحر كذاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله أجعل الآلهة الها واحدا يقول وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا محمد ساحر كذاب أجعل محمد المعبودات كلها معبودا واحدا يسمع دعاءنا جميعنا ويعلم عبادة كل عابد عبده منا ان هذا الشئ عجاب أي ان هذا الشئ عجيب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أجعل الآلهة الها واحدا إن هذا الشئ عجاب قال عجب المشركون أن دعوا الى الله وحده وقالوا يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم أسألكم أن تجيبوني الى واحدة تدين لكم بها العرب وتعطيكم بها الخراج العجم فقالوا وما هي فقال تقولون لا اله الا الله فعند ذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا تعجبا منهم من ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة قال ثنا الأعمش قال ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل ان جلس الى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال فأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم اني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وما هي فقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي قال لا اله الا الله قال فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب قال ونزلت من هذا الموضع الى قوله لما يذوقوا عذاب اللفظ لأبي كريب حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض أبو طالب فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده وهم حوله جلوس وعند رأسه مكان فارغ فقام أبو جهل فجلس فيه فقال أبو طالب يا ابن أخي ما لقومك يشكونك قال يا عم أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية قال ما هي قال لا اله الا الله فقاموا وهم يقولون ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق ونزل القرآن ص والقرآن ذي الذكر ذي الشرف بل الذين كفروا في عزة وشقاق حتى قوله أجعل الآلهة الها واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض أبو طالب ثم ذكر نحوه الا أنه لم يقل ذي الشرف وقال الى قوله ان هذا الشئ عجاب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير قال مرض أبو طالب قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فكان عند رأسه مقعد رجل فقام أبو جهل فجلس فيه فشكوا النبي صلى الله عليه وسلم على أبي طالب وقالوا إنه يقع

النصحاء بهجومه قومه فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن الغارة عليهم قيل نزلت في فتح مكة وعن أنس لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أي صباحهم فحذف المخصوص بالذم واللام في المنذرين للجنس وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية والاول لعذاب الدنيا والثاني للآخرة وأطلق الفعل الثاني أيضا اكتفاء بالاول وليفيد فائدة زائدة وهي أنه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من صنوف المسرة وفنون المساءة واعلم أن السورة اشتملت على ما قاله المشركون في الله وعلى ما عانى المرسلون من جهتهم وعلى ما يؤل اليه عاقبة الرسل وحزب الله من موجبات الحمد فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني ومعنى (رب العزة) كقوله قل اللهم مالك الملك والمراد ذي العزة لانها صفته لا مربوبه عن ابن عباس أنه سمع رجلا يقول اللهم رب القرآن فانكر عليه وقال القرآن ليس بمربوب ولكن كلام الله والظاهر أن قوله (عما يصفون) يتعلق بسبحان كما في قوله فسبحان الله عما يصفون وقيل متعلق بالعزة أي امتنع عما يصفونه به وقد مر شئ من تحقيق هذه الحالة

في آخر سورة يس قال بعضهم انما لم يقل في آخر قصتي لوط ويونس سلام عليهما اكتفاء بقوله في الخاتمة وسلام على المرسلين عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة

﴿سورة ص وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وتسعة وستون كلمها سبعمائة واثنان وثلاثون آياتها ثمان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ص والقرآن (٨٠) ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص وعجبوا أن
جاءهم منذر منهم وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها
واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق
الملأ منهم أن امشوا واصبروا على
آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا
في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق
أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم
في شك من ذكري بل لما يذوقوا
عذاب أم عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك
السموات والأرض وما بينهما
فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك
مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد
وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة
أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب
الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء
إلا صيحة واحدة ما لها من فواق
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب
إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والإشراق والطير محشورة كل له
أواب وشددنا ملكه وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك
نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب
إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا
لا تخف خصمان بغى بعضنا على
بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا
أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة فقال أكفلنيها وعزني
في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من
الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر الذي
راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى

في آلهتنا فقال يا ابن أخي ما تريد إلى هذا قال يا عم إني أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية قال وما هي قال لا إله إلا الله فقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ يقول تعالى ذكره وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش القائلين أجعل الآلهة إلها واحدا بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم فأن من قوله أن امشوا في موضع نصب بتعلق انطلقوا بها كأنه قيل انطلقوا مشيا ومضيا على دينكم وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم وذكر أن قائل ذلك كان عقبة بن أبي معيط ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد وانطلق الملأ منهم قال عقبة بن أبي معيط وقوله إن هذا لشيء يراد أي إن هذا القول الذي يقول محمد ويدعونا إليه من قول لا إله إلا الله شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك وقوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية قالوا وهي الملة الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يقول النصرانية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية فقالوا لو كان هذا القرآن حقا أخبرتنا به النصارى حدثني محمد بن إسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي لبيد عن القرظي في قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال ملة عيسى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة النصرانية * وقال آخرون بل عنوا بذلك ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال ملة قريش حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في الملة الآخرة قال ملة قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة أي في ديننا هذا ولا في زماننا قط حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال الملة الآخرة الدين الآخر قال والملة الدين * وقيل إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش منهم أبو جهل والعاص بن وائل والأسود ابن عبد يغوث ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فيأمره فليكفف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه

فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا (٨١) وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب

الذى يعبد فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ فتعيرنا العرب فيقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه قال فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخى هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال فقال أى عم أولا أدعوهم الى ماهو خير لهم منها قال وإلام تدعوهم قال أدعوهم الى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم قال فقال أبو جهل من بين القوم ماهى وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال تقولون لا اله الا الله قال فنفروا وقالوا سلنا غير هذه قال لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها قال فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك والذى يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد الى قوله إلا اختلاق وأقبل على عمه فقال له عمه يا ابن أخى ما شططت عليهم فأقبل على عمه فدعاه فقال قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة تقول لا اله الا الله فقال لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها ولكن على ملة الأشياخ قال فنزلت هذه الآية انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشئ يراد قال نزلت حين انطلق أشراف قريش الى أبى طالب فكلموه فى النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ان هذا الا اختلاق يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين فى القرآن ما هذا القرآن الا اختلاق أى كذب اختلقه محمد وتخرصه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان هذا إلا اختلاق يقول تخريص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان هذا إلا اختلاق قال كذب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ان هذا الا اختلاق يقول كذب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هذا الا اختلاق الا شئ تخلقه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان هذا الا اختلاق اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا الا اختلاق قالوا ان هذا الا كذب

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش أأنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به وليس بأشرف منا حسبا وقوله بل هم فى شك من ذكرى يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق ولكنهم فى شك من وحينا اليه وفى هذا القرآن الذى أنزلناه اليه أنه من عندنا بل لما يذوقوا عذاب

﴿ القراآت أونزل بالواو مثل أونبئكم فى آل عمران عذابى وعقابى بالياء فى الحالين يعقوب والسرندى عن قنبل وافق سهل وعباس فى الوصل أيكة مذكور فى الشعراء من فواق بضم الفاء حمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح ولى نعجة بفتح الياء حفص والأعشى والبرجمى فتناه بتخفيف النون على أنه مثنى والضمير للخصمين عباس لتدبروا بحذف احدى التاءين على أنه خطاب يزيد والأعشى والبرجمى الباقون على الغيبة وادغام تاء التفعل فى الدال انى أحببت بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن بعدى بالفتح أبو جعفر ونافع وأبو عمرو والرياح مجموعة يزيد ﴿ الوقوف ذى الذكر ط وشقاق ن مناص ٥ منهم ز لتصريح ذكر الكافرين مع امكان الاكتفاء بالضمير وقد اتفقت الجملتان كذاب ج للاستفهام واتحاد العامل واحدا ج لمثل مامر عجاب ٥ آلهتكم ج

يقول بل لم ينزل بهم بأسنا فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا وشكهم فى تنزيلنا هذا القرآن عليه ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذبون حين لا ينفعهم علمهم ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ يقول تعالى ذكره أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحى الله الى محمد خزائن رحمة ربك يعنى مفاتيح رحمة ربك يا محمد العزيز فى سلطانه الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان ونبوّة فيمنعوك يا محمد ما منّ الله به عليك من الكرامة وفضلك به من الرسالة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين الذين هم فى عزة وشقاق ملك السموات والأرض وما بينهما فانه لا يعازنى ويشاقنى الا من كان له ملك ذلك يقول ليس ذلك لأحد غيرى فكيف يعازنى ويشاقنى من كان فى ملكى وسلطانى وقوله فليرتقوا فى الأسباب يقول وان كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليصعدوا فى أبواب السماء وطرقها فان من كان له ملك شئ لم يتعذر عليه الاشراف عليه وتفقده وتعهده واختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها أبواب السماء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فليرتقوا فى الأسباب قال طرق السماء وأبوابها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليرتقوا فى الأسباب يقول فى أبواب السماء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فى الأسباب قال أسباب السموات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فليرتقوا فى الأسباب قال طرق السموات حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك أم لهم ملك السموات والأرض يقول ان كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب يقول فليرتقوا الى السماء السابعة حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فليرتقوا فى الأسباب يقول فى السماء ✻ وذكر عن الربيع بن أنس فى ذلك ما حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال الأسباب أدق من الشعر وأشدّ من الحديد وهو بكل مكان غير أنه لا يرى وأصل السبب عند العرب كل ما تسبب به الى الوصول الى المطلوب من حبل أو وسيلة أو رحم أو قرابة أو طريق أو محجة وغير ذلك وقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب يقول تعالى ذكره هم جند يعنى الذين فى عزة وشقاق هنالك يعنى ببدر مهزوم وقوله هنالك من صلة مهزوم وقوله من الأحزاب يعنى من احزاب ابليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم فأهلكهم الله بذنوبهم ومن من قوله من الأحزاب من صلة قوله جند ومعنى الكلام هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك وما فى قوله جند ما هنالك صلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب قال قريش من الأحزاب قال القرون الماضية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال

لما مر يراد ج ٥ لذلك الآخرة ج لذلك اختلاق ٥ ج لما قلنا من بيننا ط من ذكرى ٥ لعطف الجملتين المختلفتين والابتداء بالتهديد عذاب ٥ لأن أم بمعنى ألف استفهام انكار الوهاب ٥ ج لأن أم تصلح ابتداء انكار الأسباب ٥ الأحزاب ٥ الأوتاد ٥لا الأيكة ط الأحزاب ٥ عقاب ٥ فواق ٥ الحساب ٥ الأيد ج للابتداء بان ولاحتمال التعليل أوّاب ٥ والاشراق ٥ أوّاب ٥ الخطاب ٥ الخصم م لأن اذ ليس بظرف للاتيان ولتناهى الاستفهام الى الامر أى اذكر اذ تسوروا المحراب ٥لا لأن اذ بدل من الاولى لا تخف ج لحق الحذف أى نحن خصمان مع اتحاد المقول الصراط ٥ فى الخطاب ٥ نعاجه ج ماهم ط وأناب ٥ ذلك ط مآب ٥ عن سبيل الله الاولى ط الحساب ٥ باطلا ط كفروا ج للابتداء بالتهديد مع فاء التعقيب النار ٥ ج لأن أم لاستفهام انكار كالفجار ٥ الألباب ٥ سليمن ط العبد ط أوّاب ٥لا والأصح الوقف والتقدير اذكر اذ فان أو به غير مقيد بل مطلق الجياد ٥ لا للعطف ربى ج لاحتمال أن حتى للابتداء وأن تكون لانتهاء الحب أى آثرت حب الخير حتى توارت بالحجاب ٥ لحق الحذف تقديره قال ردّوها علىّ فطفق والأعناق ٥ أناب ٥ بعدى ٥لا لاحتمال أن يكون التقدير فانك الوهاب ٥ أصاب ٥ وغوّاص ٥ الأصفاد ٥ حساب ٥ مآب ٥ ۞ التفسير عن ابن عباس أن ص بحر عليه عرش الرحمن وعن سعيد ابن جبير بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين وقيل صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر به عن الله وقيل صدّ الكفار عن قبول هذا الدين وقيل صدّ محمد صلى الله عليه وسلم قلوب العباد وقيل هو من المصاداة المعارضة ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت فى الجبال يؤيده قراءة من قرأ ص بالكسر معناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه والذكر الشرف والشهرة أو الموعظة ثنا

وجواب القسم محذوف كأنه قيل انه المعجز وان الحكم لواحد ويجوز ان كان ص اسم السورة ان يراد هذه ص والقرآن يعني هذه السورة هي التي أعجزت العرب بحق القرآن كما تخبر عن هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله ثم بين أن الكفار في استكبار



ثنا سعيد بن قتادة جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب قال وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندا من المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك جند ما هنالك مغلوب عن أن يصعد الى السماء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش القائلين أجعل الآلهة الها واحدا رسلها قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد * واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد فقال بعضهم قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها ذكر من قال ذلك حدثت عن علي بن الهيثم عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفرعون ذو الأوتاد قال كانت ملاعب يلعب له تحتها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفرعون ذو الأوتاد قال كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب له عليها * وقال آخرون بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ذو الأوتاد قال كان يعذب الناس بالأوتاد يعذبهم بأربعة أوتاد ثم يرفع صخرة تمد بالحبال ثم تلقى عليه فتشدخه حدثت عن علي بن الهيثم عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال كان يعذب الناس بالأوتاد * وقال آخرون معنى ذلك ذو البنيان قالوا والبنيان هو الأوتاد ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك ذو الاوتاد قال ذو البنيان * وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك الأوتاد إما لتعذيب الناس واما للعب كان يلعب له بها وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد وثمود وقوم لوط وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا وأصحاب الأيكة يعني وأصحاب الغيضة وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى عن أبي عمرو يقول الأيكة الحرجة من النبع والسدر وهو الملتف منه قال الشاعر

أفمن بكاء حمامة في أيكة * يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعني محمل السيف وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصحاب الأيكة قال كانوا أصحاب شجر قال وكان عامة شجرهم الدوم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله وأصحاب الأيكة قال أصحاب الغيضة وقوله أولئك الأحزاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به الذين منهم يا محمد مشركو قومك وهم مسلوك بهم سبيلهم ان كل الا كذب الرسل يقول ما كل هؤلاء الامم الا كذب رسل الله وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي ان كل لما كذب الرسل فحق عقاب يقول فوجب عليهم عقاب الله اياهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب قال هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل فحق عليهم العذاب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا

عن الاذعان للحق وفي مخالفة الله ورسوله ومعنى بل ترك كلام والأخذ في كلام آخر ولئن سلم أنه للمغايرة الكلية فالكلام الأول هو كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في تبليغ الرسالة أو كون القرآن أو هذه السورة معجزا والحكم المذكور بعد بل هو المعازة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب ثم خوف الكفار بقوله (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات) أي رفعوا أصواتهم بالدعاء والاستغاثة لأن نداء من نزل به العذاب لا يكون الا كذلك وعن الحسن فنادوا بالتوبة كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا ولهذا قال ولات (حين مناص) أي لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب أو حين نداء ينجي قال سيبويه والخليل التاء في لات زائدة مثلها في ربت وثمت وهي المشبهة بليس وقد تغير حكمها بزيادة التاء حيث لا تدخل الا على الأحيان ولم يبرز الا اسمها أو خبرها وتقدير الآية ليس الحين حين مناص ولو رفع لكان تقديره وليس حين مناص حاصلا لهم وقال الأخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان كأنه قيل ولا حين مناص لهم وقيل أصل لات ليس قلبت الياء ألفا والسين تاء وقيل التاء قد تلحق بحين كقوله

العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم

والى هذا ذهب أبو عبيدة وتأكد هذا الرأي عنده حين رأى التاء في المصحف متصلا بحين وضعف بعد تسليم أنه في الامام كذلك بأن خط المصحف غيره ليس عليه أما الوقف على لات فعند الكوفيين بالهاء قياسا على الأسماء وعند البصريين بالتاء قياسا على الأفعال والمناص مصدر ناص ينوص اذا هرب ونجا أو فات قال ابن عباس

لما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فأنزل الله ولات حين مناص ثم حكى شر صنيعهم وسوء مقالتهم في حق النبي صلى الله عليه وسلم قائلا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) (٨٤) أي من جنس البشر ثم سجل عليهم بالكفر بوضع الظاهر موضع المضمر قائلا (وقال الكافرون هذا ساحر) في اظهار خوارق العادات (كذاب) على الله وأما قيل في سورة ق فقال الكافرون بالفاء لأن القول هناك شئ عجيب وهو نتيجة العجب فاتصل الكلامان لفظا ومعنى وأما ههنا فلم يتصل الا معنى (أجعل الآلهة) أي صيرها وحكم عليها بالوحدة (ان هذا لشئ عجاب) بليغ في العجب يروى أنه لما أسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الأشراف والرؤساء امشوا الى أبي طالب فأتوه وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا أتيناك لتقضي بيننا و بين ابن أخيك فدعا أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألون السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال له أبو جهل والله لنعطينكها وعشر أمثالها فقال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد فأنزل الله هذه الآيات يعني من أول السورة الى قوله كذبت قبلهم (وانطلق الملأ منهم) أي نهضوا من ذلك المجلس و (أن) مفسرة أي (امشوا) من غير أن يتلفظوا به (واصبروا على) عبادة (آلهتكم) قال النحويون الانطلاق ههنا مضمن معنى القول لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا كان ويتفاوضوا فيما جرى لهم وقيل وانطلق الملأ منهم وقالوا لغيرهم امشوا وقيل انطلقوا بأن امشوا أي بهذا القول وليس المراد بالمشي السير

قبل يوم الحساب) يقول تعالى ذكره وما ينظر هؤلاء المشركون بالله من قريش الا صيحة واحدة يعني بالصيحة الواحدة النفخة الاولى في الصور ما لها من فواق يقول ما لتلك الصيحة من فيقة يعني من فتور ولا انقطاع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة يعني أمة محمد ما لها من فواق حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي عن اسمعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال كيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع الاولى والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق * واختلف أهل التأويل في معنى قوله ما لها من فواق فقال بعضهم يعني بذلك ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ما لها من فواق يقول من ترداد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ما لها من فواق يقول ما لها من رجعة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما لها من فواق قال من رجوع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما لها من فواق يعني الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد * وقال آخرون بل معنى ذلك ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك افاقة ولا رجوع الى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما لها من فواق يقول ليس لهم بعدها افاقة ولا رجوع الى الدنيا وقال آخرون الصيحة في هذا الموضع العذاب ومعنى الكلام ما ينتظر هؤلاء المشركون الا عذابا يهلكهم لا افاقة لهم منه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما لها من فواق قال ما ينتظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم ليس لهم فيها افاقة * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة من فواق بفتح الفاء وقرأته عامة أهل الكوفة من فواق بضم الفاء * واختلف أهل العربية في معناها اذا قرئت بفتح الفاء وضمها فقال بعض البصريين منهم معناها اذا فتحت الفاء ما لها من راحة واذا ضمت جعلها فواق ناقة ما بين الحلبتين وكان بعض الكوفيين منهم يقول معنى الفتح والضم فيها واحد وانما هما لغتان مثل السواف والسواف وجمام المكوك وجمامه وقصاص الشعر وقصاصه * والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرقون بين معنى الضم فيه والفتح ولو

كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم لقد كانوا فرقوا بين ذلك فى المعنى فاذ كان ذلك كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب وأصل ذلك من قولهم أفاقت الناقة فهى تفيق افاقة وذلك اذا ردت ما بين (١) الرضعتين ولدها الى الرضعة الاخرى وذلك أن ترضع البهيمة أمها ثم تتركها حتى ينزل شئ من اللبن فتلك الافاقة يقال اذا اجتمع ذلك فى الضرع فيقة كما قال الاعشى

حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت * جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

وقوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة والقط فى كلام العرب الصحيفة المكتوبة ومنه قول الأعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته * بنعمته يعطى القطوط ويأفق

يعنى بالقطوط جمع القط وهى الكتب بالجوائز واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القط لهم فقال بعضهم انما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذى أعدلهم فى الآخرة فى الدنيا كما قال بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربنا عجل لنا قطنا يقول العذاب حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله عجل لنا قطنا قال عذابنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عجل لنا قطنا قال عذابنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب أى نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة قال قد قال ذلك أبو جهل اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء الآية * وقال آخرون بل انما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله عجل لنا قطنا قالوا أرنا منازلنا فى الجنة حتى نتابعك * وقال آخرون مسألتهم نصيبهم من الجنة ولكنهم سألوا تعجيله لهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت الحداد قال سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال نصيبنا من الجنة * وقال آخرون بل سألوا ربهم تعجيل الرزق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمر بن على قال ثنا أشعث السجستانى قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبى خالد فى قوله عجل لنا قطنا قال رزقنا * وقال آخرون سألوا أن يعجل لهم كتبهم التى قال الله فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله فى الدنيا لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم ولينظروا من أهل الجنة هم أم من أهل

(١) لعله ردت ولدها ما بين الرضعة الى الرضعة الخ تأمل كتبه مصححه

صلى الله عليه وسلم (لشئ يراد) أى حكم الله به فلا حيلة فى دفعه ولا ينفع الا الصبر أو انه لشئ من نوائب الدهر أريد بنا فلا انفكاك لنا منه أو ان دينكم لشئ يراد أن يؤخذ منكم وقيل ان عبادة الأصنام لشئ نريده ونحتاج اليه وقيل ان هذا الاستعلاء والترفع لشئ يريده كل أحد وكل ذى همة وقريب منه قول القفال ان هذه كلمة تذكر للتحذير والتخويف معناها انه ليس غرض محمد صلى الله عليه وسلم من هذا القول تقرير الدين ولكن غرضه أن يستولى علينا ويحكم فى أموالنا وأولادنا بما يريد (ما سمعنا بهذا) أى بقول محمد صلى الله عليه وسلم (فى الملة الآخرة) فيما أدركنا عليه آباءنا أو فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن النصارى مثلثة غير موحدة قال جار الله يجوز أن يكون التقدير ما سمعنا بهذا كائنا فى الملة الآخرة فيكون الظرف حالا من هذا لا متعلقا بسمعنا والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه من عنده ثم أظهروا الحسد وما كان يغلى به صدورهم قائلين (أأنزل عليه الذكر من بيننا) وذلك أنهم ظنوا أن الشرف بالمال والجاه فقط نظيره فى القمر أألقى الذكر عليه من بيننا الا أنه استعمل هنالك الالقاء لان أذكارهم كانت صحفا مكتوبة وألواحا مسطورة وقدم الظرف ههنا لشدة العناية ولزيادة غيظهم وحمقهم فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (بل هم فى شك من ذكرى) أى من دلائلى التى لو نظروا فيها لزال الشك عنهم فالقاطع لا يساوى المشكوك وقيل أراد أنهم لا يكذبونك ولكنهم جحدوا آياتى ثم قال (بل لما يذوقوا عذاب) أى لو ذاقوه لأقبلوا على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات وقيل أراد

النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم ثم أتبع ذلك قوله لنبيه اصبر على ما يقولون فكان معلوما بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الامر بالصبر عليه ولكن لما كان ذلك استهزاء وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم ولما لم يكن في قوله عجل لنا قطنا بيان أي القطوط ارادتهم لم يكن لنا توجيه ذلك الى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر فلذلك قلنا ان مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر ۞ القول في تأويل قوله تعالى {اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك فانا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم الى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن ايشا فاذكره ذا الأيد ويعني بقوله ذا الأيد ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس داود ذا الأيد قال ذا القوة حدثني محمد بن عمرو قال ثني أبو عاصم قال ثني عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ذا الأيد قال ذا القوة في طاعة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر عبدنا داود ذا الأيد قال أعطي قوة في العبادة وفقها في الاسلام وقد ذكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله داود ذا الأيد ذا القوة في طاعة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله داود ذا الأيد قال ذا القوة في عبادة الله الأيد القوة وقرأ والسماء بنيناها بأيد قال بقوة وقوله انه أواب يقول ان داود رجاع عما يكرهه الله الى ما يرضيه أواب وهو من قولهم آب الرجل الى أهله اذا رجع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه أواب قال رجاع عن الذنوب حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه أواب قال الراجع عن الذنوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انه أواب أي كان مطيعا لله كثير الصلاة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله انه أواب قال المسبح حدثني يونس

---

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بالعذاب لو أصروا على الكفر ثم انهم اصروا ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه صلى الله عليه وسلم فلاجرم لا يزول ذلك الشك الا بنزول العذاب ثم أجاب عن شبهتهم بوجه آخر وهو قوله (أم عندهم خزائن رحمة ربك) والمراد أن النبوة من جملة النعمة المخزونة عنده يعطيها من يشاء من عباده ثم خصص بعد التعميم قائلا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ولا ريب أن هذه الأشياء بعض خزائن الله واذا كانوا عاجزين عن البعض فعن الكل أولى ثم تهكم بهم بقوله (فليرتقوا) أي فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوسل بها الى المقصود وقيل أسباب السموات أبوابها والمعنى ان ادعوا ملك السموات وأنهم يعلمون ما يجري فيها فليرتقوا اليها قال بعض حكماء الاسلام في الأسباب اشارة الى أن الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب حوادث العالم السفلي ثم حقر أمرهم بقوله (جند ما) وهو خبر مبتدأ محذوف وما مزيدة للاستعظام جارية مجرى الصفة أي هم جند من الجنود ثم خصص الوصف بقوله (من الاحزاب) أي ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر وقيل يوم الخندق وقيل فتح مكة فان مكة هي الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وقال أهل البيان هي اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك ثم مثل حالهم بحال من قبلهم من الأمم المكذبة وقصصهم مذكورة مرارا والذي يختص بالمقام هو أنه وصف فرعون بذي الاوتاد فعن قتادة أنه قال كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب بها عنده وقال المبرد بنى أبنية طويلة صارت كالأوتاد لبقائها وقيل هي أوتاد أربعة كان يعذب الناس

بها على الارض أو على رؤس أخشاب أربعة وقيل أراد كثرة أوتاد خيام معسكره وقيل أراد أنه ذو جموع كثيرة فبالجمعية يشتد الملك كما يشتد البناء بالأوتاد وهذا قريب وقول أهل البيان ان أصل هذه الكلمة من ثبات (٨٧) البيت المطنب بأوتاد ثم استعير لثبات العز

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انه أوّاب قال الأوّاب التوّاب الذي يؤب الى طاعة الله ويرجع اليها ذلك الأوّاب قال والأوّاب المطيع وقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشيّ والاشراق يقول تعالى ذكره انا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشيّ وذلك من وقت العصر الى الليل والاشراق وذلك بالغداة وقت الضحى ذكر أن داود كان اذا سبح سبحت معه الجبال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشيّ والاشراق يسبحن مع داود اذا سبح بالعشيّ والاشراق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بالعشيّ والاشراق قال حين تشرق الشمس وتضحى حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر بن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله يسبحن بالعشيّ والاشراق حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا صدقة قال ثني سعيد ابن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ فقلت أخبري هذا بما أخبرتني به فقالت أم هانئ دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي فأمر بماء فصب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلوسهنّ سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى الا الآن يسبحن بالعشيّ والاشراق وكنت أقول أين صلاة الاشراق ثم قال بعد هنّ صلاة الاشراق حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن متوكل عن أيوب بن صفوان مولى عبد الله ابن الحرث عن عبد الله بن الحرث أن أم هانئ ابنة أبي طالب حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل عليها ثم ذكر نحوه وعن ابن عباس في قوله يسبحن بالعشيّ مثل ذلك وقوله والطير محشورة يقول تعالى ذكره وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى مجموعة له ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سبح أجابته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه كان حشرها وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى فكرهنا اعادته وكان قتادة يقول في ذلك في هذا الموضع ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والطير محشورة مسخرة وقوله كل له أوّاب يقول كل ذلك له مطيع رجاع الى طاعته وأمره ويعني بالكل كل الطير وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كل له أوّاب أي مطيع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والطير محشورة كل له أوّاب قال كل له مطيع * وقال آخرون معنى ذلك كل لله مسبح ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله والطير محشورة كل له أوّاب يقول مسبح لله وقوله وشددنا ملكه اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به شدد ملكه فقال بعضهم شدد

والملك والمقصود على الوجوه كلها وصف فرعون بالشدة والقوة ونفاذ الامر ليعلم أنه تعالى أهلك من كان هذه صفته فكيف بمن هو دونه قال أبو البقاء قوله (أولئك الاحزاب) مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون خبرا والمبتدأ من قوله وعاد أو من ثمود أو من قوم لوط قلت ويحتمل أن يكون الاحزاب صفة أولئك وأولئك بدلا من مجموع المعطوفات والمعطوف عليه قال جار الله قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن هذه الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وآباؤهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية أعني قوله ان كل الا كذب الرسل فبين أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم (فحق) أي ثبت أو وجب لذلك عقابي اياهم في الدنيا ثم في الآخرة وذلك قوله (وما ينظر هؤلاء) المذكورون وقيل أهل مكة (الا صيحة واحدة) وهي النفخة الاولى (مالها من) توقف مقدار (فواق) وهو بالفتح والضم زمان ما بين حلبتي الحالب عن النبي صلى الله عليه وسلم العيادة قدر فواق الناقة ومعنى الآية اذا جاء وقتها لم يمهل هذا القدر وقيل الفواق بالفتح الافاقة اى مالها من رجوع وترداد لان الواحدة تكفي أمرهم ومالها رجوع الى الحالة الاولى بل تبقى ممتدة الى أن يهلك كلهم واعلم أن القوم انما تعجبوا لشبهات ثلاث وقعت لهم أولاها في الالهيات وهو قولهم أجعل الآلهة الها واحدا والثانية في النبوات وهي قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا والثالثة تتعلق بالمعاد وهي قولهم ربنا عجل لنا قطنا وهو القطعة من الشئ لانه قطع منه من قطه اذا قطعه والقط أيضا صحيفة الجائزة ونحوها

لانها قطعة من القرطاس استعجلوا نصيبهم من العذاب الموعود أو من اللذات العاجلة أو من الجنة أو من صحيفة الاعمال كل ذلك استهزاء منهم فلذلك أمره بالصبر على ما يقولون قال جار الله أراد اصبر على أذاهم وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مخابراتهم (واذكر) أخاك (داود) كيف زل تلك الزلة اليسيرة فعوتب عليها ونسب الى البغي أو اصبر وعظم أمر معصية الله فى أعينهم بذكر قصة داود وما أورثته زلته من البكاء الدائم والحزن الواصب وقال غيره اصبر على أذى قومك فانك مبتلى بذلك كما صبر سائر الانبياء على ما ابتلاهم به ثم عدهم وبدأ بداود وذلك أنه تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه أنهم وجدوها بالصبر على البلايا فسأل الابتلاء وفيه أن الدنيا لاتنفك من الهموم والأحزان واستحقاق الدرجات بقدر الصبر على البليات ثم ان مجامع ماذكر الله تعالى فى قصة داود ثلاثة أنواع من الكلام الاول تفصيل ما آتاه الله تعالى من الفضائل الثانى شرح الواقعة التى وقعت له والثالث استخلاف الله تعالى اياه بعد ذلك والأول عشرة أصناف * أحدها ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم اياه ليقتدى به فى الصبر وسائر أصول الاخلاق * وثانيها تسميته بالعبد مضافا الى صيغة جمع التكلم للتعظيم والعبودية الصحيحة الجامعة لكمالات الممكنات كما سبق مرارا ويمكن أن يكون التلفظ بذكر اسمه العلم أيضا تشريفا له * وثالثها قوله ذا الايد أى ذا القوة فى الحروب وعلى الطاعات وعن المعاصى وكان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل ويحتمل أن يكون الياء محذوفا اكتفاء بالكسر فيكون جمع اليد بمعنى النعمة لأن الله تعالى أنعم عليه مالم ينعم على غيره * رابعها قوله انه أواب أى رجاع فى الامور كلها الى طاعة عليه الله ومرضاته من آب يؤب * خامسها تسبيح الجبال معه وقوله يسبحن حال والاشراق وقت اضاءة الشمس وهو بعد شروقها عند الضحى

ذلك بالجنود والرجال فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله وشددنا ملكه قال كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف * وقال آخرون كان الذى شدد به ملكه أن أعطى هيبة من الناس له لقضية كان قضاها ذكر من قال ذلك حدثنى ابن حرب قال ثنا موسى قال ثنا داود عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا عند داود النبى صلى الله عليه وسلم فقال المستعدى ان هذا اغتصبنى بقرالى فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فقاما من عنده فأوحى الله الى داود فى منامه أن يقتل الرجل الذى استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأوحى الله الى داود فى منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل وأوحى الله اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل ان الله قد أوحى الى أن أقتلك فقال الرجل تقتلنى بغير بينة ولا تثبت فقال له داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لاتعجل على حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك قتلت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ماذكرنا وجائز أن يكون كان بجميعها ولا قول أولى فى ذلك بالصحة من قول الله اذ لم يحصر ذلك على بعض معانى التشديد خبر يجب التسليم له وقوله وآتيناه الحكمة اختلف أهل التأويل فى معنى الحكمة فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله وآتيناه الحكمة قال النبوة وقال آخرون عنى بها أنه علم السنن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه الحكمة أى السنة وقد بينا معنى الحكمة فى غير هذا الموضع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وفصل الخطاب اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم عنى به أنه علم القضاء والفهم به ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال أعطى الفهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وفصل الخطاب قال اصابة القضاء وفهمه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وفصل الخطاب قال علم القضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال الخصومات التى يخاصم الناس اليه فصل ذلك الخطاب الكلام الفهم واصابة القضاء والبينات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين قال سمعت أبا عبد الرحمن يقول فصل الخطاب القضاء * وقال آخرون بل معنى ذلك وفصل الخطاب بتكليف المدعى البينة واليمين على المدعى

عليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند قال ثنى الشعبي أو غيره عن شريح أنه قال في قوله وفصل الخطاب قال بينة المدعى أو يمين المدعى عليه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال نبئت عن شريح أنه قال شاهدان أو يمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر قال سمعت داود قال بلغني أن شريحا قال فصل الخطاب الشاهدان على المدعى واليمين على المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طاوس أن شريحا قال لرجل انه هذا يعيب على ما أعطى داود الشهود والايمان حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن شريح أنه قال في هذه الآية وفصل الخطاب قال الشهود والأيمان حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبي في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال يمين أو شاهد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفصل الخطاب البينة على الطالب واليمين على المطلوب هذا فصل الخطاب

* وقال آخرون بل هو قول أما بعد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا اسمعيل عن الشعبي في قوله وفصل الخطاب قال قول الرجل أما بعد

* وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب والفصل هو القطع والخطاب هو المخاطبة ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما الى صاحبه قطع المحتكم اليه الحكم بين المحتكم اليه وخصمه بصواب من الحكم ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه الزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه ان كان مدعيا فاقامة البينة على دعواه وان كان مدعى عليه فتكليفه اليمين ان طلب ذلك خصمه ومن قطع الخطاب أيضا الذى هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد فاذ كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أى ذلك المراد ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت فالصواب أن يعم الخبر كما عمه الله فيقال أوتى داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم وقيل انه عنى بالخصم في هذا الموضع ملكان وخرج في لفظ الواحد لأنه مصدر مثل الزور والسفر لا يثنى ولا يجمع ومنه قول لبيد

وخصم يعدون الدخول كأنهم * قروم غيارى كل أزهر مصعب

وقوله اذ تسوروا المحراب يقول دخلوا عليه من غير باب المحراب والمحراب مقدم كل مجلس وبيت وأشرفه وقوله اذ دخلوا على داود فكرر اذ مرتين وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك قد يكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت على اذ اجترأت فيكون الدخول هو الاجتراء ويكون أن تجعل احداهما على مذهب لما فكأنه قال اذ تسوروا المحراب لما دخلوا قال وان شئت جعلت لما في الاول فاذا كان لما أولا وآخرا فهى بعد صاحبتها كما تقول أعطيته لما سألنى

---

يقال شرقت الشمس ولما تشرق واستدل به ابن عباس على وجود صلاة الضحى في القرآن لما روى عن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق  قال ابن عباس وكانت صلاة يصليها داود عليه السلام ويحتمل أن يكون معنى الاشراق الدخول في وقت الشروق فيراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق قاله جار الله * سادسها قوله والطير محشورة أى وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية قال ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقد مر ذكر هذه المعجزة في الأنبياء وفي سبا قال أهل البيان قوله محشورة في مقابلة قوله يسبحن ولكنه اختير الفعل في أحد الموضعين والاسم في الآخر لأنه أريد في الأول الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال حتى كأن السامع يتصورها بتلك الحالة وأما الحاشر فهو الله وحشر الطيور جملة واحدة أدل على القدرة له تعالى * سابعها قوله (كل له أواب) أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود مسبح مرجع للتسبيح وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله مسبح رجاع الى فعله مرة بعد مرة وهذا الوصف كالتأكيد للوصف الذى يتقدمه وهذا أخص لأنه أدل على الواقعة * ثامنها قوله (وشددنا ملكه) أى قويناه بالجنود والأعوان وبسائر الأسباب فكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف حرس وزاد بعضهم فقال أربعون ألفا وقيل نصرناه بالهيبة وسببه أن غلاما ادعى على رجل بقرة فأنكر المدعى عليه ولطم الغلام لطمة فسأل داود من الغلام البينة فعجز فرأى داود في المنام أن الله تعالى يأمره أن يقتل المدعى عليه ويسلم البقرة الى الغلام فقال داود هذا منام فأتاه الوحى بذلك في اليقظة فأخبر بذلك بنى اسرائيل فجزعوا وقالوا أتقتل رجلا بلطمة

فقال داود هذا أمر الله فسكتوا ثم أحضر الرجل وأخبره ان الله أمره بقتله فقال الرجل صدقت يا نبي الله اني قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فقتله داود فعظمت هيبته واشتدّ ملكه (٩٠) وقالوا انه يقضي بالوحي من السماء * تاسعها قوله وآتيناه الحكمة وقد مر معناها مرارا وأنها منحصرة في قسمين الاول العلم بالتصوّرات الحقيقية والتصديقات اليقينية بمقتضى الطاقة البشرية والثاني العمل بالأخلاق الفاضلة المفضية الى السعادة الباقية وخصصها بعضهم بالعلم بالنبوّة والفهم أو بالزبور والشرائع *عاشرها فصل الخطاب وهو القدرة على ضبط المعاني والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملا مكملا فهما مفهما قال جار الله الفصل بمعنى المفصول ومعناه البين من الكلام الملخص الذى لا يلتبس ولا يختلط بغيره قلت ومن ذلك أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل كما نذكره في الوقوف وعن علي رضي الله عنه أنه قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم والصحب ويندرج فيه جميع كلامه في الأقضية والحكومات وتدابير الملك والمشورات يروى أنه سبحانه علق لأجله سلسلة من السماء وأمره أن يقضي بها بين الناس فمن كان على الحق يأخذ السلسلة ومن كان على الباطل لا يقدر على أخذها ثم ان رجلا غصب من آخر لؤلؤة وجعلها في جوف عصاله ثم خاصمه المدعي الى داود فقال المدعي ان هذا أخذ مني لؤلؤة ولم يردّها عليّ واني صادق في مقالتي فجاء وأخذ السلسلة فتحير داود في ذلك فرفعت السلسلة وأمره أن يقضي بالبينة واليمين وهو فصل الخطاب وقيل هو قوله أما بعد وهو أوّل من تكلم به وقيل هو أنه اذا تكلم في الحكم فصل وكل هذه الاقوال تخصيصات من غير دليل والأقوى ما قدمناه ثم انه سبحانه لما مدحه بالوجوه العشرة أردفه بذكر واقعته قائلا (وهل أتاك) يا محمد (نبأ الخصم) أي ما أتاك خبرهم وقد أتاك الآن وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون أدعى ابن

فالسؤال قبل الاعطاء في تقدمه وتأخره وقوله ففزع منهم يقول القائل وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان فان فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذى منه كان المدخل عليه فراعه دخولهما كذلك عليه وقيل ان فزعه كان منهما لأنهما دخلا عليه ليلا في غير وقت نظره بين الناس قالوا لا تخف يقول تعالى ذكره قال له الخصم لا تخف يا داود وذلك لما رآه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام منه وهو مرافع خصمان وذلك نحن وانما جاز ترك اظهار ذلك مع حاجة الخصمين الى المرافع لان قوله خصمان فعل للتكلم والعرب تضمر للتكلم والمكلم المخاطب ما يرفع أفعالهما ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما فيقولون للرجل يخاطبونه أمنطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه أحسن اليك وتجمل وانما يفعلون ذلك كذلك في المتكلم والمكلم لأنهما حاضران يعرف السامع مراد المتكلم اذا حذف الاسم وأكثر ما يجيء ذلك في الاستفهام وان كان جائزا في غير الاستفهام فيقال أجالس راكب فمن ذلك قوله خصمان ومنه قول الشاعر

وقولا اذا جاوزتما أرض عامر * وجاوزتما الحيين (١) نهلا وخثعما

نزيعان من جرم بن زبان انهم * أبوا أن يميزوا في الهزاهز أعجما

وقول الآخر

تقول ابنة الكعبيّ يوم لقيتها * أمنطلق في الجيش أم متثاقل

ومنه قولهم محسنة فهيلي وقول النبي صلى الله عليه وسلم آئبون تائبون وقوله جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله كل ذلك بضمير رفعه وقوله عز وجل بغى بعضنا على بعض يقول تعدّى أحدنا على صاحبه بغير حق فاحكم بيننا بالحق يقول فاقض بيننا بالعدل ولا تشطط يقول ولا تجر ولا تسرف في حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه وفيه لغتان أشط وشط ومن الاشطاط قول الأحوص

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي * ويزعمن أن أودى بحق باطلي

ومسموع من بعضهم شططت عليّ في السوم فأما في البعد فان أكثر كلامهم شطت الدار فهي تشط كما قال الشاعر

تشط غدا دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

وقوله واهدنا الى سواء الصراط يقول وأرشدنا الى قصد الطريق المستقيم وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله ولا تشطط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تشطط أي لا تمل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تشطط يقول لا تحف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تشطط تخالف عن الحق وكالذى قلنا أيضا في قوله واهدنا الى سواء الصراط قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واهدنا الى سواء الصراط الى عدله وخيره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

(١) لعله نهدا بالدال المهملة وحرر كتبه مصححه

الى الأصغاء لها وللناس في هذه الواقعة ثلاثة أقوال أقواها تقريرها على وجه لا يدل على صدور ذنب عن نبي الله وثانيها التقرير على وجه يدل على صدور الصغيرة عن نبي الله وثالثها التقرير على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه وأضعفها ( ٩١ ) التقرير على وجه يدل على الكبيرة ويختلف

تفسير بعض الألفاظ بحسب اختلاف بعض المذاهب فلنفسر كلا منها على حدة وأما المشترك بين الأقوال فلا نفسره الا مرة القول الأول يروى أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود وكان له يوم يخلو بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهضوا الفرصة في ذلك وتسوروا المحراب أي تصعدوا غرفته من سوره وفي قوله اذ دخلوا عليه اشارة الى أنهم بعد التسور نزلوا عليه قال الفراء قد يجاء باذ مرتين ويكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت علي اذ اجترأت علي مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدا وحين رآهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد علم أنهم انما دخلوا عليه للشر (ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان) أي نحن خصمان والخصم في الأصل مصدر فلهذا لم يجمعه أولا نظرا الى أصله وثناه ثانيا بتأويل شخصان أو فريقان خصمان وجمع الضمائر في قوله اذ تسوروا اذ دخلوا ففزع منهم قالوا لا تخف بناء على أن أقل الجمع اثنان أو على أن صحب كل منهما من حملتهما والأول أظهر لأن القائلين كانا اثنين بالاتفاق (بغى بعضنا على بعض) أي بغى أحدنا على الآخر وتعدى حد العدالة ثم قرروا مقصودهم بثلاث عبارات متلازمة احداها (فاحكم بيننا بالحق) أي بالعدل الذي هو حكم الله فينا والثانية (ولا تشطط) وهو نهي عن الباطل بالزام الحق والشطط البعد شط وأشط لغتان أرادوا لا تجر فالجور البعد عن الحق والثالثة

(واهدنا الى سواء الصراط) أي وسطه وهو مثل لمحض الحق وصدقه وحين أخبروا عن وقوع الخصومة مجملا شرعوا في التفصيل فقال أحدهما مشيرا الى الآخر (ان هذا) وقوله (أخي) أي في الدين أو الخلطة أو النسب خبر أو بدل والخبر (له تسع وتسعون نعجة) وهي أنثى

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واهدنا الى سواء الصراط الى عدل القضاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واهدنا الى سواء الصراط قال الى الحق الذي هو الحق الطريق المستقيم ولا تشطط تذهب الى غيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه واهدنا الى سواء الصراط أي احملنا على الحق ولا تخالف بنا الى غيره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب ﴾ وهذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له وذلك أن داود كانت له فيما قيل تسع وتسعون امرأة وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قتل امرأة واحدة فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته فقال له أحدهما ان هذا أخي يقول أخي على ديني كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب ابن منبه ان هذا أخي أي على ديني له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة كقولهم هذا رجل ذكر ولا يكادون أن يفعلوا ذلك الا في المؤنث والمذكر الذي تذكيره وتأنيثه في نفسه كالمرأة والرجل والناقة ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى وملحفة أنثى لأن تأنيثها في اسمها لا في معناها وقيل عنى بقوله أنثى أنها حسنة ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى يعني بتأنيثها حسنها وقوله فقال أكفلنيها يقول فقال لي انزل عنها الي وضمها الي كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أكفلنيها قال أعطنيها طلقها لي أنكحها وخل سبيلها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فقال أكفلنيها أي احملني عليها وقوله وعزني في الخطاب يقول وصار أعز مني في مخاطبته اياي لأنه ان تكلم فهو أبين مني وان بطش كان أشد مني فقهرني ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله في قوله وعزني في الخطاب قال ما زاد داود على أن قال انزل لي عنها حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن المسعودي عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زاد على أن قال انزل لي عنها وحدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثني أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله ما زاد داود على أن قال أكفلنيها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعزني في الخطاب قال ان دعوت ودعا كان أكثر وان بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله وعزني في الخطاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعزني في الخطاب أي ظلمني وقهرني حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعزني في الخطاب قال قهرني وذلك العز قال والخطاب الكلام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وعزني في الخطاب أي قهرني في الخطاب وكان أقوى مني فحاز نعجتي الى نعاجه وتركني لا شيء لي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت

من الضأن (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أى ملكنيها فأنا أكفلها كما أكفل ما تحت يدى (وعزنى فى الخطاب) اى غلبنى فى المخاطبة فكان تكلمه أبين و بطشه أشدّ (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال (٩٢) نعجتك) أضاف المصدر الى المفعول الثانى وحذف الفاعل والمفعول الأوّل أى بسؤاله اياك نعجتك وليس السؤال ههنا سؤال خضوع وتفضل وانما هو سؤال مطالبة ومعازة والى متعلقة بفعل دل عليه السؤال تقديره بسؤال أى ليضمها الى نعاجه أوضمن السؤال معنى الاضافة كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه الطلب (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم واطلع بسبب ذلك بعضهم على أحوال البعض (ليبغى بعضهم على بعض) وقد تغلب الخلطة فى الماشية والشافعى يعتبرها فى باب الزكاة اذا اتحد الفحل والراعى والمراح والمسرح وموضع الحلب فان كانت للخليطين أربعون شاة فعليهما شاة وعند أبى حنيفة لاشئ عليهما وان كانت لأحدهما واحدة وللآخر تسع وتسعون فعلى الاوّل أداء جزء من مائة جزء من شاة واحدة وعلى الآخر الباقى هذا عند الشافعى وعند أبى حنيفة لاشئ على ذى النعجة ثم بين أن أكثر الخلطاء موسوم بسمة الظلم الا المؤمنين وانهم لقليل ومافى قوله (وقليل ماهم) مزيدة للابهام وفيه تعجيب من قلتهم وقال ابن عيسى هى موصولة أى وقليل الذين هم كذلك قصد نبى الله بذكر حال الخلطاء فى هذا المقام الموعظة الحسنة والترغيب فى اختيار عادة الخلطاء الصلحاء لا التى عليها أكثرهم من الظلم والاعتداء وفيه تسلية للمظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له فى أكثر الخلطاء أسوة (وظن داود أنما فتناه) أى ابتليناه وذلك أن القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القوّة وقد فزع منهم ثم انه مع ذلك عفا عنهم دخل قلبه ان
شئ من العجب فحمله على الابتلاء (فاستغفر ربه) من تلك الحالة (وأناب) الى الله واعترف بأن اقدامه على تلك الخلة لم يكن الا بتوفيق الله

الضحاك يقول فى قوله وعزنى فى الخطاب قال ان تكلم كان أبين منى وان بطش كان أشد منى وان دعا كان أكثر منى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب﴾ يقول تعالى ذكره قال داود للخصم المتظلم من صاحبه لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك الى نعاجه وهذا مما حذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه الى المفعول به ومثله قوله عز وجل لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه بالخير فلما ألقيت الهاء من الدعاء أضيف الى الخير وألقى من الخير الباء وانما كنى بالنعجة ههنا عن المرأة والعرب تفعل ذلك ومنه قول الاعشى

قد كنت رائدها وشاة محاذر * حذرا يقلّ بعينه اغفالها

يعنى بالشاة امرأة رجل يحذر الناس عليها وانما يعنى لقد ظلمك بسؤال امرأتك الواحدة الى التسع والتسعين من نسائه وقوله وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يقول وان كثيرا من الشركاء ليتعدّى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بطاعة الله وانتهوا الى أمره ونهيه ولم يتجاوزوه وقليل ماهم وفى ما التى فى قوله وقليل ماهم وجهان أحدهما أن تكون صلة بمعنى وقليل هم فيكون اثباتها واخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام والآخر أن تكون اسما وهم صلة لها بمعنى وقليل ما تجدهم كما يقال قد كنت أحسبك أعقل مما أنت فتكون أنت صلة لما والمعنى كنت أحسب عقلك أكثر مما هو فتكون ما والاسم مصدرا ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن لان من التى تكون للناس وأشباههم ومحكى عن العرب قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك وقد كنت أرى أنه غير ما هو بمعنى كنت أراه على غير ما رأيت وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وقليل ماهم يقول وقليل الذين هم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم قال قليل من لا يبغى فعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس معنى الكلام الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل الذين هم كذلك بمعنى الذين لا يبغى بعضهم على بعض وما على هذا القول بمعنى من وقوله وظن داود أنما فتناه يقول وعلم داود أنما ابتليناه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظن داود علم داود حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وظن داود أنما فتناه قال ظن أنما ابتلى بذاك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وظن داود أنما فتناه اختبرناه والعرب توجه الظن اذا أدخلته على الاخبار كثيرا الى العلم الذى هو من غير وجه العيان وقوله فاستغفر ربه يقول فسأل داود ربه غفران ذنبه وخر راكعا يقول وخر ساجدا لله وأناب يقول ورجع الى رضا ربه وتاب من خطيئته * واختلف فى سبب البلاء الذى ابتلى به نبى الله داود صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله ابراهيم واسحق ويعقوب من حسن الثناء الباقى لهم فى الناس فتمنى مثله فقيل له انهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يبتلى كالذى ابتلوا ويعطى كالذى أعطوا

(فغفرنا له ذلك) الخاطر أو لعله هم بايذاء القوم ثم تذكر أنه لم يدل دليل قاطع على أن هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر من تلك الهمة
أو لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم فاستغفر لاجلهم متضرعا  الى الله فغفر ذنبهم بسبب شفاعته ودعائه

ان هو صبر مذكرون قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب قال ان داود قال يارب قد أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله قال الله انى ابتليتهم بما لم أبتلك به فان شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم قال نعم قال له فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه فبيناهو فى محرابه اذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت الى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم من المحراب فأرسل اليها فجاءته فسألها عن زوجها وعن شأنها فأخبرته أن زوجها غائب فكتب الى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصروا وان الله عزوجل لما رأى الذى وقع فيه داود أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم فى محرابه اذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال لقد استضعفت فى ملكى حتى ان الناس يتسورون على محرابى قالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا قال أحدهما ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة أنثى ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها يريد أن يتمم بها مائة ويتركنى ليس لى شئ وعزنى فى الخطاب قال ان دعوت ودعا كان أكثر وان بطشت وبطش كان أشد منى فذلك قوله وعزنى فى الخطاب قال له داود أنت كنت أحوج الى نعجتك منه لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه الى قوله وقليل ماهم ونسى نفسه صلى الله عليه وسلم فنظر الملكان أحدهما الى الآخر حين قال ذلك فتبسم أحدهما الى الآخر فرآه داود وظن أنما فتن فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ثم شدد الله له ملكه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب قال كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال يارب ان الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأعطنى مثل ما أعطيتهم وافعل بى مثل ما فعلت بهم قال فأوحى الله اليه ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ابتلى ابراهيم بذبح ابنه وابتلى اسحق بذهاب بصره وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف وانك لم تبتل من ذلك بشئ قال يارب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم به وأعطنى مثل ما أعطيتهم قال فأوحى اليه انك مبتلى فاحترس قال فمكث بعد ذلك ماشاء الله أن يمكث اذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلى فمد يده ليأخذه فتنحى فتبعه فتباعد حتى وقع فى كوة فذهب ليأخذه فطار من الكوة فنظر أين يقع فيبعث فى أثره قال فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا فحانت منها التفاتة فأبصرته فألقت شعرها فاستترت به قال فزاده ذلك فيها رغبة قال فسأل عنها فأخبر أن لها زوجا وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا قال فبعث الى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث اهريا الى عدو كذا وكذا قال فبعثه ففتح له قال وكتب اليه بذلك قال فكتب اليه أيضا أن ابعثه الى عدو كذا

(و) معنى (خر راكعا) سقط ساجدا قال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع أو المراد أنه خر للسجود مصليا لان الركوع قد يعبر به عن الصلاة ومذهب الشافعى أن هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة لأنه توبة نبى فلا توجب على غيره سجدة التلاوة ولا تستحب أيضا ومذهب أبى حنيفة بخلافه وجوز مع ذلك أن يكون الركوع بدل السجود هذا تمام تقرير القول الاول ولا يرد عليه الا أن داود كان أرفع منزلة من أن يتسور عليه بعض آحاد الرعية فى حال تعبده أو يتجاسر عليه بقوله لا تخف ولا تشطط وأنه كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين على ظلم الآخر قبل استماع كلامه والأول استبعاد محض وأجيب عن الثانى بأنه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه لكنه لم يذكر فى القرآن ومما يؤيد هذا القول ختم ذكر الواقعة بقوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) والزلفى القربة والمآب الحسن الجنة قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة يؤتى بمنبر رفيع ويوضع فى الجنة يقال يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا وحاصل التفسير على هذا القول أن الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة وكانا خليطين فى الغنم أو كان الخلطة خلطة الصدقة أو الجوار وكان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من الحرائر والسرائر والعرب تشبه المرأة بالنعجة والظبية والثانى معسرا ماله الا امرأة واحدة واستنزله عنها وكانت الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك كما كانوا يقاسمونهم أموالهم ومنازلهم وما كان ذنب داود الا خطرة أو همة * القول الثانى أن أهل زمان داود كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له

وكذا أشد منهم بأسا قال فبعثه ففتح له أيضا قال فكتب الى داود بذلك قال فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه فقتل المرة الثالثة قال وتزوج امرأته قال فلما دخلت عليه قال لم تلبث عنده الا يسيرا حتى بعث الله ملكين في صورة انسيين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه فتسوروا عليه المحراب قال فما شعر وهو يصلي اذ هو بهما بين يديه جالسين قال ففزع منهما فقالا لا تخف انما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط يقول لا تخف واهدنا الى سواء الصراط الى عدل القضاء قال فقال قصا علي قصتكما قال فقال أحدهما ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فهو يريد أن يأخذ نعجتي فيكمل بها نعاجه مائة قال فقال للآخر ما تقول فقال ان لي تسعا وتسعين نعجة ولأخي هذا نعجة واحدة فأنا أريد أن آخذها منه فأكمل بها نعاجي مائة قال وهو كاره قال وهو كاره قال اذا لا ندعك وذاك قال ما أنت على ذلك بقادر قال فان ذهبت تروم ذلك أو تريد ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا وفسر أسباط طرف الأنف وأصل الأنف والجبهة قال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة ولم يكن لاهريا الا امرأة واحدة فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته وتزوجت امرأته قال فنظر فلم ير شيأ فعرف ما قد وقع فيه وما قد ابتلي به قال فخر ساجدا قال فبكى قال فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة منها ثم يقع ساجدا يبكي ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه قال فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فقال يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء اذا جاءك اهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرشك يقول يا رب سل هذا فيم قتلني قال فأوحى اليه اذا كان ذلك دعوت اهريا فأستوهبك منه فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة قال رب الآن علمت أنك قد غفرت لي قال فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ثني عطاء الخراساني قال نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها قال فكان اذا رآها خفقت يده واضطربت * وقال آخرون بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة فابتلي بالفتنة التي ابتلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه باتمامه بغير إصابة ذنب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن ان داود جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادته ويوما لقضاء بني اسرائيل ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل قال ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرؤها فاذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها قال فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها قال فما زال يتبعها حتى اشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها قال فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها فزاده ذلك أيضا اعجابا بها وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه أن يسير الى مكان كذا وكذا مكان اذا سار اليه لم يرجع قال ففعل فأصيب فخطبها فتزوجها قال وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمن قال فبينما هو

---

عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته فاتفق ان نظر داود ووقع على امرأة رجل يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ففعل فتزوجها وهي أم سليمن فقيل له ان مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول لك كان الواجب عليك مغالبة هواك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها وكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وعلى هذا يجوز أن يكون الخطاب في قوله (وعزني في الخطاب) من الخطبة أي غالبني في خطبتها حيث زوجها دوني وعلى هذا القول يجوز أن يكون الخصمان من الانس كامر وحين وافق حالهما حال داود تنبه فاستغفر وأن يكونا ملكين بعثهما الله ليتنبه على خطئه فيتداركه بالاستغفار ويرد على هذا أن الملكين لو قالا نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فكذب والملائكة لا يكذبون ولا يأمرهم الله بالكذب والجواب أن التقدير ما تقول خصمان قالا بغى بعضنا على بعض أو أرادوا أرأيت لو كنا خصمين بغى بعضنا على بعض ألست تحكم بيننا ثم صوروا المسئلة ومثلوا قصته بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وعن الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون امرأة وانما هذا مثل * القول الثالث وهو المشهور عند الجمهور أن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني اسرائيل للوعظ والتذكير فجاءه الشيطان يوم العبادة والباب مغلق في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت الى قريب منه وهكذا مرة ثانية في وثالثة الى أن وقعت في كوة فتبعها فوقع بصره على امرأة جميلة تغتسل فنقضت شعرها فغطى جسدها فوقع في نفسه منها ما شغله عن الصلاة

في المحراب اذ تسور الملكان عليه وكان الخصمان اذا أتوه يأتونه من باب المحراب ففزع منهم حين تسوروا المحراب فقالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض حتى بلغ ولا تشطط أى لاتمل واهدنا الى سواء الصراط أى أعدله وخيره إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وكان لداود تسع وتسعون امرأة ولى نعجة واحدة قال وانما كان للرجل امرأة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب أى ظلمنى وقهرنى فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه الى قوله وقليل ماهم وظن داود فعلم داود أنما صمد له أى عنى به ذلك فخر راكعا وأناب قال وكان فى حديث مطرأنه سجد أربعين ليلة حتى أوحى الله اليه انى قد غفرت لك قال رب كيف تغفرلى وأنت حكم عدل لاتظلم أحدا قال انى أقضيك له ثم أستوهبه دمك أوذنبك ثم أثيبه حتى يرضى قال الآن طابت نفسى وعلمت أنك قد غفرت لى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه اليمانى قال لما اجتمعت بنو اسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد فألانه له وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه اذا سبح ولم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور فيما يذكرون تدنوله الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها لمصيخة تسمع لصوته وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج الا على أصناف صوته وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة فأقام فى بنى اسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا وكان شديد الاجتهاد من الانبياء كثير البكاء ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور ولصلاته اذا صلى وكان أسفل منه جنينة لرجل من بنى اسرائيل وكان عند ذلك الرجل المرأة التى أصاب داود فيها ما أصابه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم قال لايدخلن علىّ محرابى اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلنى شئ عما خلوت له حتى أمسى ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه وفى المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة فبيناهو جالس يقرأ زبوره اذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت فى الكوة فرفع رأسه فرآها فأعجبته ثم ذكر ما كان قال لايشغله شئ عما دخل له فنكس رأسه وأقبل على زبوره فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة فوقعت بين يديه فتناولها بيده فاستأخرت غير بعيد فاتبعها فنهضت الى الكوة فتناولها فى الكوة فتصوبت الى الجنينة فأتبعها بصره أين تقع فاذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها فى الجمال والحسن والخلق فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطفت قلبه ورجع الى زبوره ومجلسه وهى من شأنه لايفارق قلبه ذكرها وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ولداود تسع وتسعون امرأة فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها فبعث الله اليه وهو فى محرابه ملكين يختصمان اليه مثلا يضربه له ولصاحبه فلم يرع داود الا بهما واقفين على رأسه فى محرابه فقال ما أدخلكما علىّ قالا لاتخف لم ندخل لبأس ولا لريبة خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتقضى بيننا فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط أى احملنا على الحق ولا تخالف بنا الى غيره قال الملك الذى يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة ان هذا أخى أى على دينى له تسع

---

فنزل من محرابه ولبست المرأة ثيابها وخرجت الى بيتها فخرج داود حتى عرف بيتها وسألها من أنت فأخبرته فقال لها هل لك زوج فقالت نعم قال أين هو قالت فى جند كذا فرجع وكتب الى أمير جيشه اذا جاءك كتابى هذا فقدم فلانا فى أول التابوت وكان من يتقدم على التابوت لايحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة ثانية وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فبعث الله اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته ومنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما وحين وجد قصتهما مطابقة لحاله علم أنه مبتلى من الله يروى أنهما قالا حينئذ حكم على نفسه وقيل ضحكا وغابا فعلم أن الله ابتلاه بذنبه ولا يخفى أن ذنبه بهذا التفسير والتقرير كبيرة لأنه يدل على الافراط فى العشق وعلى السعى فى قتل النفس المسلمة بغير حق فيروى أنه سجد أربعين ليلة لم يرفع رأسه الا للصلاة المكتوبة ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى أوحى الله اليه أن ارفع رأسك فانى قد غفرت لك ويروى أن جبرائيل قال له اذهب الى أوريا وهو زوج المرأة واستحل منه فانك تسمع صوته موضع كذا فأتاه واستحل منه فقال أنت فى حل قال فلما رجع قال له جبريل هل أخبرته بجرمك فقال لا قال فانك لم تعمل شيأ فارجع وأخبره بالذى صنعت فرجع داود فأخبره بذلك فقال أنا خصمك يوم القيامة فرجع مغتما وبكى أربعين يوما فأتاه جبريل وقال ان الله تعالى يقول انا أستوهبك من عبدى فيهبك لى وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء فسرى عنه وكان حزينا فى عمره باكيا على خطيئته وروى انه نقش خطيئته على كفه حتى لاينساها والمحققون كعلى رضى الله عنه وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ينكرون القصة على هذا الوجه روى سعيد بن المسيب والحرث بن الاعور أن على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء قلت لايخفى أن الاحوط السكوت عما لايرجع الى طائل بل يحتمل أن يعود الى قائله (٩٦) لوم عاجل وعقاب آجل ومن الدلائل القوية التى اعتمد عليها فخر الدين الرازى

فى ضعف هذه الرواية قوله سبحانه عقيب ذكر الواقعة (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) فمن البعيد جدا أن يوصف الرجل بكونه ساعيا فى سفك دم أخيه المسلم بغير حق وبانتزاع زوجته منه ثم يقال انا فوضنا الخلافة اليه وعندى أن ذلك عليه لاله لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى الخ فكأنه قيل له انا جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء فى الدعاء الى الله وفى سياسة المدن أو تخلفنا كما يقال السلطان ظل الله فى الارض فاللائق بهذا المنصب السعى لاصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم وأموالهم لا السعى فى تحصيل هوى النفس بأى وجه يمكن فان صاحبه المصر عليه ضال معرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد يحكى عن بعض خلفاء بنى مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز أو الزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وماهو قال بلغنا أن الخليفة لايجرى عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال ياأمير المؤمنين الخلفاء أفضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وحين تمم واقعة داود ونصحه وما فرض عليه فى شأن الاستخلاف أشار الى أن الأمور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف و بمقتضى الطبائع ولكن لها غاية صحيحة فأجمل هذا المعنى أولا بقوله (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك) الذى ذكر من خلق هذه الاشياء بلاغاية (ظن الذين كفروا) لأنهم بانكارهم البعث جحدوا الجزاء الذى هو غاية التكليف (فويل للذين كفروا من النار) لأنهم بهذه العقيدة وقعوا فى نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا

وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها أى احملنى عليها ثم عزنى فى الخطاب أى قهرنى فى الخطاب وكان أقوى منى هو وأعز فحاز نعجتى الى نعاجه وتركنى لاشئ لى فغضب داود فنظر الى خصمه الذى لم يتكلم فقال لئن كان صدقنى مايقول لأضربن بين عينيك بالفأس ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذى يراد بما صنع فى امرأة أوريا فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا فسجد أربعين صباحا صائما لاياكل فيها ولا يشرب حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه وحتى أندب السجود فى لحم وجهه فتاب الله عليه وقبل منه ويزعمون أنه قال أى رب هذا غفرت ماجنيت فى شأن المرأة فكيف بدم القتيل المظلوم قيل له ياداود فيما زعم أهل الكتاب أما ان ربك لم يظلمه بدمه ولكنه سيسأله اياك فيعطيه فيضعه عنك فلما فرج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته فى كفه اليمنى بطن راحته فما رفع الى فيه طعاما ولا شرابا قط الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس قط الا نشر راحته فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته فى يده حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد قال لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ماغطى رأسه ثم نادى رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته شئ فنودى أجائع فتطعم أم مريض فتشفى أم مظلوم فينتصر لك قال فنحب نحبة هاج كل شئ كان نبت فعند ذلك غفر له وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها وكان يؤتى بالاناء ليشرب فلا يشرب الا ثلثه أو نصفه وكان يذكر خطيئته فينحب النحبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ثم مايتم شرابه حتى يملأه من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دمعة الخلائق ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق قال فهو يجئ يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول رب ذنبى ذنبى قدمنى قال فيقدم فلا يأمن فيقول رب أخرنى فيؤخر فلا يأمن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن أبى صخر عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فأهم قطع على بنى اسرائيل فأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده فلم أحص من الرقاشى الا هؤلاء الكلمات رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلوف من بعده فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلة فقال ياداود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود علمت أن الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لايميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمى الذى عند داود فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم ماسألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن فقال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله ربك عز وجل ياداود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يارب فيقول فان لك

في

في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا ابن جابر عن عطاء الخراساني أن كتاب صاحب البعث جاءني من قتل فلما قرأ داود نعي رجل منهم رجع فلما انتهى الى اسم الرجل قال كتب الله على كل نفس الموت قال فلما انقضت عدتها خطبها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فغفرنا له ذلك فعفونا عنه وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك وان له عندنا لزلفى يقول وان له عندنا للقربة منا يوم القيامة وبنحو الذي قلنا في قوله فغفرنا له ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فغفرنا له ذلك الذنب وقوله وحسن مآب يقول مرجع ومنقلب ينقلب اليه يوم القيامة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحسن مآب أي حسن مصير حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وحسن مآب قال حسن المنقلب وقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض يقول تعالى ذكره وقلنا لداود يا داود انا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي انا جعلناك خليفة ملكه في الأرض فاحكم بين الناس بالحق يعني بالعدل والانصاف ولا تتبع الهوى يقول ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه فتجور عن الحق فيضلك عن سبيل الله يقول فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الايمان به فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله وقوله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يقول تعالى ذكره ان الذين يميلون عن سبيل الله وذلك الحق الذي شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون عنه في الدنيا لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله يقول بما تركوا القضاء بالعدل والعمل بطاعة الله يوم الحساب من صلة العذاب الشديد وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن عكرمة في قوله عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب قال هذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله بما نسوا يوم الحساب قال نسوا تركوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثا ولعبا ما خلقناهما الا ليعمل فيهما بطاعتنا وينتهى الى أمرنا ونهينا ذلك ظن الذين كفروا يقول أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه ولم يعرفوا عظمته وأنه لا ينبغي أن يعبث

بالآفاق والأنفس على الصانع؛ نظيره مامر في آخر آل عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم صرح بالغاية قائلا (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار (٩٧) والمراد أنه لو بطل الجزاء كما زعموا لاستوت حال الطائفتين المتقي المصلح للارض بتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع والفاجر المفسد في الأرض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ومن سوى بينهم كان الى السفه أقرب منه الى الحكمة ولا ينافي هذا امكان التسوية من حيث المالكية وحين ذكر هذه المعاني اللطيفة والقواعد الشريفة منّ على رسوله بقوله (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك مبارك) كثير المنافع والفوائد (ليدبروا آياته) ليتأملوا فيها ويستنبطوا الأسرار والحقائق منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله يقال في وجه النظم ان العقلاء قالوا من ابتلي بخصم جاهل مصر متعصب وجب عليه أن يقطع الكلام معه ويخوض في كلام آخر أجنبي حتى اذا اشتغل خاطره بالكلام الأجنبي أدرج في أثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الاول فان ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ تمسك بها في اثبات المطلوب الاول فيصير الخصم ساكتا مفحما واذ قد عرفت هذا فنقول ان الكفار قد بلغوا في انكار الحشر الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى يا محمد (اصبر على ما يقولون) واقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واشرع في كلام آخر أجنبي في الظاهر وهو قصة داود في قوله انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق فكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث أمره بالحكم الحق كأنه قال أيها المكلف اني لا آمرك

فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيأ باطلا فويل للذين كفروا من النار يعني من نار جهنم وقوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض يقول أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم عنه كالمفسدين في الأرض يقول كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه أم نجعل المتقين يقول الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه فحذروا معاصيه كالفجار يعني كالكفار المنتهكين حرمات الله وقوله كتاب أنزلناه اليك يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القرآن كتاب أنزلناه اليك يا محمد مبارك ليدبروا آياته يقول ليتدبروا حجج الله التي فيه وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا ويعملوا به واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة القراء ليدبروا بالياء يعني ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك اليه من قومك يا محمد وقرأه أبو جعفر وعاصم لتدبروا آياته بالتاء بمعنى لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك

* وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وليتذكر أولو الألباب يقول وليعتبر أولو العقول والحجى ما في هذا الكتاب من الآيات فيرتدعوا عما هم عليه مقيمون من الضلالة وينتهوا الى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أولو الألباب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أولو الألباب قال أولو العقول من الناس وقد بينا ذلك فيما مضى قبل بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ووهبنا لداود سليمن نعم العبد إنه أوّاب اذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردّوها عليّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾ يقول تعالى ذكره ووهبنا لداود سليمن ابنه ولدا نعم العبد يقول نعم العبد سليمن إنه أوّاب يقول إنه رجاع الى طاعة الله تواب اليه مما يكرهه منه وقيل إنه عنى به أنه كثير الذكر لله والطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس نعم العبد انه أوّاب قال الأوّاب المسبح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نعم العبد انه أوّاب قال كان مطيعا لله كثير الصلاة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّي قوله نعم العبد انه أوّاب قال المسبح والمسبح قد يكون في الصلاة والذكر وقد بينا معنى الأوّاب وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله اذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد يقول تعالى ذكره انه تواب الى الله من خطيئته التي أخطأها اذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات فاذ من صلة أوّاب والصافنات جمع الصافن من الخيل والانثى صافنة والصافن منها عند بعض العرب الذي يجمع بين يديه ويثني طرف سنبك احدى رجليه وعند آخرين الذي يجمع يديه وزعم الفراء أن الصافن هو القائم يقال منه صفنت الخيل تصفن صفونا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الصافنات الجياد قال صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح

مع أني رب العالمين الا بالحق فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يلتزم صحة القول بالحشر والا لزم التسوية بين من أصلح واتقى ومن أفسد وفجر وذلك ضد الحكمة وحين ذكر هذه الطريقة الدقيقة في الزام المنكرين وافحامهم وصف القرآن بالبركة والافادة والارشاد لان هذه اللطائف لا تستفاد الا منه وبعد تتميم قصة داود شرع في قصة ابنه سليمن ومدحه بقوله (نعم العبد) أي هو فحذف المخصوص للعلم به وفي قوله (انه أوّاب) كما مر في قصة داود اشارة الى أنه كان شبيها بالأب في الفضيلة والكمال فلذلك استويا في جهة المدح وفي القصة واقعتان يمكن تقرير كل منهما كما في واقعة أبيه على وجه لا يقدح في العصمة وهو المختار عند المحققين وعلى وجه دون ذلك وهو الأشهر فلنفسر كلا منهما بالوجهين بتوفيق الله تعالى أما الأول من الواقعة الأولى فقوله (اذ عرض عليه بالعشي الصافنات) وهي جمع صافن وهو الذي يقوم على ثلاث قوائم وعلى طرف الرابعة وهو نعت جيد للخيل قيل الصافن الذي يجمع بين يديه وفي الحديث من سرّه أن يقوم الناس له صفونا فليتبوّأ مقعده من النار أي واقفين مثل خدم الجبابرة و(الجياد) جمع جواد وهو جيد الجري يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال واذا أجريت كانت سراعا في جريها فاذا طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق يروى أن رباط الخيل كان مندوبا في شرعهم كما في شرعنا ثم ان سليمن سلام الله عليه احتاج الى الغزو فجلس بعد صلاة الظهر على كرسيه وأمر باحضار الخيل وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا وحظ النفس وانما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله (اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) سمى الخيل خيرا لتعلق الخير بها كما جاء في الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة أي آثرت حب الخير ولزمته لأن ربي أمرني بارتباطها ولم يصدر حب هذه المعبة الشا يدة الا عن ذكر الله

وأمره والضمير في قوله حتى توارت للخيل اى مازالت تعرض عليه و يأمر باعدائها وسيرها الى ان غابت عن بصره ثم قال ردوها على أي
أمر الرائضين بأن يردوا الخيل عليه فلما عادت عليه طفق يمسح مسحا بسوقها  وأعناقها تشريفا لها واظهارا لعزتها لكونها

نجيح عن مجاهد صفن الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد يعني الخيل وصفونها قيامها و بسطها قوائمها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الصافنات قال الخيل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الصافنات الجياد قال الخيل أخرجها الشيطان لسليمن من مرج من مروج البحر قال الخيل والبغال والحمير تصفن والصفن أن تقوم على ثلاث وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الارض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الصافنات الخيل وكانت لها أجنحة وأما الجياد فانها السراع واحدها جواد كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الجياد قال السراع وذكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبيه عن ابراهيم التيمي في قوله اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة وقوله فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره فلهى عن الصلاة حتى فاتته فقال اني أحببت حب الخير و يعني بقوله فقال اني احببت حب الخير أي أحببت حبا للخير ثم أضيف الحب الى الخير وعني بالخير في هذا الموضع الخيل والعرب فيما بلغني تسمي الخيل الخير والمال أيضا يسمونه الخير و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقال اني أحببت حب الخير أي المال والخيل أو الخير من المال حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي قال اني أحببت حب الخير قال الخيل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله اني أحببت حب الخير قال المال وقوله عن ذكر ربي يقول اني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته وقيل ان ذلك كان صلاة العصر و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ذكر ربي عن صلاة العصر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي عن ذكر ربي قال صلاة العصر حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة بن شريح قال ثنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري يقول سألت علي بن أبي طالب عن الصلاة الوسطى فقال هي العصر وهي التي فتن بها سليمن بن داود وقوله حتى توارت بالحجاب يقول حتى توارت الشمس بالحجاب يعني تغيبت في مغيبها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ميكائيل عن داود بن أبي هند قال قال ابن مسعود في قوله اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب قال توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى توارت بالحجاب حتى دلكت براح قال قتادة فوالله ما نازعته بنو اسرائيل ولا كابروه ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله حدثنا محمد بن الحسين

من أعظم الاعوان في دفع العدو أو لأنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها أو أراد اظهار أنه بلغ في اختبار أمور المملكة الى حيث يباشر أكثر الامور بنفسه وقيل مسح الغبار عن أعناقها وسوقها بيده وقيل وسم أعناقهن وأرجلهن فجعلهن في سبيل الله * وأما الوجه الآخر في هذه الواقعة فما روى أن سليمن غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وكان أبوه أصابها من العمالقة وقيل أخرجها الشياطين من مرج من المروج أو من البحر وكانت ذوات أجنحة فقعد يوما بعد الظهر واستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وذلك قوله (حتى توارت) أي الشمس بدليل ذكر العشي (بالحجاب) حجاب الافق وقيل حتى توارت الخيل بحجاب الليل وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي فقال اني أحببت حب الخير وهو متضمن معنى فعل يتعدى بعن أي أنبت حب الخير عن ذكر ربي وجعلت حبها مغنيا عن ذكر ربي فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا الى الله وذلك قوله فطفق مسحا قال جار الله أي يمسح بالسيف سوقها وأعناقها فقلب لأمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض قال الراوي قربها الا مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وحين عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره وقيل

الضمير في ردوها للشمس والخطاب للملائكة تضرع الى الله فرد الله عليه الشمس فصلى العصر ومحل القدح في هذه الرواية هو نسبة سليمن الى حب الدنيا حتى غفل عن الصلاة وضم بعضهم الى ذلك أن قطع أعناق الخيل وعرقبة أرجلها منهي عنه وقد روى عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبح الحيوان الا لمأكله وأجيب بأنه فعل ذلك لأنها منعته عن الصلاة أو لأنه ذبحها للفقراء والمساكين قال الزجاج لم يفعل ذلك الا وقد أباحه الله له (١٠٠) وما أباح الله فليس بمنهي قال الامام فخر الدين الرازي ان الكفار لما بلغوا في الايذاء والسفاهة الى حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قال لنبيه اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبه قصة سليمن وهذا الكلام انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمن أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله وأعرض عن الشهوات فأما لو كان المقصود أنه أقدم على الكبيرة لم يكن ذكره مناسبا هذا تمام الكلام في الواقعة الاولى وأما الثانية واليها الاشارة بقوله (ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا) فالمحققون يروونه على وجوه * أحدها أن سليمن ولد له ابن بعد أن ملك عشرين سنة فقالت الشياطين ان عاش لم نتخلص من البلاء والتسخير فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم بذلك سليمن فأمر السحاب أن يحفظه ويغذوه خوفا من مضرة الشياطين فما راعه الا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وأناب * وثانيها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن سليمن قال ذات ليلة لأطوفن الليلة على سبعين امرأة وفي رواية على مائة وفي رواية على ألف كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعين فذلك قوله ولقد فتنا سليمان * وثالثها قال أبو مسلم مرض سليمن مرضا شديدا امتحنه الله به حتى صار جسدا على كرسيه ملقى كما جاء في الحديث لحم على وضم كرسيه وجسد بلا روح لأن الجسد يطلق في الاكثر على ما لا روح له (ثم أناب) أي رجع الى حالة الصحة والمشهور عند الجمهور أن الجسد الملقى

قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حتى توارت بالحجاب حتى غابت وقوله ردوها علي يقول ردوا علي الخيل التي عرضت علي فشغلتني عن الصلاة فكروها علي كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ردوها علي قال الخيل وقوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق يقول فجعل يمسح منها السوق وهي جمع الساق والأعناق واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمن بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها فقال بعضهم معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال قال الحسن قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك قال قولهما فيه يعني قتادة والحسن قال فكسف عراقيبها وضرب أعناقها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فطفق مسحا بالسوق والأعناق فضرب سوقها وأعناقها حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن قال أمر بها فعقرت * وقال آخرون بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبا لها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق يقول جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ان شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر اليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد ابتلينا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا شيطانا متمثلا بانسان ذكروا ان اسمه صخر وقيل ان اسمه آصف وقيل ان اسمه آصر وقيل ان اسمه حبقيق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وألقينا على كرسيه جسدا قال هو صخر الجني تمثل على كرسيه جسدا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال الجسد الشيطان الذي كان دفع اليه سليمن خاتمه فقذفه في البحر وكان ملك سليمن في خاتمه وكان اسم الجني صخرا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا مبارك عن الحسن وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمن كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف في البحر فساح سليمن وذهب ملكه وقعد آصف على

على كرسيه كان شيطانا جلس على سريره ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان في خاتمه فأخذ شيطانا يقال له آصف وقال كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف في البحر فذهب ملكه  وقعد آصف على كرسيه وعن على رضي الله عنه أنه قال بينا سليمن جالس على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط في البحر وقيل انه وطئ امرأة في الحيض فذلك ذنبه وقال في الكشاف وغيره حكوا أن سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها جنوده من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتاله اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمن بذلك فكسر الصورة وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمن على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن فقال يا أمينة أعطيني خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمن وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه فمكث على ذلك أربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته وكان ذلك الشيطان يقضي بين الناس ويتمكن من جميع ملكه الا نساءه وقيل من جميع ملكه ونسائه وما يدع امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة فلما أراد الله أن يرد الملك اليه أنكر علماء بني اسرائيل قضية قضاها الشيطان فاحضروا التوراة فلما قرؤها فرّ الشيطان وألقى الخاتم في البحر فابتلعته سمكة

كرسيه ومنعه الله نساء سليمن فلم يقربهن وأنكرنه قال فكان سليمن يستطعم فيقول أتعرفوني أطعموني أنا سليمن فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وفرّ آصف فدخل البحر فارا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال في حديثه فيقول لو تعرفوني أطعمتموني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال حدثنا قتادة أن سليمن أمر ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح ماؤها وجعل فيها خمر فجاء يوم وروده فاذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب الا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب الا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال فكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمن فقال انا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة فكان سليمن اذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمن منه وألقى على الشيطان شبه سليمن قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمن كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال والله لأجربنه قال فقال له يا نبي الله وهو لا يرى الا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا قال فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولقد فتنا سليمن قال لقد ابتلينا وألقينا على كرسيه جسدا قال الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمن مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه عنده وآمنهن عنده وكان اذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الأيام فقالت ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال لها نعم ولم يفعل فابتلي وأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمن وخرج سليمن بعد فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل قال لا وخرج مكانه تائها قال ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فقالوا انا قد أنكرنا

هذا فان كان سليمن فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرؤا قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمن فى حاله التى كان فيها حتى انتهى الى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم قال انى أنا سليمن فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال انه زعم أنه سليمن قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرر حتى قام الى شط البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه فى بطن احداهما فأخذه فلبسه فردّ الله عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمن فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بدّ منه قال فجاء حتى أتى ملكه فأرسل الى الشيطان فجىء به وسخر له الريح والشياطين يومئذ ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب قال وبعث الى الشيطان فأتى به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق وقوله ثم أناب سليمن فرجع الى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربى عن عبد الرحمن عن جويبر عن الضحاك فى قوله ثم أناب قال دخل سليمن على امرأة تبيع السمك فاشترى منها سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فجعل لا يمرّ على شجر ولا حجر ولا شئ الا سجد له حتى أتى ملكه وأهله فذلك قوله ثم أناب يقول ثم رجع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أناب وأقبل يعنى سليمن قوله قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى يقول تعالى ذكره قال سليمن راغبا الى ربه رب استر على ذنبى الذى أذنبت بينى وبينك فلا تعاقبنى به وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى يقول ملكا لا أسلبه كما سلبته وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله لا ينبغى لأحد من بعدى الى أن لا يكون لأحد من بعدى كما قال ابن أحمر

ما أم غفر على دعجاء ذى علق * ينفى القراميد عنها الأعصم الوقل

فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * لا ينبغى دونها سهل ولا جبل

بمعنى لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها وقوله انك أنت الوهاب يقول انك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شئ تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرّنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾

فصاد هاصائد ووهبها لسليمن وأعطاها على أجرة عمله يوما فأخرج من بطنها الخاتم (ثم أناب) أى رجع على ملكه الى ثاب ووقع ساجدا ثم ان سليمن ظفر بالشيطان فجعله فى تابوت  وسده بالنحاس وألقاه فى البحر والعلماء المتقنون أبوا قبول هذه الرواية وقالوا انها من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل والا ارتفع الأمان عن الشرائع والاديان وكيف يسلطهم الله على آحاد عباده فضلا عن أنبيائه حتى يغيروا أحكامهم ويفجروا بنسائهم وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع والسجود للصورة اذا كان بغير اذنه فلا عتب عليه وحكى الثعلبى هذه القصة بوجه أقرب الى القبول وهو أن سليمن لما افتتن بأخذ التمثال فى بيته سقط الخاتم من يده فأخذه سليمن فأعاده الى يده فسقط فلما رآه لا يثبت فى اليد أيقن بالفتنة فقال له آصف انك لمفتون فتب الى الله واشتغل بالعبادة وأنا أقوم مقامك الى أن يتوب الله عليك فقام آصف فى ملكه أربعة عشر يوما وهو الجسد الذى ألقى على كرسيه فردّ الله اليه ملكه وأثبت الخاتم فى يده وعن سعيد بن المسيب أن سليمن احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه يا سليمن احتجبت عن عبادى وما أنصفت مظلوما عن ظالم ثم ذكر القصة وأخذ الشيطان الخاتم ورجوعه اليه ثم حكى الله تعالى أن سليمن قال (رب اغفرلى وهب لى ملكا) قدم المغفرة على طلب الملك كما هو دأب الصالحين تقديما لامر الدين على أمر الدنيا ولان الاستغفار يجر الرزق فان الانسان قلما ينفك عن ترك الاولى فاذا زال عنه شؤم ذلك ببركة الاستغفار انفتح عليه أبواب الخيرات والذين حملوا الفتنة على صدور الذنب عنه فوجوب الاستغفار عندهم واضح وحملوا قوله (لا ينبغى لأحد من بعدى) على أنه سأل ملكا لا يقدر الشيطان على أن يقوم مقامه والأولون ذهبوا الى أنه لم يقل ذلك حسدا وانما قصد به أن يكون معجزة له ومن شرط المعجز أن لا يقدر غيره يقول

يقول تعالى ذكره فاستجبنا له دعاءه فأعطيناه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فسخرنا له الريح مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة تجري بأمره رخاء يعني رخوة لينة وهي من الرخاوة كما حدثنا محمد ابن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن أن نبي الله سليمن صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل فشغله النظر اليها عن صلاة العصر حتى توارت بالحجاب فغضب لله فأمر بها فعقرت فأبدله الله مكانها أسرع منها سخر الريح تجري بأمره رخاء حيث شاء فكان يغدو من ايلياء ويقيل بقزوين ثم يروح من قزوين ويبيت بكابل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فانه دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح وكل بناء وغواص من الشياطين فدعا ربه عند توبته واستغفاره فوهب الله له ما سأل فتم ملكه * واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء فقال فيه بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تجري بأمره رخاء قال طيبة حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال سريعة طيبة قال ليست بعاصفة ولا بطيئة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رخاء قال الرخاء اللينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله رخاء حيث أصاب قال ليست بعاصفة ولا الهينة بين ذلك رخاء * وقال آخرون معنى ذلك مطيعة لسليمن ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رخاء يقول مطيعة له حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس تجري بأمره رخاء قال يعني بالرخاء المطيعة حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تجري بأمره رخاء قال مطيعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رخاء يقول مطيعة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله رخاء قال طوعا وقوله حيث أصاب يقول حيث أراد من قولهم أصاب الله بك خيرا أي أراد الله بك خيرا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حيث أصاب يقول حيث أراد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حيث أصاب يقول حيث أراد انتهى عليها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حيث أصاب قال حيث شاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله حيث أصاب قال حيث أراد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال

على معارضته ولاسيما أمته الذين بعث اليهم ولهذا قال بعضهم أراد غيري ممن بعثت اليهم ولم يرد من بعده الى يوم القيامة وحقيقة لا ينبغي لا ينفعل من بغيت الشيء طلبته أي لا يصير مطلوبا لانه سماوي فوق طوق البشر أو قصد أن الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق فاذا كان ملكه آية كان ثوابه على الصبر عنه غاية ونهاية أو أراد أن يظهر للخلق أن حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى وأن ملك سليمن اذا كان عرضة للفناء فالأولى بالعاقل أن يشتغل بالعبودية ولا يلتفت الى الدنيا وما فيها وقيل انه لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف أن خيرات الدنيا زائلة منتقلة الى الغير بارث ونحوه فطلب ملكا لا يتصور انتقاله الى الغير وهو ملك الدين والحكمة وقال أهل البيان لم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك والأقوى هو الاول بدليل قوله عقيبه فسخرنا له الريح والشياطين ولا ريب أن هذا معجزة وملك عجيب دال على نبوته ويؤيده ما جاء في الحديث أردت أن أربطه يعني الشيطان على سارية من سواري المسجد الا أني تذكرت دعوة أخي سليمن والضمير في (بأمره) لسليمن وقيل لله والرخاء الرخوة اللينة ولا ينافي هذا وصفها بالعصوف في الانبياء فلعلها تختلف باختلاف الاحوال والاوقات أو هي طيبة في نفسها ولكنها عاصفة بالاضافة الى الرياح المعهودة ومعنى أصاب قصد وأراد من اصابة السهم وقوله (والشياطين) معطوف على الريح وقوله (كل بناء وغواص) بدل الكل من الشياطين كانوا يبنون لأجله الابنية الرفيعة ويستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو أول من استخرج الدر من البحر (وآخرين) عطف على الشياطين أو على كل داخل في حكم البدل وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد والعطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه

من نزلك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك وقيل حقيقته التفويض على الخير والشر قال الجبائي ان الشيطان كان كثيف الجسم
في زمن سليمن و يشاهده الناس ثم انه (١٠٤) لما توفي سليمن أمات الله ذلك الجنس وخلق نوعا آخر لطيف الجسم بحيث لا يرى
ولا يقوى على الأعمال الشاقة قلت هذا اخبار بالغيب الا أن تكون رواية صحيحة ولم لا يجوز أن تكون أجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى أنها لا تقبل التمزق والتفرق (هذا عطاؤنا) أي قلنا لسليمن هذا الملك عطاؤنا والاضافة للتعظيم وقوله (بغير حساب) يتعلق بالعطاء يعني انه جم كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر فأعط منه ما شئت أو أمسك مفوضا اليك زمام التصرف فيه ويجوز أن يتعلق بالأمرين أي ليس عليك في ذلك حرج ولا تحاسب على ما تعطي وتمنع يوم القيامة عن الحسن ان الله لم يعط أحدا عطية الا جعل عليه فيها حسابا سوى سليمن فانه أعطاه عطية هنيئة ان أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة ويحتمل أن يراد هذا التسخير تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم بالوثاق فانت في سعة من ذلك لا تحاسب في اطلاق من أطلقت وحبس من حبست وحين فرغ من تعداد النعم الدنيوية أردفه بما أنعم به عليه في الآخرة قائلا (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) كما في قصة داود وفيه أن ثوابه كفء ثواب أبيه كما أن سيرته سيرة أبيه ۞ التأويل بصاد صمديته في الازل وصانعيته في الوسط وصبوريته الى الأبد أقسم بالقرآن ذي الذكر لأن القرآن قانون معالجات القلوب وأعظم مرض
القلب من نسيان الله فأعظم علاجه ذكر الله ثم أشار الى انحراف مزاج الكفار بمرض نسيان الله من اللين والسلامة واختلف
الى الغلظ والقساوة ومن التواضع الى التكبر ومن الوفاق الى الخلاف ومن التصديق الى التكذيب ومن التوحيد الى تكثير الآلهة

ثنا سعيد عن قتادة حيث أصاب قال الى حيث أراد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حيث أصاب قال حيث أراد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه حيث أصاب أي حيث أراد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حيث أصاب قال حيث أراد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حيث أصاب قال حيث أراد وقوله والشياطين كل بناء وغواص يقول تعالى ذكره وسخرنا له الشياطين فسلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما شاء من أعماله من بناء وغواص فالبناة منها يصنعون محاريب وتماثيل والغاصة يستخرجون له الحلي من البحار وآخرون ينحتون له جفانا وقدورا والمردة في الأغلال مقرنون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والشياطين كل بناء وغواص قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وغواص يستخرجون الحلي من البحر وآخرين مقرنين في الأصفاد قال مردة الشياطين في الأغلال حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك والشياطين كل بناء وغواص قال لم يكن هذا في ملك داود أعطاه الله ملك داود وزاده الريح والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد يقول في السلاسل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله الأصفاد قال تجمع اليدين الى عنقه والأصفاد جمع صفد وهي الأغلال وقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب اختلف أهل التأويل في المشار اليه بقوله هذا من العطاء وأي عطاء أريد بقوله عطاؤنا فقال بعضهم عني به الملك الذي أعطاه الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال قال الحسن الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك هذا عطاؤنا هذا ملكنا ۞ وقال آخرون بل عني بذلك تسخيره له الشياطين وقالوا ومعنى الكلام هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين وغيرهم عطاؤنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يدا اصنع ما شئت ۞ وقال آخرون بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع ذكر من قال ذلك حدثت عن أبي يوسف عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان سليمن في ظهره ماء مائة رجل وكان له ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ۞ وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عني بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسئلة نبيه سليمن صلوات الله وسلامه عليه اياه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأخبر أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت ثم قال له عز ذكره هذا الذي أعطيناك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك فامنن أو أمسك بغير حساب

وفى قوله واصبروا على آلهتكم إشارة الى أن الكفار اذا تواصوا فيما بينهم بالصبر والثبات فالمؤمنون أولى بالثبات على قدم الصدق فى طلب المحبوب الحقيقى إن هذا لشئ يراد فى الازل من المقبول والمردود بل لما يذوقوا  عذاب لأنهم فى النوم فاذا ماتوا انتبهوا

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فامنن أو أمسك بغير حساب فقال بعضهم معنى ذلك فأعط من شئت ما شئت من الملك الذى آتيناك وامنع من شئت منه ما شئت لا حساب عليك فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن فامنن أو أمسك بغير حساب الملك الذى أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت فليس عليك تبعة ولا حساب حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فامنن أو أمسك بغير حساب سأل ملكا هنيئا لا يحاسب به يوم القيامة فقال ما أعطيت وما أمسكت فلا حرج عليك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة فامنن أو أمسك بغير حساب قال أعط أو أمسك فلا حساب عليك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فامنن قال أعط أو أمسك بغير حساب * وقال آخرون بل معنى ذلك أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة أو من الوثاق ممن كان منهم مقرنا فى الأصفاد من شئت واحبس من شئت فلا حرج عليك فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فامنن أو أمسك بغير حساب يقول هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم فى وثاقك وفى عذابك وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يدا اصنع ما شئت لا حساب عليك فى ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فامنن أو أمسك بغير حساب يقول أعتق من الجن من شئت وأمسك من شئت حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فامنن أو أمسك بغير حساب قال تمن على من تشاء منهم فتعتقه وتمسك من شئت فتستخدمه ليس عليه فى ذلك حساب * وقال آخرون بل معنى ذلك هذا الذى أعطيناك من القوة على الجماع عطاؤنا فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب واترك جماع من شئت منهن * وقال آخرون بل ذلك من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول فى قوله بغير حساب وجهان أحدهما بغير جزاء ولا ثواب والآخر منة ولا قلة * والصواب من القول فى ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان وانما قلنا ذلك هو الصواب لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وقوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يقول وان لسليمن عندنا لقربة بانابته الينا وتوبته وطاعته لنا وحسن مآب يقول وحسن مرجع ومصير فى الآخرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب أى مصير ان قال لنا قائل وما وجه رغبة سليمن الى ربه فى الملك وهو نبى من الأنبياء وانما يرغب فى الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة أم ما وجه مسئلته اياه اذ سأله ذلك ملكا لا ينبغى لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذى أوتى من ذلك أكان به بخل بذلك فلم يكن من ملكه يعطى ذلك من يعطاه أم حسد للناس كما ذكر عن الحجاج ابن يوسف فانه ذكر أنه قرأ قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فقال ان كان لحسودا

وأحسوا بالألم فعاينوا الامر حين لا ينفع العيان ويزول الشك يوم لا يجدى البرهان عجل لنا قطنا النفوس الخبيثة تميل بطبعها الى السفليات العاجلة كما أن النفوس الكريمة تميل بطبعها الى العلويات الباقية ولكل من الصنفين جذبة بالخاصية الى شكله كجذب المغناطيس الحديد له تسع وتسعون نعجة هى آثار فيوض الصفات الربانية بحسب الأسماء التسعة والتسعين فلكل منها مظهر فى عالم الملك والخلق ولى نعجة واحدة هو ذات الله وحده فقال أكفلنيها أى صيرنى أجمع بين الله وبين ما سواه ثم ههنا أسرار كثيرة تفهمها ان شاء الله وظن داود أنما فتناه امتحناه بالجمع بين الدين والدنيا فاستغفر للحق ربه راكعا وأناب الى الله معرضا عما سواه وهذا التأويل مما خطر ببالى أرجو أن يكون مضاهيا للحق انا جعلناك خليفة فيه أن الخلافة عطاء من الله وأنها مخصوصة بالانسان خلق مستعدا لها بالقوة وفيه أن الجعلية تتعلق بعالم المعنى كما أن الخلقية تتعلق بعالم الصورة الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ووجه الخلافة هو أن الروح الانسانى أول فيض بذاته وصفاته فذاته من ذات الله بلا واسطة وصفاته من صفاته بلا واسطة فخلق لخليفته منزلا صالحا وهو قالبه وأعد له عرشا هو القلب ليكون محل استوائه ونصب له خادما وهو النفس فلو بقى الانسان على فطرة الله لكان روحه مستفيضا من الله تعالى فائضا بالخلافة الحق على عرش القلب والقلب فائض لخلافة الروح على خادمه النفس

فان ذلك ليس من أخلاق الأنبياء قيل أما رغبته الى ربه فيما يرغب اليه من الملك فلم تكن ان شاء الله به رغبة في الدنيا ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في اجابته فيما رغب اليه فيه وقبوله توبته واجابته دعاءه وأما مسئلته ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فانا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال ان معنى ذلك هب لي ملكا لا أسلبه كما سلبته قبل وانما معناه عند هؤلاء هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يسلبنيه وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني فيكون حجة وعلما لي على نبوتي وأني رسولك اليهم مبعوث اذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضا لأن يكون معناه وهب لي ملكا تخصني به لا تعطيه أحدا غيري تشريفا منك لي بذلك وتكرمة لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء

القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد عبدنا أيوب اذ نادى ربه مستغيثا به فيما نزل به من البلاء يارب اني مسني الشيطان بنصب فاختلفت القراء في قراءة قوله بنصب فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر القارئ بنصب بضم النون وسكون الصاد وقرأ ذلك أبو جعفر بضم النون والصاد كليهما وقد حكي عنه بفتح النون والصاد والنصب والنصب بمنزلة الحزن والحزن والعدم والعدم والرشد والرشد والصلب والصلب وكان الفراء يقول اذا ضم أوله لم يثقل لانهم جعلوهما على سمتين اذا فتحوا أوله ثقلوا واذا ضموا أوله خففوا قال وأنشدني بعض العرب

لئن بعثت أم الحميدين مائرا * لقد غنيت في غير بؤس ولا جحد

من قولهم جحد عيشه جحدا اذا ضاق واشتد قال فلما قال جحد خفف وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين النصب من العذاب وقال العرب تقول أنصبني عذبني وبرح بي قال وبعضهم يقول نصبني واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبي حازم

تعناك نصب من أميمة منصب * كذي الشجو لما يسله وسيذهب

وقال يعني بالنصب البلاء والشر ومنه قول نابغة بني ذبيان

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال والنصب اذا فتحت وحركت حروفها كانت من الاعياء والنصب اذا فتح أوله وسكن ثانيه واحد أنصاب الحرم وكل ما نصب علما وكأن معنى النصب في هذا الموضع العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه والعذاب في ذهاب ماله * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وذلك الضم في النون والسكون في الصاد وأما التأويل فبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر عبدنا أيوب حتى بلغ بنصب وعذاب ذهاب المال والأهل والضر الذي أصابه في جسده قال ابتلي سبع سنين وأشهرا ملقى على كناسة لبني اسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قال نصب في جسدي وعذاب

---

والنفس فائضة لخلافة القلب على القالب والقالب فائض لخلافة النفس على الدنيا وهي أرض الله فلا يجري شيء من الأمور الا على نهج الحق ووهبنا لداود الروح سليمان القلب اذ عرض عليه بالعشي وهو بعد زوال شمس التجلي الصافنات الجياد وهي مركب الصفات البشرية وفي قوله فطفق مسحا اشارة الى أن كل محبوب سوى الله اذا حجبك عنه لحظة يلزمك أن تقتله بسيف لا اله الا الله واليه الاشارة بقوله ثانيا ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه صدره شيأ من الشهوات الجسدانية فافتتن به فتاب ورجع الى الحضرة فان قيل قوله لا ينبغي لأحد من بعدي هل يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم قلنا يتناوله بالصورة لا بالمعنى فان الذي كان مطلوب سليمن من تزكية النفس عن محبة الدنيا مع القدرة عليها ومن تحلية القلوب بعلو الهمة وبذل المال والجاه وافشاء العدل والنصفة وغير ذلك كان حاصلا للنبي صلى الله عليه وسلم من غير زحمة مباشرة صورة الملك والافتتان به عزة ودلالا ولهذا قال في حديث تسلطه على الشيطان ذكرت دعوة أخي سليمن فتركته وكان يعرض عليه مقاليد الخزائن فيقول الفقر فخري على أن صورة الملك أيضا مما سيحصل لبعض أمته كما قال وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب

هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم
وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار  قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا
فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين ۞ القراآت مسني الشيطان بسكون الياء حمزة بنصب بضمتين يزيد وقرأ يعقوب بفتحتين وقرأ هبيرة بالفتح والسكون والباقون بالضم والسكون بخالصة ذكرى على الاضافة أبو جعفر ونافع وهشام عبدنا ابراهيم على التوحيد ابن كثير وعلى هذا يكون ابراهيم وحده عطف بيان ما يوعدون على الغيبة ابن كثير وأبو عمرو وغساق بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وحفص وأخر بضم الهمزة على الجمع أبو عمرو وسهل

في مالي حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك أني مسني الشيطان بنصب يعني البلاء في الجسد وعذاب قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقوله اركض برجلك ومعنى الكلام اذ نادى ربه مستغيثا به أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي وعذاب بذهاب مالي وولدي فاستجبنا له فقلنا له اركض برجلك الارض أي حركها وادفعها برجلك والركض حركة الرجل يقال منه ركضت الدابة ولا تركض ثوبك برجلك وقيل ان الارض التي أمر أيوب أن يركضها برجله الجابية ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اركض برجلك الآية قال ضرب برجله الارض أرضا يقال لها الجابية وقوله هذا مغتسل بارد وشراب ذكر أنه نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان فشرب من احداهما واغتسل من الأخرى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ضرب برجله الارض فاذا عينان تنبعان فشرب من احداهما واغتسل من الأخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قال فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها واغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء حدثني بشر بن آدم قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال قال سمعت الحسن في قول الله اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا ثم ركض برجله فنبعت عين فشرب منها فذلك قوله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وعني بقوله مغتسل ما يغتسل به من الماء يقال منه هذا مغتسل وغسول للذي يغتسل به من الماء وقوله وشراب يعني ويشرب منه والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك والصواب من القول عندنا فيه في سورة الانبياء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فتأويل الكلام فاغتسل وشرب ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء ووهبنا له أهله من زوجة وولد ومثلهم معهم رحمة منا له ورأفة وذكرى يقول وتذكيرا لأولي العقول ليعتبروا بها فيتعظوا وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلان من اخوانه كانا من أخص اخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق قال وكان يخرج الى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته فتلقته تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن

ما كان فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت أحداً أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أناهو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال قال الحسن وقتادة فأحياهم الله باعيانهم و زادهم مثلهم حدثني محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبدالرحمن بن جبير قال لما ابتلى نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده وطرح فى مزبلة جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه فحسده الشيطان على ذلك وكان يأتى أصحاب الخبز والشوى الذين كانوا يتصدقون عليها فيقول اطردوا هذه المرأة التى تغشاكم فانها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها فالناس يتقذرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك وكان يلقاها اذا خرجت كالمحزون لما لقى أيوب فيقول لج صاحبك فأبى الا ما أبى فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضر ولرجع اليه ماله وولده فتجيء فتخبر أيوب فيقول لها القيك عدو الله فلقاك هذا الكلام و يلك انما مثلك كمثل المرأة الزانية اذا جاء صديقها بشئ قبلته وأدخلته وان لم يأتها بشئ طردته وأغلقت بابها عنه لما أعطانا الله المال والولد آمنا به واذا قبض الذى له منا نكفر به ونبدل غيره ان أقامني الله من مرضي هذا لأجلدنك مائة قال فلذلك قال الله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقوله وخذ بيدك ضغثا يقول وقلنا لأيوب خذ بيدك ضغثا وهو ما يجمع من شئ مثل حزمة الرطبة وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق ومنه قول عوف بن أبي الخرع

وأسفل مني نهدة قد ربطتها * وألقيت ضغثا من خلا متطيب

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبدالله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وخذ بيدك ضغثا يقول حزمة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن عطاء فى قوله وخذ بيدك ضغثا قال عيدانا رطبة حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيي عن اسمعيل بن ابراهيم بن المهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وخذ بيدك ضغثا قال هو الأثل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخذ بيدك ضغثا الآية قال كانت امرأته قد عرضت له بأمر وأرادها ابليس على شئ فقال لو تكلمت بكذا وكذا وانما حملها عليها الجزع فحلف نبي الله لئن الله شفاه ليجلدنها مائة جلدة قال فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبا والاصل تكملة المائة فضربها ضربة واحدة فأبر نبي الله وخفف الله عن أمته والله رحيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وخذ بيدك ضغثا يعنى ضغثا من الشجر الرطب كان حلف على يمين فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه فضرب به ضربة واحدة فبرت يمينه وهو

الهمزة على الاستفهام ما كان لى بفتح الياء حفص الا انما بكسر الهمزة على الحكاية يزيد لعنتى الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع فالحق بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة و يعقوب غير رويس ۞ الوقوف أيوب م الا اذا جعل اذ بدلا وعذاب ه ط لتقدير القول أى فأرسلنا اليه جبريل فقال له اركض برجلك ج لان هذا مبتدأ مع أنه من تمام القول وشراب ه الألباب ه ولا تحنث ط صابرا ط العبد ط أواب ه والأبصار ه الدار ه ج للآية مع العطف الأخيار ه وذا الكفل ط من الأخيار ه ذكر ه ط مآب ه لا لأن جنات بدل أو عطف بيان الابواب ه ج لاحتمال أن عامل متكئين محذوف أى يتنعمون متكئين وان جعل حالا من مفتحة فهى مقدرة لان الاتكاء لا يكون فى حال فتح الأبواب وشراب ه أتراب ه الحساب ه من نفاد ه ج هذا ط أى هذا بيان جزاء المتقين أو الأمر هذا مآب ه لا جهنم ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا يصلونها ج المهاد ه هذا لا لأن خبره حميم فقوله فليذوقوه اعتراض وغساق ه لا للعطف أزواج ه ط معكم ج لا تصال المعنى مع الابتداء بما فى معنى الدعاء بهم ه النار ط بكم ط لنا ج القرار ه النار ه الاشرار ه ط لمن قرأ بكسر الهمزة لاحتمال اضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها خبرية

صفة أو حالا ومن صرح بالاستفهام وقفه مطلق الأبصار ه النار ه القهار ه ج لأن ما بعده يصلح بدلا وخبرا لمحذوف أى هو الغفار عظيم ه لا لان ما بعده وصف معرضون ه يختصمون ه مبين ه طين ه ساجدين ه أجمعون ه لا اليوم

ابليس ط الكافرين ٥ بيدى ط للاستفهام العالين ٥ منه ط لأن ما بعده جواب سؤال كأنه علل الخيرية طين ٥ رجيم ٥ ج والوصل أولى لاتصال المعنى به الدين ٥ يبعثون ٥ المنظرين ٥ لا لتعلق الى المعلوم ٥ أجمعين ٥ لا للاستثناء

اليوم فى الناس يمين أيوب من أخذ بها فهو حسن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال ضغثا واحدا من الكلا فيه أكثر من مائة عود فضرب به ضربة واحدة فذلك مائة ضربة حدثنى محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبد الرحمن بن جبير وخذ بيدك ضغثا فاضرب به يقول فاضرب زوجتك بالضغث لتبر فى يمينك التى حلفت بها عليها أن تضربها ولا تحنث يقول ولا تحنث فى يمينك وقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد يقول انا وجدنا أيوب صابرا على البلاء لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول فى معصيته نعم العبد انه أوّاب يقول انه الى طاعة الله مقبل والى رضاه رجاع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله عبادنا فقرأته عامة قراء الأمصار واذكر عبادنا على الجماع غير ابن كثير فانه ذكر عنه أنه قرأه واذكر عبدنا على التوحيد كأنه يوجه الكلام الى أن اسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم وأنهما ذكرا من بعده حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ واذكر عبدنا ابراهيم قال انما ذكر ابراهيم ثم ذكر ولده بعده * والصواب عندنا من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه على الجماع على أن ابراهيم واسحق ويعقوب بيان عن العباد وترجمة عنه لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله أولى الأيدى والأبصار ويعنى بالايدى القوة يقول أهل القوة على عبادة الله وطاعته ويعنى بالأبصار أنهم أهل أبصار القلوب يعنى به أولى العقول (٣) للحق * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولى الأيدى والأبصار يقول أولى القوة والعبادة والابصار يقول الفقه فى الدين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولى الأيدى والأبصار قال فضلوا بالقوة والعبادة حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال فى هذه الآية أولى الأيدى قال القوة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله أولى الأيدى قال القوة فى أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد أولى الأيدى قال الأيدى القوة فى أمر الله والأبصار العقول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولى الأيدى والأبصار قال القوة فى طاعة الله والأبصار قال البصر فى الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولى الأيدى والأبصار يقول أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أولى الأيدى والأبصار قال الأيدى القوة فى طاعة الله والأبصار البصر بعقولهم فى دينهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أولى الأيدى والأبصار قال الأيدى القوة والأبصار

المخلصين ٥ فالحق ز على قراءة الرفع أى فهذا الحق مع اتحاد المقول أقول ج لاحتمال أن ما بعده قسم مستأنف أو بدل من قوله والحق أجمعين ٥ ج المتكلفين ٥ للعالمين ٥ حين ٥ ﴿ التفسير وجه النظم كأنه تعالى يقول يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا أكثر مالا وأوجاها من داود وسليمن ولم يكن أكثر بلاء ومحنة من أيوب ومع ذلك لم يبق حالهما وحاله على نسق واحد فالصبر مفتاح الفرج وأيوب عطف بيان واذ معمول فعل آخر أو بدل اشتمال من أيوب أى زمان بلائه وكان معاصرا ليعقوب وامرأته ليا بنت يعقوب ونداؤه دعاؤه والجار محذوف أى دعاه بأنى مسنى على الحكاية والالتفات بأنه مسه والنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب بالفتح والسكون على أصل المصدر وضمة الصاد لاتباع النون كقفل وقفل ومعنى الكل التعب والمشقة قيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب المال والأهل وللناس فى بلائه قولان الأول أن الذى نزل به كان من الشيطان وقد مر تقريره فى الانبياء ومجمله ما روى أن ابليس سأل ربه فقال هل فى عبيدك من لو سلطتنى عليه يمتنع منى فقال نعم عبدى أيوب قال فسلطنى على ماله فكان يجيئه ويقول هلك من مالك كذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله فقال يا رب ان أيوب لا يبالى بماله فسلطنى على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية فجاء وأخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالى بماله وولده فسلطنى على جسده فأذن فيه فنفخ فى جلد أيوب وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فمكث فى ذلك البلاء سبع سنين أو ثمان عشرة وصار بحيث استقذره أهل بلده

العقول فان قال لنا قائل وما الأيدي من القوة والأيدي انما هي جمع يد واليد جارحة وما العقول من الأبصار وانما الأبصار جمع بصر قيل ان ذلك مثل وذلك أن باليد البطش وبالبطش نعرف قوة القوي فلذلك قيل للقوي ذو يد وأما البصر فانه عني به بصر القلب و به تنال معرفة الأشياء فلذلك قيل للرجل العالم بالشيء بصير به وقد يمكن أن يكون عنى بقوله أولي الأيدي أولي الأيدي عند الله بالأعمال الصالحة فجعل الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا أيديا لهم عند الله تمثيلا لها باليد تكون عند الرجل لآخر وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه أولي الأيد بغير ياء وقد يحتمل أن يكون ذلك من التأييد وأن يكون بمعنى الأيدي ولكنه أسقط منه الياء كما قيل يوم ينادي المناد بحذف الياء وقوله عز وجل إنا أخلصناهم بخالصة يقول تعالى ذكره إنا خصصناهم بخاصة ذكرى الدار واختلفت القراء في قراءة قوله بخالصة ذكرى الدار فقرأته عامة قراء المدينة بخالصة ذكرى الدار باضافة خالصة الى ذكرى الدار بمعنى أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى والذكرى اذا قرئ كذلك غير الخالصة كالمتكبر اذا قرئ على كل قلب متكبر باضافة القلب الى المتكبر هو الذي له القلب وليس بالقلب وقرأ ذلك عامة قراء العراق بخالصة ذكرى الدار بتنوين قوله خالصة ورد ذكرى عليها على أن الدار هي الخالصة فردوا الذكرى وهي معرفة على خالصة وهي نكرة كما قيل لشر مآب جهنم فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه انا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار أي انهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة ويدعونهم الى طاعة الله والعمل للدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بهذه أخلصهم الله كانوا يدعون الى الآخرة والى الله * وقال آخرون معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد في قوله إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بذكرهم الدار الآخرة وعملهم للآخرة * وقال آخرون معنى ذلك إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالاضافة وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به وأعطيناهم اياه قال والدار الجنة وقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض قال الجنة وقرأ ولنعم دار المتقين قال هذا كله الجنة وقال أخلصناهم بخير الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك خالصة عقبى الدار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير بخالصة ذكر الدار قال عقبى الدار * وقال آخرون بل معنى ذلك بخالصة أهل الدار ذكر من قال ذلك حدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جريج قال ثني ابن أبي نجيح أنه سمع مجاهدا يقول بخالصة ذكرى

الدار

فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان استعاذني زوجك خلصته من هذا البلاء فأشارت الى أيوب بذلك فغضب لذلك أو لوجوه أخر سبق ذكرها في سورة الانبياء وحلف ان عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند ذلك دعا ربه شاكيا اليه لا منه كقول يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله فأجاب دعاءه وأوحى اليه (اركض) أي اضرب (برجلك) الارض عن قتادة هي أرض الجابية من قرى الشام فأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره و باطنه ورد عليه أهله وماله * القول الثاني أن الشيطان لا قدرة له على ايقاع الناس في الأمراض والآفات والا لوقع في العالم مفاسد ولم يدع صالحا الا نكبه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له الا الوسوسة فالمراد بمس الشيطان هو الأحزان الحاصلة في قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء واغرائه على الجزع والقنوط من روح الله الى غير ذلك مما مر ذكره في سورة الأنبياء ولناصر القول الأول أن يقول سلمنا أن الشيطان باستقلاله لا يقدر على المفاسد ولكنه لم لا يجوز أن يقدر بعد الالتماس والتسليط ولنعد الى تفسير ما يختص بالمقام قوله (مغتسل بارد) أي هذا مكان يغتسل فيه أي بمائه ويشرب منه والظاهر أنها كانت عينا واحدة عذبة باردة وروى بعضهم أنه نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فبرأ ظاهره وضرب رجله اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها فزال ما في بطنه من القروح و زعم أن تقدير الكلام هذا مغتسل وشراب بارد وقوله (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله بأعيانهم وزاده مثلهم من أولاده وقيل من أولاد أولاده وقيل كانوا قد غابوا عنه وتفرقوا فجمع الله شملهم وقيل كانوا مرضى فشفاهم الله والأول أصح وقوله (رحمة منا) وذكرى مفعول لهما فكانت الهبة رحمة له

الدار هم أهل الدار وذو الدار كقولك ذو الكلاع وذو يزن وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتنوين بخالصة عمل في ذكرى الآخرة * وأولى الاقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال معناه انا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة عملوا لها في الدنيا فأطاعوا الله وراقبوه وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء الى الله والى الدار الآخرة لأن ذلك من طاعة الله والعمل للدار الآخرة غير أن معنى الكلمة ماذكرت وأما على قراءة من قرأه بالاضافة فأن يقال معناه انا أخلصناهم بخالصة ماذكر في الدار الآخرة فلما لم تذكر في أضيفت الذكرى الى الدار كما قد بينا قبل في معنى قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير وقوله بسؤال نعجتك الى نعاجه وقوله وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار يقول وان هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الاخيار الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا الى خلقنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اسمعيل واليسع وذا الكفل وما أبلوا في طاعة الله فتأس بهم واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله والنفاذ لبلاغ رسالته وقد بينا قبل من أخبار اسمعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والكفل في كلام العرب الحظ والجد

وقوله هذا ذكر يقول تعالى ذكره هذا القرآن الذي أنزلناه اليك يا محمد ذكر لك ولقومك ذكرناك واياهم به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هذا ذكر قال القرآن وقوله وان للمتقين لحسن مآب يقول وان للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لحسن مرجع يرجعون اليه في الآخرة ومصير يصيرون اليه ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعدهم من حسن المآب ماهو فقال جنات عدن مفتحة لهم الأبواب حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وان للمتقين لحسن مآب قال لحسن منقلب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ قوله تعالى ذكره جنات عدن بيان عن حسن المآب وترجمة عنه ومعناه بساتين اقامة وقد بينا معنى ذلك بشواهده وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جنات عدن قال سأل عمر كعبا ما عدن قال يا أمير المؤمنين قصور في الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصديقون والشهداء وأئمة العدل وقوله مفتحة لهم الأبواب يعني مفتحة لهم ابوابها وأدخلت الالف واللام في الأبواب بدلا من الاضافة كما قيل فان الجنة هي المأوى بمعنى هي مأواه وكما قال الشاعر

ما ولدتكم حية ابنة مالك * سفاحا وما كانت أحاديث كاذب

ولكن نرى أقدامنا في نعالكم * وآنفنا بين اللحى والحواجب

بمعنى بين لحاكم وحواجبكم ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب لم يكن لحنا وكان نصبه على توجيه

---

وتذكير الذوي العقول حتى لو ابتلوا بما ابتلي به صبروا كما صبر فيفوزوا كما فاز وانما لم يقل ههنا رحمة من عندنا مع أنه أبلغ اكتفاء بما مر في سورة الانبياء وفي قوله (وذكرى لأولى الألباب) مع قوله في الانبياء وذكرى للعابدين اشارة الى أن ذا اللب هو الذي يعبد الله وتخصص كل من السورتين بما خص لرعاية الفاصلة قوله (وخذ) معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو سنبلة قال مجاهد هو لأيوب خاصة وعن قتادة هو عام في هذه الأمة والصحيح أنه باق في المريض والمعذور لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بمخدج وقد زنى بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة حلل الله يمين أيوب بأهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها ومعنى (وجدناه صابرا) علمنا منه الصبر وههنا نكتة ذكرها بعض أرباب القلوب وهي أنه لما نزل في حق سليمن نعم العبد تارة وفي حق أيوب أخرى اغتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا تشريف عظيم فان كان سببه اتفاق مملكة مثل مملكة سليمن فنحن لا نقدر عليه وان كان سببه تحمل بلاء مثل بلاء أيوب فنحن لا نطيقه فكيف السبيل الى تحصيله فأنزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك الفضول فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني النصرة والتوفيق قلت وصف أنبياء سائر الامم بقوله نعم العبد ووصف هذه الامة بقوله كنتم خير أمة فلا تشريف فوق هذا ثم أجمل ذكر طائفة من مشاهير الأنبياء ومعنى (أولى الأيدي والأبصار) أولى العمل والعلم لأن اليد آلة لاكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وفيه تعريض بأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يتفكرون أفكار ذوي العقول والعرفان فهم في حكم الزمنى والعميان ولولا قرينة الأبصار لكان يحتمل أن الأيدي جمع اليد

النعمة قوله (أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) الخالصة صفة او مصدر كالعاقبة والدار ظرف فهى الدنيا اومفعول به فهى الآخرة والمعنى جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة (١١٣) لاشوب فيها وهى ذكراهم الجنة بحيث لايشوبون ذكرها بشئ من هموم الدنيا

المفتحة فى اللفظ الى جنات وان كان فى المعنى للابواب وكان كقول الشاعر

وماقومى بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

ثم نونت مفتحة ونصبت الابواب فان قال لنا قائل و ما فى قوله مفتحة لهم الابواب من فائدة خبر حتى ذكر ذلك قيل فان الفائدة فى ذلك اخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها اياها بمعاناة بيد ولا جارحة ولكن بالامر فيما ذكر كما حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا ابن نفيل قال ثنا ابن دعيج عن الحسن فى قوله مفتحة لهم الابواب قال أبواب تكلم فتكلم انفتحى انغلق وقوله متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب يقول متكئين فى جنات عدن على سرر يدعون فيها بفاكهة يعنى بثمار من ثمار الجنة كثيرة وشراب من شرابها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ يقول تعالى ذكره وعند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف فى هذه الآية من اسكانهم جنات عدن قاصرات الطرف يعنى نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يمددن أعينهن الى سواهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قاصرات الطرف قال قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وقوله أتراب يعنى أسنان واحدة و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قاصرات الطرف أتراب قال أمثال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أتراب سن واحدة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أتراب قال مستويات قال وقال بعضهم متواخيات لا يتباغضن ولا يتعادين ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وقوله هذا ما توعدون ليوم الحساب يقول تعالى ذكره هذا الذى يعدكم الله فى الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم فى الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى هذا ما توعدون ليوم الحساب قال هو فى الدنيا ليوم القيامة وقوله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد يقول تعالى ذكره ان هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب والقاصرات الطرف ومكناهم فيها من الوصول الى اللذات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا رزقناهم فيها كرامة منالهم ماله من نفاد يقول ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها فأكلوها عادت مكانها أخرى مثلها فذلك لهم دائم أبدا لاينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه فى الدنيا فانقطع بالفناء ونفد بالانفاد و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد قال رزق الجنة كلما أخذ منه شئ عاد مثله مكانه و رزق الدنيا له نفاد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ماله من نفاد أى ماله انقطاع ۞ القول فى تأويل

أوهى تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها أو بسبب خلوص ذكرى الجنة أو بما خلص من ذكراها أو جعلناهم مختصين بخلة صافية عن المنقصات وهى الثناء الحسن فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم و (المصطفين) جمع مصطفى وأصله مصطفيين لأنه فى حالة الجر بالياء قلبت الياء المتحركة ألفا ثم حذفت أراد اخترناهم من بين أبناء جنسهم والأخيار جمع خير بالتشديد أو خير بالتخفيف كأموات فى ميت أو موت (واسمعيل واليسع وذا الكفل) وقد مر ذكرهم فى سورة الأنبياء وحين تم ذكر الصالحين وما لقى كل منهم من أنواع الابتلاء تثبيتا لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواع القرآن أراد أن يذكر على عقيبه بابا آخر وهو ذكر جزاء المتقين والطاغين قال (هذا ذكر) ثم قال (وان للمتقين) كما يقول المصنف اذا فرغ من فصل من كتابه هذا باب ثم يشرع فى باب آخر و يحتمل أن يكون من تتمة صفات الأنبياء أى هذا الذى قصصنا عليك من أحوال هؤلاء الأنبياء شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا قوله (مفتحة) حال والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل قال الزجاج الأبواب فاعل مفتحة والعائد محذوف أى الأبواب منها وقال غيره فى مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل الاشتمال من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب نظيره

فى بدل البعض ضرب زيد اليد والرجل فكان اللام عوضا من الضمير الراجع والمعنى أن الملائكة الموكلين بالجنات اذا رأوا أصحاب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاجون الى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح وقيل أراد به وصف تلك المساكن قوله

بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل وقوله (متكئين) حال مقدرة متداخلة كما مر أو حال بعد حال أو عامله مؤخر وهو (يدعون)
أي يتحكمون في ثمارها وشرابها فاذا قالوا لشيء منها أقبل حصل عندهم وقيل  يتمنون وقيل يسألون قال المفسرون أراد

قوله تعالى ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ يعني تعالى ذكره بقوله هذا الذي وصفت لهؤلاء المتقين ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا فقال وان للطاغين وهم الذين تمردوا على ربهم فعصوا أمره مع احسانه اليهم لشر مآب يقول لشر مرجع ومصير يصيرون اليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان للطاغين لشر مآب قال لشر منقلب ثم بين تعالى ذكره ما ذلك الذي اليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة فقال جهنم يصلونها فترجم عن جهنم بقوله لشر مآب ومعنى الكلام ان للكافرين لشر مصير يصيرون اليه يوم القيامة لأن مصيرهم الى جهنم واليها منقلبهم بعد وفاتهم فبئس المهاد يقول تعالى ذكره فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم وقوله هذا فليذوقوه حميم وغساق يقول تعالى ذكره هذا حميم وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حره وغساق فليذوقوه فالحميم مرفوع بهذا وقوله فليذوقوه معناه التأخير لأن معنى الكلام ما ذكرت وهو هذا حميم وغساق فليذوقوه وقد يتجه ذلك الى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يبتدأ فيقال حميم وغساق بمعنى منه حميم ومنه غساق كما قال الشاعر

حتى اذا ما أضاء الصبح في غلس * وغودر البقل ملوي ومحصود

واذا وجه الى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع النصب على أن يضمر قبلها ناصب كما قال الشاعر

زيارتنا نعمان لا تحرمنها * تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

والرفع بالهاء في قوله فليذوقوه كما يقال الليل فبادروه والليل فبادروه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هذا فليذوقوه حميم وغساق قال الحميم الذي قد انتهى حره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحميم دموع أعينهم تجمع في حياض النار فيسقونه وقوله وغساق اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف وغساق وقالوا هو اسم موضوع وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وغساق مشددة ووجهوه الى أنه صفة من قولهم غسق يغسق غسوقا اذا سال وقالوا انما معناه أنهم يسقون الحميم وما يسيل من صديدهم * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كان التشديد في السين أتم عندنا في ذلك لأن ذلك المعروف في الكلام وان كان الآخر غير مدفوعة صحته واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا فليذوقوه حميم وغساق قال كنا نحدث أن الغساق ما يسيل من بين جلده ولحمه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال الغساق الذي يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال الغساق ما يسيل من سرمهم وما يسقط من جلودهم حدثني يونس قال أخبرنا

وشراب كثير فحذف لاكتفاء بالأول وحين بين أمر المسكن والمأكول والمشروب ذكر أمر المنكوح وقاصرات الطرف قد مر في الصافات أنهن اللواتي قصرن الطرف عن الالتفات الى غير أزواجهن والأتراب جمع ترب وهي اللدة واشتقاقها قيل من اللعب بالتراب وقيل لأن التراب مسهن في وقت واحد والسبب في اعتبار هذا الوصف أن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن وأزواجهن واحدة في الأسنان وقيل أراد أنهن شواب لا عجوز ولا صبية ويروى أنهن بنات ثلاث وثلاثين ومعنى (ليوم الحساب) قيل لاجل الحساب لأن الحساب علة الوصول الى جزاء العمل والظاهر أن اللام للوقت أي ما وعدتم تعطونه في يوم الحساب (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع ونهاية ولا مزيد فوق ذلك فتمام النعم بدوامها ثم بين أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين وأكثر المفسرين حملوا الطغيان ههنا على الكفر لأنه تعالى يحكي عنهم أنهم قالوا اتخذناهم سخريا والفاسق لا يتخذ المؤمن هزوا لأن الطاغي اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر ويؤيده قول ابن عباس المعنى ان الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مصير وحمله الجبائي على أصحاب الكبائر من أهل الايمان وغيرهم لأن كل من تجاوز عن تكاليف الله فقد طغا ومنه قوله



تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والمهاد الفراش وقد مر مرارا وقوله (هذا) قد مر بعض اعرابه في الوقوف ويحتمل أن يراد العذاب هذا ثم ابتدأ فقال هو حميم أو منه (حميم) ومنه (غساق) أو هذا فليذوقوه معناه

ابن وهب قال قال ابن زيد الغساق الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثني أبي قال ثنا ابن لهيعة قال ثني أبو قبيل أنه سمع أباهبيرة الزيادي يقول سمعت عبدالله بن عمرو يقول أي شئ الغساق قالوا الله أعلم فقال عبدالله بن عمرو هو القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب * قال يحيى بن عثمان قال أبي ثنا ابن لهيعة مرة أخرى فقال ثنا أبو قبيل عن عبدالله بن هبيرة ولم يذكر لنا أباهبيرة حدثنا ابن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا أبو يحيى عطية الكلاعي أن كعبا كان يقول هل تدرون ما غساق قالوا لا والله قال عين في جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غيرها فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام حتى يتعلق جلده في كعبيه وعقبيه و ينجر لحمه كجر الرجل ثوبه * وقال آخرون هو البارد الذي لا يستطاع من برده ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد وغساق قال بارد لا يستطاع أو قال برد لا يستطاع حدثني علي بن عبدالأعلى قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك هذا فليذوقوه حميم وغساق قال يقال الغساق أبرد البرد و يقول آخرون لا بل هو أنتن النتن * وقال آخرون بل هو المنتن ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عن ابراهيم النكري عن صالح بن حيان عن أبيه عن عبدالله بن بريدة قال الغساق المنتن وهو بالطخارية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو ما يسيل من صديدهم لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق وان كان للآخر وجه صحيح وقوله وآخر من شكله أزواج اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة وآخر من شكله أزواج على التوحيد بمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع كما يقال لك عذاب من فلان ضروب وأنواع وقد يحتمل أن يكون مرادا بالأزواج الخبر عن الحميم والغساق وآخر من شكله وذلك ثلاثة فقيل أزواج يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة وقرأ ذلك بعض المكيين و بعض البصريين وأخر على الجماع وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعتا للواحد فلذلك جمع أخر لتكون الأزواج نعتا لها والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم اذا كان فعلا بالكثير والقليل والاثنين كما بينا فتقول عذاب فلان أنواع ونوعان مختلفان وأعجب القراءتين الي أن أقرأ بها وآخر على التوحيد وان كانت الاخرى صحيحة لاستفاضة القراءة بها في قراء الامصار وانما اخترنا التوحيد لأنه أصح مخرجا في العربية وأنه في التفسير بمعنى التوحيد وقيل انه الزمهرير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن مرة عن عبدالله وآخر من شكله أزواج قال الزمهرير حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدي عن مرة عن عبدالله بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية عن سفيان عن السدي عمن أخبره عن عبدالله بمثله الا أنه قال عذاب الزمهرير

---

ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله فاياي فارهبون وقيل حميم مبتدأ وهذا خبره والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها  وذكر الأزهري أن الغاسق البارد ولهذا قيل لليل الغاسق لأنه أبرد من النهار فالحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقال الزجاج انه المنتن لو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق يؤيده قول ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي سم من عقرب وحية وعن الحسن هو عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر من شكله) أي ومذوقات أخر أو عذاب أو مذوق آخر من جنس هذا المذوق و (أزواج) أي أجناس أو مقترنات صفة الآخر لأنه جاز أن يكون مختلفات أو صفة للثلاثة المذكورة وهي حميم وغساق وشئ آخر من شكله والمجموع خبر هذا أو خبر هو وحين وصف مسكن الطاغين ومأكولهم ومشروبهم حكى أحوالهم مع الذين كانوا يعدونهم أحباءهم في الدنيا ثم مع الذين كانوا يعدونهم أعداءهم أما الأول فقوله (هذا) أي يقول الطاغون بعضهم مع بعض وذلك اذا دخلت أمة ثم دخل آخرون والفوج الأول الرؤساء والثاني الاتباع وقيل الأول ابليس وبنوه والثاني أبناء آدم هذا (فوج) أي جمع كثيف دخل النار في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشدة أرادوا أن أتباعهم اقتحموا معهم العذاب كما اقتحموا معهم الضلال وقوله (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم ومرحبا نصب على أنه مفعول به أو مصدر أي أتيت رحبا لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا فاذا دخل عليه لا صار دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم وقوله (انهم صالو النار) تعليل لاستيجابهم اللعن قيل انما قالوا ذلك ولم يصدر من الأتباع ذنب

في حق من قبلهم لأن النار تكون مملوءة منهم أولان عذابهم يضاعف بسببهم وقيل هو اخبار لادعاء أي وقد وردوا موردا لا رحب فيه ولا سعة وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فيما بين أتباعهم  وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أي الاتباع

الزمهرير حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله ابن مسعود قال هو الزمهرير حدثت عن يحيى بن أبي زائدة عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال ذكر الله العذاب فذكر السلاسل والاغلال وما يكون في الدنيا ثم قال وآخر من شكله أزواج قال وآخر لم ير في الدنيا وأما قوله من شكله فان معناه من ضربه ونحوه يقول الرجل للرجل ما أنت من شكلي بمعنى ما أنت من ضربي بفتح الشين وأما الشكل فانه من المرأة ما علقت مما تحسن به وهو الدل أيضا منها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وآخر من شكله أزواج يقول من نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآخر من شكله أزواج من نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآخر من شكله أزواج قال من كل شكل ذلك العذاب الذي سمى الله أزواج لم يسمها الله قال والشكل الشبيه وقوله أزواج يعني ألوان وأنواع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وآخر من شكله أزواج قال ألوان من العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أزواج زوج زوج من العذاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أزواج قال أزواج من العذاب في النار وقوله هذا فوج مقتحم معكم يعني تعالى ذكره بقوله هذا فوج هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار وذلك دخول أمة من الامم الكافرة بعد أمة لا مرحبا بهم وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم لا مرحبا بهم ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد كما قيل يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون فاتصل قول فرعون بقول ملائه وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ويعني بقوله لا مرحبا بهم لا اتسعت بهم مداخلهم كما قال أبو الأسود * ألا مرحب واديك غير مضيق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا فوج مقتحم معكم في النار لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم حتى بلغ فبئس القرار قال هؤلاء التباع يقولون للرؤس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم قال الفوج القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج وقرأ كلما دخلت أمة لعنت أختها التي كانت قبلها وقوله انهم صالوا النار يقول انهم واردو النار وداخلوها قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم يقول قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم لهم بل أنتم أيها القوم لا مرحبا بكم أي لا اتسعت بكم أماكنكم أنتم قدمتموه لنا يعنون أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان وصلي النار باضلالكم ايانا ودعائكم لنا الى الكفر بالله وتكذيب رسله حتى ضللنا باتباعكم فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة فبئس القرار يقول فبئس المكان يستقر فيه جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾ وهذا أيضا قول

(بل أنتم لا مرحبا بكم) أي الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير لما هم فيه من العذاب أو الصلي أي كنتم السبب في العمل الذي هذا جزاؤه فجمعوا بين مجازين لأن الأتباع هم الذين عملوا عمل السوء لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه ومن جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة زعم أن تقدير الكلام هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم لما نحن فيه (فبئس القرار) أي المستقر النار (قالوا) أي الفوج وهو كالبدل من قالوا الاول والضعف المضاعف كما مر في الأعراف وأما الثاني فقوله (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) أي في اعتقادنا لأن دينهم على خلاف ديننا أو أرادوا أنهم أراذل لا خير فيهم يعنون فقراء المسلمين وعن بعضهم أن القائلين صناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وبلال وصهيب وأمثالهم من قرأ (أتخذناهم) بفتح الهمزة فعلى أنه انكار منهم على أنفسهم وتأنيب لها بالاستسخار منهم ولذا فيمن قرأ اتخذناهم بكسر الهمزة و يقدر همزة الاستفهام محذوفة ومن جعلها صفة أو حالا فلا اشكال وحينئذ يتصل (أم زاغت) بقوله مالنا لا نرى أي الرجال الموصوفين في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا وخفي علينا مكانهم فلا نراهم وهم فيها فأم منقطعة وكذا ان اتصل بقوله اتخذناهم على الاستفهام لأن الأول للانكار والثاني للاستخبار ويجوز أن يكون أم متصلة وكلاهما للانكار ومعنى زيغ الابصار ازدراؤهم وتحقيرهم يؤيده قول الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم

واللام في الابصار عوض من الضمير أي أبصارنا (ان ذلك) الذي حكينا عنهم (لحق) لابد لهم من وقوعه لانهم مالوا الى عالم التضاد فيحشرون
كذلك ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار)  لأن التلاعن والتشاتم نوع من أنواع الخصومة واعلم أنه سبحانه لما بدأ
في أول السورة بأن محمدا يدعو الى التوحيد وأن الكفار يستهزؤن منه و ينسبونه الى السخرية تارة والى الكذب أخرى ثم ذكر طرفا من قصص الانبياء عليهم السلام ليعلم أن الدنيا دار تكليف و بلاء لا دار اقامة و بقاء ثم عقبه بشرح نعيم الابرار وعقاب الاشرار عاد الى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة وهي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق ما يدعو اليه من التوحيد والاخلاص فقال (قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد) من جميع الوجوه (القهار) لما دونه ثم أردف القهر باللطف والتربية قائلا (رب السموات والأرض وما بينهما) ثم أكد صفتي القهر واللطف بقوله (العزيز الغفار) فمن عزته أدخل أهل الاستكبار النار ولمغفرته أعد الجنة لأهل الاستغفار قوله (قل هو نبأ عظيم) أي القول بأن الله واحد نبأ عظيم أو القول بالنبوة أو باثبات الحشر والقيامة وذلك لأن هذه المطالب كانت مذكورة في أول السورة ولأجلها سيق الكلام منجرا الى ههنا و يحتمل أن يراد كون القرآن معجزا كما مر في قوله كتاب أنزلناه فيه نبأ عظيم وهؤلاء الأقوام أعرضوا عن كل من هذه الأمور ثم بين أنه حاصل من قبل الوحي بقوله (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) وهم الملائكة (اذ يختصمون) أي يتقاولون فيما بينهم بالوحي والظرف متعلق بمحذوف أي بكلامهم وقت اختصامهم
شبه التقاول بالتخاصم من حيث ان في كل منهما سؤالا وجوابا والمشابهة علة لجواز المجاز ثم صرح بما عليه مدار
الوحي قائلا (ان يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين) أي ما يوحى الي الا هذا وهو اني نذير كامل في باب التبليغ و يؤيده قراءة كسر انما

الفوج المقتحم على الطاغين وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا يقول جل ثناؤه وقال الأتباع ربنا من قدم لنا هذا يعنون من قدم لهم في الدنيا بدعائهم الى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها وسكنى المنزل الذي سكنوه منها و يعنون بقولهم هذا العذاب الذي وردناه فزده عذابا ضعفا في النار يقولون فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ يقول تعالى ذكره قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذووهما ما لنا لا نرى رجالا يقول ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا كنا نعدهم من الاشرار يقول كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا وعنوا بذلك فيما ذكر صهيبا وخبابا و بلالا وسلمان و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن ليث عن مجاهد في قوله ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وذكر أناسا صهيبا وعمارا وخبابا كنا نعدهم من الاشرار في الدنيا حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد في قوله وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال قالوا أين سلمان أين خباب أين بلال وقوله أتخذناهم سخريا اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والشام و بعض قراء الكوفة أتخذناهم بفتح الالف من أتخذناهم وقطعها على وجه الاستفهام وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة و بعض قراء مكة بوصل الالف من الاشرار اتخذناهم وقد بينا فيما مضى قبل أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ فان العرب تستفهم فيه أحيانا وتخرجه على وجه الخبر أحيانا * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام لتقدم الاستفهام قبل ذلك في قوله ما لنا لا نرى رجالا كنا فيصير قوله اتخذناهم بالخبر أولى وان كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب واذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا لما وصفنا فمعنى الكلام وقال الطاغون ما لنا لا نرى سلمان و بلالا وخبابا الذين كنا نعدهم في الدنيا أشرارا اتخذناهم فيها سخريا نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول من كسر السين من السخري فانه يريد به الهزء يريد يسخر به ومن ضمها فانه يجعله من السخرة يستسخرونهم يستذلونهم أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار يقول أهم في النار لا نعرف مكانهم وحدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه فانطلق به و بأصحابه الى الجنة وذهب بهم الى النار فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار يقولون أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندري أين هم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اتخذناهم سخريا قال أخطأناهم أم زاغت عنهم الأبصار ولا نراهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ما لنا لا نرى
رجالا

رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال فقدوا أهل الجنة اتخذناهم سخريا فى الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار وهم معنا فى النار وقوله ان ذلك لحق يقول تعالى ذكره ان هذا الذى أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار ولعن بعضهم بعضا ودعاء بعضهم على بعض فى النار لحق يقين فلا تشكوا فى ذلك ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار وقوله تخاصم ردّ على قوله لحق ومعنى الكلام ان تخاصم أهل النار الذى أخبرتكم به لحق وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله أم زاغت عنهم الأبصار الى بل زاغت عنهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان ذلك لحق تخاصم أهل النار فقرأ تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقرأ ويوم نحشرهم جميعا حتى بلغ ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال ان كنتم تعبدوننا كما تقولون ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر قال وهذه الاصنام قال هذه خصومة أهل النار وقرأ وضل عنهم ما كانوا يفترون قال وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك انما أنا منذر لكم يا معشر قريش بين يدى عذاب شديد أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة وما من اله الا الله الواحد القهار يقول وما من معبود تصلح له العبادة وتنبغى له الربوبية الا الله الذى يدين له كل شئ ويعبده كل خلق الواحد الذى لا ينبغى أن يكون له فى ملكه شريك ولا ينبغى أن تكون له صاحبة القهار لكل ما دونه بقدرته رب السموات والأرض يقول مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق يقول فهذا الذى هذه صفته هو الاله الذى لا اله سواه لا الذى لا يملك شيأ ولا يضر ولا ينفع وقوله العزيز الغفار يقول العزيز فى نقمته من أهل الكفر به المدّعين معه الها غيره الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه فأناب الى الايمان به والطاعة له بالانتهاء الى أمره ونهيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الىّ الا أنما أنا نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه ان هذا الا اختلاق هو نبأ عظيم يقول هذا القرآن خبر عظيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال ثنا أبو أسامة عن شبل بن عباد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون قال القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن شريح أن رجلا قال له أتقضى علىّ بالنبأ قال فقال له شريح أوليس القرآن نبأ قال وتلا هذه الآية قل هو نبأ عظيم قال وقضى عليه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون قال القرآن وقوله أنتم عنه معرضون يقول أنتم عنه منصرفون لا تعملون به ولا تصدّقون بما فيه من حجج الله وآياته وقوله ما كان لى من علم بالملا الأعلى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون فى شأن آدم من قبل أن يوحى الىّ ربى فيعلمنى ذلك

وقيل انا الجار محذوف أى لم يوح الىّ الا لأن أنذر ولا أقصر روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أتانى الليل آت من ربى. وفى رواية ربى فى أحسن صورة فقال لى يا محمد قلت لبيك ربى وسعديك قال هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أعلم قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض قال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء فى السبرات المكروهات أى فى البرد الشديد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه الحديث قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام واعلم أن أشراف قريش انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فختم الله تعالى السورة بذكر قصة آدم وما وقع فيه ابليس من الرجم واللعن حين حسد آدم واستكبر ليصير سماع القصة زاجرا للمكلفين عن هاتين الخصلتين فعلى هذا يكون اذ قال معمولا لمحذوف أى اذكر وقت قول ربك للملائكة وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعلى هذا فالضمير عائد الى ما يذكره عما قريب والمعنى ما أحكيه خبر له شأن لانه مستفاد من الوحى وقوله اذ قال بدل من اذ يختصمون والملأ الأعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كأنهم قالوا هؤلاء فيما بينهم ثم خاطبوا بها الله سبحانه فلا يلزم أن يكون الله تعالى من الملأ الأعلى ويثبت له مكان أو نقول المراد علو الرتبة والشرف فيشمل تقاول الله وملائكته وقال جار الله كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول فى الحقيقة هو الملك المتوسط وقصة آدم مذكورة فى البقرة وفى غيرها مشروحة والتى فى هذه السورة يوافق أكثرها ما فى الحجر فلا فائدة

فى اعادتها فلنذكر ما يختص بالمقام قوله (خلقت بيدى) كلام المجسمة فيه ظاهر وغيرهم حملوه على وجوه منها أن اليد عبارة عن القدرة يقال
مالى بهذا الأمر يد أى قوة وطاقة ومنها  أنها النعمة ومنها أنها للتأكيد وليدل على عدم الواسطة كما مر فى قوله مما عملت أيدينا

يقول ففى إخبارى لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله وتنزيل من عنده لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندى قبل نزول هذا القرآن ولا هو مما شاهدته فعاينته ولكنى علمت ذلك باخبار الله اياى به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون قال الملأ الأعلى الملائكة حين شووروا فى خلق آدم فاختصموا فيه وقالوا لا تجعل فى الأرض خليفة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى بالملأ الأعلى اذ يختصمون هو اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لى من علم بالملأ الأعلى قال هم الملائكة كانت خصومتهم فى شأن آدم حين قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين حتى بلغ ساجدين وحين قال انى جاعل فى الأرض خليفة حتى بلغ ويسفك الدماء ففى هذا اختصم الملأ الأعلى وقوله ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قريش ما يوحى الله الى علم ما لا علم لى به من نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم فى أمر آدم اذ أراد خلقه الا لأنى انما أنا نذير مبين فانما على هذا التأويل فى موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذى ذكرنا لا بد له من حرف خافض فسواء اسقاط خافضه منه واثباته وأما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب اذا أسقط منه الخافض فانه على مذهبه نصب وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر وهو أن يكون معناه ما يوحى الله الا انذاركم واذا وجه الكلام الى هذا المعنى كانت أنما فى موضع رفع لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى ما يوحى الى الا الانذار قوله الا أنما أنا نذير مبين يقول الا أنى نذير لكم مبين لكم انذاره اياكم وقيل الا أنما أنا ولم يقل الا أنما أنك والخبر من محمد عن الله لأن الوحى قول فصار فى معنى الحكاية كما يقال فى الكلام أخبرونى أنى مسئ وأخبرونى أنك مسئ بمعنى واحد كما قال الشاعر

رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلا عريانا

بمعنى أخبرانا أنهما رأيا وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين﴾ وقوله اذ قال ربك من صلة قوله اذ يختصمون وتأويل الكلام ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون حين قال ربك يا محمد للملائكة انى خالق بشرا من طين يعنى بذلك خلق آدم وقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى يقول تعالى ذكره فاذا سويت خلقه وعدلت صورته ونفخت فيه من روحى قيل عنى بذلك ونفخت فيه من قدرتى ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك ونفخت فيه من روحى قال من قدرتى فقعوا له ساجدين يقول فاسجدوا له وخروا له سجدا وقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون يقول تعالى ذكره فلما سوى الله خلق ذلك البشر وهو آدم ونفخ فيه من روحه سجد له الملائكة كلهم أجمعون يعنى بذلك الملائكة الذين هم فى السموات

والارض

وقد يقال فى حق من جنى بلسانه وان لم يكن له يد هذا مما كسبت يداك والحق فيه أن السلطان العظيم لا يقدر على عمل شئ بيديه الا اذا كانت عنايته مصروفة الى ذلك العمل بحيث كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازا عنها ومنها قول أرباب التأويل انه اشارة الى صفتى اللطف والقهر وهما يشملان جميع الصفات فلا مخلوق الا وهو مظهر لاحدى الصفتين كالملك فانه مظهر اللطف وكالشيطان فانه مظهر القهر الا الانسان فانه مظهر لكلتيهما وبذلك استحق الخلافة ومسجودية الملائكة ولهذا جاء فى الأحاديث القدسية لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان قوله (أستكبرت أم كنت من العالين) أى أطلبت الكبر من غير استحقاق أم كنت ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أو لم تزل منذ كنت من المتكبرين ومعنى الهمزة التقرير قوله (فالحق) من قرأ بالرفع فعلى أنه خبر لمبتدأ أو مبتدأ محذوف الخبر مثل لعمرك أى فالحق قسمى لأملأن والحق أقوله وهو اعتراض ومن نصبهما فعلى أن الثانى تأكيد للاول أو على أن الأول للاغراء أى اتبعوا الحق وهو الله سبحانه أو الحق الذى هو نقيض الباطل وقوله (منك) أى من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) أى من ذرية آدم و(أجمعين) تأكيد للتابعين والمتبوعين ثم ختم السورة بما يدل على الاحتياط والاجتهاد فى طلب هذا الدين لأن النظر اما الى الداعى أو الى المدعو اليه أما الداعى فلا يسأل أجرا على ما يدعو اليه وهو القرآن أو الوحى أو [illegible] ومن الظاهر

والأرض الا ابليس استكبر يقول غير ابليس فانه لم يسجد استكبر عن السجود له تعظما وتكبرا وكان من الكافرين يقول وكان بتعظمه ذلك وتكبره على ربه ومعصيته أمره ممن كفر فى علم الله السابق فجحد ربوبيته وأنكر ما عليه الاقرار له به من الاذعان له بالطاعة كما حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر فى الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال قال ابن عباس كان فى علم الله من الكافرين

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يقول تعالى ذكره قال الله لابليس اذ لم يسجد لآدم وخالف أمره يا ابليس ما منعك أن تسجد يقول أى شئ منعك من السجود لما خلقت بيدى يقول لخلق يدى يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبيد المكتب قال سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر قال خلق الله أربعة بيده العرش وعدن والقلم وآدم ثم قال لكل شئ كن فكان وقوله أستكبرت يقول لابليس تعظمت عن السجود لآدم فتركت السجود له استكبارا عليه ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك أم كنت من العالين يقول أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك قال أنا خير منه خلقتنى من نار يقول جل ثناؤه قال ابليس لربه فعلت ذلك فلم أسجد للذى أمرتنى بالسجود له لأنى خير منه وكنت خيرا منه لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار تأكل الطين وتحرقه فالنار خير منه يقول لم أفعل ذلك استكبارا عليك ولا لأنى كنت من العالين ولكنى فعلته من أجل أنى أشرف منه وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأبوا الانقياد له واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارا عن أن يكونوا تبعا لرجل منهم حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا وهل هذا الا بشر مثلكم فقص عليهم تعالى ذكره قصة ابليس واهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه من أجل أنه خلق من نار وخلق آدم من طين حتى صار شيطانا رجيما وحقت عليه من الله لعنته محذرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد وتكذيبهم اياه فيما جاءهم به من عند الله حسدا وتعظما من اللعن منه والسخط ما استحقه ابليس بتكبره عن السجود لآدم

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) يقول تعالى ذكره لابليس فاخرج منها يعنى من الجنة فانك رجيم يقول فانك مرجوم بالقول مشتوم ملعون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاخرج منها فانك رجيم قال والرجيم اللعين حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك بمثله وقوله وان عليك لعنتى يقول وان لك طردى من الجنة الى يوم الدين يعنى الى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون يقول تعالى ذكره قال ابليس لربه رب فاذ لعنتنى وأخرجتنى من جنتك فأنظرنى يقول فأخرنى فى الأجل ولا تهلكنى الى يوم يبعثون يقول الى يوم تبعث خلقك من قبورهم

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) يقول تعالى ذكره قال الله لابليس فانك ممن أنظرته الى يوم الوقت المعلوم وذلك الوقت الذى جعله الله أجلا لهلاكه وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين يقول تعالى ذكره قال ابليس فبعزتك أى بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك

---

أن الكذاب لاينقطع طمعه عن طلب المال البتة وأما المدعو اليه فقوله (وما أنا من المتكلفين) الذين ينتحلون ماليس عندهم ولادليل لهم على وجوده بل العقل الصريح يشهد بصحته فانى أدعوكم الى الاقرار بالله أولا  ثم الى تنزيهه عما لايليق به ثانيا ثم الى وصفه بنعوت الجمال والجلال ثالثا ومن جملة ذلك التوحيد ونفى الانداد والأضداد ثم أدعو الى تعظيم الأرواح الطاهرة وهم الملائكة والأنبياء رابعا ثم الى الشفقة على خلق الله خامسا ثم أدعوا الى الاقرار بالبعث والقيامة سادسا ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فهذه أصول معتبرة فى دين الاسلام يشهد بحسنها بداية العقول ويحكم ببعدها عن الباطل كل من يرجع الى محصول وهو المراد بقوله (ان هو الا ذكر للعالمين) عن النبى صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالاينال ويقول مالايعلم (ولتعلمن نبأه بعد حين) أى خبر حقيقة القرآن وما أدعو اليه بعد حين هو الموت لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقيل هو القيامة وقيل هو حين ظهور الاسلام ولايخفى مافيه من التهديد

* (سورة الزمر مكية الاثلاث آيات نزلت فى وحشى بن حرب وأصحابه ياعبادى الذين أسرفوا الى آخرهن حروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية وكلمها ألف ومائة وسبعون آياتها ٧٥) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لايهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث
ذلكم الله ربكم له الملك لا إله الا هو فأنى تصرفون  ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه
لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم
الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون إنه عليم بذات الصدور
واذا مس الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى
ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل
لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع
بكفرك قليلا انك من أصحاب النار
أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل
هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب
قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة
وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب قل انى أمرت
أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت
لأن أكون أول المسلمين قل انى
أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى
فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو
الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذلك
يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون
والذين اجتنبوا الطاغوت أن
يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى
فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت
تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف
مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله
لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه يعنى
مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم

لأغوينهم أجمعين يقول لأضلن بنى آدم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته منهم لعبادتك وعصمته من اضلالى فلم تجعل لى عليه سبيلا فانى لا أقدر على اضلاله واغوائه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين قال علم عدو الله أنه ليست له عزة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله قال فالحق والحق أقول فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق الأول ونصب الثانى وفى رفع الحق الأول اذا قرئ كذلك وجهان أحدهما رفعه بضمير لله الحق أو أنا الحق وأقول الحق والثانى أن يكون مرفوعا بتأويل قوله لأملأن فيكون معنى الكلام حينئذ فالحق أن أملأ جهنم منك كما يقول عزمة صادقة لآتينك فرفع عزمة بتأويل لآتينك لأن تأويله أن آتيك كما قال ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه فلا بد لقوله بدا لهم من مرفوع وهو مضمر فى المعنى وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحق الأول والثانى كليهما بمعنى حقا لأملأن جهنم والحق أقول ثم أدخلت الألف واللام عليه وهو منصوب لأن دخولهما اذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء كما سواء قولهم حمدا لله والحمد لله عندهم اذا نصب وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الاغراء بمعنى الزموا الحق واتبعوا الحق والأول أشبه لأنه خطاب من الله لابليس بما هو فاعل به وبتباعه * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما وأما الحق الثانى فلا اختلاف فى نصبه بين قراء الامصار كلهم بمعنى وأقول الحق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد فى قوله فالحق والحق أقول يقول الله أنا الحق والحق أقول وحدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد فالحق والحق أقول يقول الله الحق منى وأقول الحق حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال ثنا أبان بن تغلب عن طلحة اليامى عن مجاهد أنه قرأها فالحق بالرفع والحق أقول نصبا وقال يقول الله أنا الحق والحق أقول حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الحق والحق أقول قال قسم أقسم الله به وقوله لأملأن جهنم منك يقول لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك من بنى آدم أجمعين وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك القائلين لك أأنزل عليه الذكر من بيننا ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذى أتيتكم به من عند الله أجرا يعنى ثوابا وجزاء وما أنا من المتكلفين يقول وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه فتقولون ان هذا الا افك افتراه وان هذا إلا اختلاق كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين قال لا أسألكم على القرآن أجرا تعطونى شيئا وما أنا من المتكلفين أتخرص وأتكلف ما لم يأمرنى الله به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين من قومك ان هو

من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله  فماله من هاد أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب

يعنى ما هذا القرآن الا ذكر يقول الا تذكير من الله للعالمين من الجن والانس ذكرهم ربهم ارادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين يقول ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه يعنى نبأ هذا القرآن وهو خبره يعنى حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتعلمن نبأه قال صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به وقيل نبأه حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبى ثم اختلفوا فى مدة الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ما هى وما نهايتها فقال بعضهم نهايتها الموت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتعلمن نبأه بعد حين أى بعد الموت وقال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وقال بعضهم كانت نهايتها الى يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولتعلمن نبأه بعد حين قال يوم بدر وقال بعضهم يوم القيامة وقال بعضهم نهايتها القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتعلمن نبأه بعد حين قال يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة وقرأ لكل نبا مستقر وسوف تعلمون قال وهذا أيضا الآخرة يستقر فيها الحق و يبطل الباطل * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا الى ظهور حقيقته ووضوح صحته فى الدنيا ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر وقبل ذلك ولا حد عند العرب للحين لا يجاوز ولا يقصر عنه فاذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب قال قال عكرمة سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا الى حين فقلت ان من الحين حينا لا يدرك ومن الحين حين يدرك فالحين الذى لا يدرك قوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحين الذى يدرك قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها وذلك من حين تصرم النخلة الى حين تطلع وذلك ستة أشهر

آخر تفسير سورة ص

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيل الكتاب الذى نزلناه عليك يا محمد من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه لا من غيره فلا

يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾

القرا آت يرضه بالاشباع ابن كثير وعلى والمفضل وعباس واسماعيل وابن ذكوان وخلف يرضه باختلاس ضمة الهاء يزيد وسهل و يعقوب ونافع وعاصم غير يحيى وحماد والمفضل وحمزة وهشام وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون يرضه بسكون الهاء ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو و يعقوب الباقون بالضم أمن هو بتخفيف الميم نافع وابن كثير وحمزة وأبو زيد يا عبادى الذين بفتح الياء الشمونى والبرجمى والوقف بالياء انى أمرت فبشر عبادى بفتح ياء المتكلم فيهما شجاع وأبو شعيب وعباس والشمونى والبرجمى والوقف بالياء انى أخاف بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو سالما بالالف ابن كثير وأبو عمرو والآخرون بفتح السين واللام من غير ألف ۞ الوقوف الحكيم ه

له الدين ه ط الخالص ط أولياء ه التقدير 
يقولون ولو وصل لأوهم أن ما نعبدهم اخبار من الله قاله السجاوندى وعندى أن هذا وهم بعيد والاولى أن لا يوقف لئلا يفصل بين المبتدا

وخبره زلفى ج لاحتمال أن خبر المبتدا هو ما بعده يختلفون ٥ ط كفار ٥ ما يشاء ز لتعجيل التنزيه سبحانه ط القهار ٥ ز بالحق ج لاحتمال كون ما بعده حالا والاستئناف  أفضل والقمر ط مسمى ط الغفار ٥ أزواج ط ثلاث ط الملك ط

تكونن فى شك من ذلك و رفع قوله تنزيل بقوله من الله وتأويل الكلام من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب وجائز رفعه باضمار هذا كما قيل سورة أنزلناها غير أن الرفع فى قوله تنزيل الكتاب بما بعده أحسن من رفع سورة بما بعدها لان تنزيل وان كان فعلا فانه الى المعرفة أقرب اذ كان مضافا الى معرفة فحسن رفعه بما بعده وليس ذلك بالحسن فى سورة لأنه نكرة وقوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا اليك يا محمد الكتاب يعنى بالكتاب القرآن بالحق يعنى بالعدل يقول أنزلنا اليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين لأن الدين له لا للاوثان التى لا تملك ضرا ولا نفعا * و بنحو الذى قلنا فى معنى قوله الكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق يعنى القرآن وقوله فاعبد الله مخلصا له الدين يقول تعالى ذكره فاخشع لله يا محمد بالطاعة وأخلص له الألوهة وأفرده بالعبادة ولا تجعل له فى عبادتك اياه شريكا كما فعلت عبدة الأوثان * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفى صحيفته أمثال الجبال من الحسنات فيقول رب العزة جل وعز صليت يوم كذا وكذا ليقال صلى فلان أنا الله لا اله الا أنا لى الدين الخالص صمت يوم كذا وكذا ليقال صام فلان أنا الله لا اله الا أنا لى الدين الخالص تصدقت يوم كذا وكذا ليقال تصدق فلان أنا الله لا اله الا أنا لى الدين الخالص فما يزال يمحو شيأ بعد شئ حتى تبقى صحيفته ما فيها شئ فيقول ملكاه يا فلان ألغير الله كنت تعمل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله مخلصا له الدين فالتوحيد والدين منصوب بوقوع مخلصا عليه وقوله ألا لله الدين الخالص يقول تعالى ذكره ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له خالصة لا شرك لأحد معه فيها فلا ينبغى ذلك لأحد لأن كل ما دونه ملكه وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيأ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا لله الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وقوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول تعالى ذكره والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم و يعبدونهم من دون الله يقولون لهم ما نعبدكم أيها الآلهة الا لتقربونا الى الله زلفى قربة ومنزلة وتشفعوا لنا عنده فى حاجاتنا وهى فيما ذكر فى قراءة أبى ما نعبدكم وفى قراءة عبد الله قالوا ما نعبدهم وانما حسن ذلك لأن الحكاية اذا كانت بالقول مضمرا كان أو ظاهرا جعل الغائب أحيانا كالمخاطب و يترك أخرى كالغائب وقد بينت ذلك فى موضعه فيما مضى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال هى فى قراءة عبد الله قالوا ما نعبدهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قريش تقوله للاوثان ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قالوا ما نعبد هؤلاء الا ليقربونا الا ليشفعوا لنا عند الله حدثنا

تصرفون ٥ الكفر ج لعطف جملتى الشرط مع وقوع العارض لكم ط أخرى ط لأن ثم لترتيب الاخبار تعملون ٥ الصدور ٥ سبيله ط قليلا ز ص والاولى الوصل أو التقدير فانك النار ٥ رحمة ربه ط لا يعلمون ٥ الألباب ٥ ربكم ط حسنة ط واسعة ط حساب ٥ له الدين ٥ ط المسلمين ٥ عظيم ٥ دينى ٥ لا دونه ط يوم القيامة ط المبين ٥ ومن تحتهم ظلل ط عباده ط فاتقون ٥ البشرى ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب عباد ٥ لا احسنه ط الالباب ٥ العذاب ٥ فى النار ٥ ج للآية مع الاستدراك مبنية لا لأن ما بعده وصف الأنهار ط وعد الله ط الميعاد ٥ حطاما ط الالباب ٥ من ربه ط لحذف جواب الاستفهام من ذكر الله ط مبين ٥ ربهم ج لان الجملة ليست من صفة الكتاب مع العطف ذكر الله ط من يشاء ط هاد ٥ يوم القيامة ط لحق الحذف كما مر تكسبون ٥ لا يشعرون ٥ الدنيا ج للام الابتداء مع العطف أكبر ٥ يعلمون ٥ يتذكرون ٥ ج لاحتمال كون قرآنا نصبا على المدح أو على الحال المؤكدة كما يجىء يتقون ٥ متشاكسون ٥ لرجل ط مثلا ط الله ج للاضراب مع اتفاق الجملتين لا يعلمون ٥ ميتون ٥ تختصمون ٥ ﴿التفسير﴾ (تنزيل الكتاب) مبتدأ وخبره (من الله) وقيل أصله هذا تنزيل الكتاب والجار صلة والاولى أقوى لان الاضمار خلاف الاصل ولأنه يلزم مجاز آخر وهو كون التنزيل بمعنى المنزل فان هذا اشارة الى القرآن أو الى جزء منه وهو هذه السورة وفيه ابطال ما يقوله المشركون من ان محمدا يقوله

محمد

بن تلقاء نفسه وفي قوله من الله اشارة الى الذات المستحق للعبادة والطاعة كقولك هذا كتاب من فلان تعظم به شأن الكتاب وفي قوله (العزيز) اشارة الى أن هذا الكتاب يحق قبوله فكتاب العزيز عزيز وفيه أنه غني  عن ارسال الكتاب والاستكمال به وانما ينتفع

محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى قال هي منزلة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى ٣ وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى قال قالوا هم شفعاؤنا عند الله وهم الذين يقربونا الى الله زلفى يوم القيامة للاوثان والزلفى القرب وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها بأن يصليهم جميعا جهنم الا من أخلص الدين لله فوحده ولم يشرك به شيئا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله لايهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله لايهدى الى الحق ودينه الاسلام والاقرار بوحدانيته فيوفقه له من هو كاذب مفتر على الله يتقول عليه الباطل ويضيف اليه ماليس من صفته ويزعم أن له ولدا افتراء عليه كفار لنعمه جحود لربوبيته وقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا يقول تعالى ذكره لو شاء الله اتخاذ ولد ولا ينبغي له ذلك لاصطفى مما يخلق ما يشاء يقول لاختار من خلقه ما يشاء وقوله سبحانه هو الله الواحد القهار يقول تنزيها لله عن أن يكون له ولد وعما أضاف اليه المشركون به من شركهم هو الله يقول هو الذي يعبده كل شئ ولو كان له ولد لم يكن له عبدا يقول فالاشياء كلها له ملك فأنى يكون له ولد وهو الواحد الذي لاشريك له في ملكه وسلطانه والقهار لخلقه بقدرته فكل شئ له متذلل ومن سطوته خاشع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾ يقول تعالى ذكره واصفا نفسه بصفتها خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يقول يغشى هذا على هذا وهذا على هذا كما قال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يقول يحمل الليل على النهار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يكور الليل على النهار قال يدهوره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال يغشى هذا هذا ويغشى هذا هذا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال يجيء بالنهار ويذهب بالليل ويجيء بالليل ويذهب بالنهار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل حين يذهب بالليل ويكور النهار عليه ويذهب بالنهار ويكور الليل عليه وقوله وسخر الشمس والقمر يقول تعالى ذكره وسخر الشمس والقمر لعباده ليعلموا بذلك عدد

به المرسل اليهم وفي قوله (الحكيم) اشارة الى أنه مشتمل على الفوائد الدينية والدنيوية لا على العبث والباطل وقوله (انا أنزلنا اليك) ليس تكرارا من وجهين أحدهما أن التنزيل للتدريج والانزال دفعي كما مر مرارا والثاني أن الاول كعنوان الكتاب والثاني يقرر ما في الكتاب وقوله (بالحق) يعني أن كل ما أودعنا فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف فهو حق وصدق مؤيد بالبرهان العقلي وهو مطابقته للعقول الصحيحة وبالدليل الحسي وهو أن الفصحاء عجزوا عن معارضته ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الاقبال على عبادته بالاخلاص والالتفات عما سواه بالكلية أما الاول فهو قوله (فاعبد الله) أي أنت أو أمتك (مخلصا له الدين) وآية الاخلاص أن يكون الداعي الى العبادة هو مجرد الامر لا طلب مرغوب أو هرب مكروه وأما الثاني فذلك قوله (ألا لله الدين الخالص) أي واجب اختصاصه بالطاعة من غير أن يشوب ذلك دعاء أو شرك ظاهر وخفي وخصصه قتادة فقال الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وحين حث على التوحيد والاخلاص ذم طريقة الشرك والتقليد فقال (والذين اتخذوا) الضمير للمشركين ولكن الموصول يحتمل أن يكون عبارة عن المشركين والخبر ما أضمر من القول أو قوله ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال أو بدل فلا يكون له محل كالمبدل وأن يكون عبارة عن الشركاء والخبر ان الله يحكم بينهم والقول المضمر للحال أو بدل وتقدير الكلام على الاول والمشركون الذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا أو المشركون الذين اتخذوا من دونه أولياء قائلين أو يقولون ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم وعلى الثانى والشركاء الذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين أو يقولون كذا ان الله يحكم بينهم واذا عرفت التقادير فنقول المراد بالاولياء ههنا الملائكة وعيسى واللات والعزى قال ابن عباس كانوا يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله أما الملائكة وعيسى فظاهر وأما الاصنام فلانهم اعتقدوا أنها تماثيل الكواكب والارواح السماوية أو الصالحين ومعنى حكم الله بينهم أنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم مع الاصنام النار واختلافهم أن الملائكة وعيسى موحدون وهم مشركون والاصنام يكفرون يوم القيامة بشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم ويجوز أن يرجع الضمير فى بينهم الى الفريقين المؤمن والمشرك ولا يخفى ما فى الآية من التهديد ثم سجل عليهم بالخذلان والحرمان فقال (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) فكذبهم هو زعمهم شفاعة الأصنام وكفرانهم أنهم تركوا عبادة المنعم الحق وأقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن جملة كذبهم قولهم الملائكة بنات الله فلذلك نعبد صورها فاحتج على ابطال معتقدهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) وهو الأفضل يعنى البنين لا الأنقص وهن البنات وقال جار الله معناه لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملائكة لأن اتخاذ الولد ممتنع وفيه توبيخ لهم على أنهم حسبوا الاصطفاء اتخاذ الأولاد بل البنات وأقول انه تعالى أراد ابطال قولهم بطريق برهان وهو صورة قياس استثنائى كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى لأجل الاتخاذ مما يخلق ما يشاء لكنه ما اصطفى ينتج أنه لم يرد أما الشرطية فظاهرة بعد تسليم كمال قدرته وأما الثانية فاشار اليها بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فقوله سبحانه اشارة الى استحالة اصطفائه شيأ لأجل اتخاذ الولد وقوله هو الله الواحد القهار اشارة الى البرهان

الانعام

---

السنين والحساب ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم كل يجرى لأجل مسمى يقول كل ذلك يعنى الشمس والقمر يجرى لأجل مسمى يعنى الى قيام الساعة وذلك الى أن تكور الشمس وتنكدر النجوم وقيل معنى ذلك أن لكل واحد منهما منازل لا تعدوه ولا تقصر دونه ألا هو العزيز الغفار يقول تعالى ذكره ألا ان الله الذى فعل هذه الافعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز فى انتقامه ممن عاداه الغفار لذنوب عباده التائبين اليه منها بعفوه لهم عنها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون﴾ يقول تعالى ذكره خلقكم أيها الناس من نفس واحدة يعنى من آدم ثم جعل منها زوجها يقول ثم جعل من آدم زوجه حواء وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم ثم خلق منها زوجها حواء خلقها من ضلع من أضلاعه فان قال قائل وكيف قيل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانما خلق ولد آدم من آدم وزوجته ولا شك أن الوالدين قبل الولد فان فى ذلك أقوالا أحدها أن يقال قيل ذلك لأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج كل نسمة هى كائنة الى يوم القيامة ثم أسكنه بعد ذلك الجنة وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه فهذا قول والآخر أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين فيرد الأول منهما فى المعنى بثم اذا كان من خبر المتكلم كما يقال قد بلغنى ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس أعجب فذلك نسق من خبر المتكلم والوجه الآخر أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها فيكون فى واحدة معنى خلقها وحدها كما قال الراجز

أعددته للخصم ذى التعدّى * كوّحته منك بدون الجهد

بمعنى الذى اذا تعدى كوّحته ومعنى كوّحته غلبته والقول الذى يقوله أهل العلم أولى بالصواب وهو القول الأول الذى ذكرت أنه يقال ان الله أخرج ذرية آدم من صلبه قبل أن يخلق حواء وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية وقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يقول تعالى ذكره وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الابل زوجين ومن البقر زوجين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين كما قال جل ثناؤه ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من الأنعام ثمانية أزواج قال من الابل والبقر والضأن والمعز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين من كل واحد زوج حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنزل لكم من

الأنعام ثمانيـة أزواج يعنى من المعز اثنين ومن الضأن اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين وقوله يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق يقول تعـالى ذكره يبتدئ خلقكم أيها الناس فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وذلك أنه يحدث فيها نطفة ثم يجعلها علقة ثم مضـغة ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئه خلقا آخر تبارك الله وتعالى فذلك خلقه اياه خلقا بعد خلق كما حدثنا ابن بشار قال ثنـا عبـد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك عن عكرمة يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال نطفة ثم علقة ثم مضغة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله خلقا من بعد خلق قال نطفة ثم ما يتبعها حتى تم خلقه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم أنبت الشعر أطوار الخلق حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال يعنى بخلق بعد الخلق علقة ثم مضغة ثم عظاما حدثنا محمد قال ثنا أحمـد قال ثنا أسـباط عن السـدى فى قوله يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق قال يكونون نطفا ثم يكونون علقا ثم يكونون مضغا ثم يكونون عظاما ثم ينفخ فيهم الروح حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ❊ وقال آخرون بل معنى ذلك يخلقكم فى بطون أمهاتكم من بعـد خلقـه اياكم فى ظهر آدم قالوا فـذلك هو الخلق من بعـد الخلق ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يخلقكم فى بطون أمهاتـكم خلقا من بعـد خلق قال خلقا فى البطون من بعـد الخلق الأول الذى خلقهم فى ظهر آدم ❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى قاله عكرمة ومجاهد ومن قال فى ذلك مثـل قولهما لأن الله جل وعز أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق فى بطون أمهاتنا فى ظلمات ثلاث ولم يخـبر أنه يخلقنا فى بطون أمهاتنا من بعـد خلقنا فى ظهر آدم وذلك نحو قوله ولقد خلقنا الانسان من سـلالة من طين ثم جعلنا نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقـة الآية وقوله فى ظلمات ثلاث يعنى فى ظلمـة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمـة فى ظلمات ثلاث قال الظلمات الثـلاث البطن والرحم والمشـيمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك عن عكرمة فى ظلمات ثلاث قال البطن والمشيمة والرحم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى ظلمات ثلاث قال يعنى بالظلمات الثلاث بطن أمه والرحم والمشـيمة حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد قوله فى ظلمات ثلاث قال البطن والرحم والمشيمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة فى ظلمات ثلاث المشيمة والرحم والبطن حدثنا محمد قال ثنا أحمـد قال ثنا أسـباط عن السـدى فى ظلمات ثلاث قال ظلمة المشيمة

---

على استحالة ذلك وتقريره من ثلاثة أوجه الأول أنه هو الله وهو اسم للمعبود الواجب الذات الجامع لجميع نعوت الجمـال والجلال واتخاذ الولد يدل على الحاجة والفقر حتى يقوم الولد بعده مقامه أو على الاستئناس والالتذاذ بوجوده أو لغير ذلك من الاغراض وكل ذلك ينـافى الوجوب الذاتى والاسـتغناء المطلق الثانى أنه هو الواحد الحقيقى كما مر ذكره مرارا والولد انما يحصل من جزء من أجزاء الوالد ومن شرطه أن يكون ممـاثلا لوالده فى تمـام المـاهية حـتى تكون حقيقة الوالد حقيقة نوعية محمولة على شخصـين ويكون تعين كل منهما معلوما لسبب منفصل وكل ذلك ينافى التعين الذاتى والوحدة المطلقة وأيضا ان حصول الولد من الزوج يتوقف على الزوجة عادة وهى لابد أن تكون من جنس الزوج فلا يكون الزوج ممـا ينحصر نوعه فى شخصه الثالث أنه هو القهار والمحتاج الى الولد هو الذى يموت فيقوم الولد مقامه والميت مقهور لا قاهر فثبت بهـذه الدلائل أنه تعالى ما اصطفى شيئا لان يتخذه ولدا فصـح أنه لم يرد ذلك ونفى ارادة الاتخاذ أبلغ من نفى الاتخاذ فقد يراد ولا يتخذ لمـانع كعجزه ونحوه هـذا ما وصـل اليه فهمى فى تفسير هذه الآية والله تعالى أعلم بأسرار كلامه وحين طعن فى الهية الأصنام عدد الصفات التى بها يستدل على الالهية الحقـة وهى أصنـاف أولها قوله (خالق السموات والارض بالحق) اى متلبسا بالغـاية الصحيحة وقد مر مرارا الثانى (يكور الليل على النهار) والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسـه وكورهـا وفى التشبيه أوجه منها أن الليـل والنهار متعاقبان اذا غشى أحدهما مكان الآخر فكأنما ألبسه ولف عليه ومنها أنه شبه كل منهما اذا غيب صاحبه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن الأبصار ومنها أن كلا منهما يكر على الآخر كرورا متتابعا كتتابع أكوار العمامة وقيل أراد أنه يزيد فى كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر من قوله صـلى الله عليه وسـلم نعوذ بالله من الحور بعد الكور

وظلمة الرحم وظلمة البطن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى ظلمات ثلاث قال المشيمة فى الرحم والرحم فى البطن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى ظلمات ثلاث الرحم والمشيمة والبطن والمشيمة التى تكون على الولد اذا خرج وهى من الدواب السلى وقوله ذلكم الله ربكم يقول تعالى ذكره هذا الذى فعل هذه الافعال أيها الناس هو ربكم لا من لا يجلب لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ولا يسوق اليكم خيرا ولا يدفع عنكم سوأ من أوثانكم وآلهتكم وقوله له الملك يقول جل وعز لربكم أيها الناس الذى صفته ما وصف لكم وقدرته ما بين لكم الملك ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره فأما ملوك الدنيا فانما يملك أحدهم شيأ دون شئ فانما له خاص من الملك وأما الملك التام الذى هو الملك بالاطلاق فلله الواحد القهار وقوله لا اله الا هو فأنى تصرفون يقول تعالى ذكره لا ينبغى أن يكون معبود سواه ولا تصلح العبادة الا له فأنى تصرفون يقول تعالى ذكره فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم الذى هذه الصفة صفته الى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأنى تصرفون قال كقوله تؤفكون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فأنى تصرفون قال للمشركين أنى تصرف عقولكم عن هذا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر فقال بعضهم ذلك لخاص من الناس ومعناه ان تكفروا أيها المشركون بالله فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر يعنى الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم فيقولوا لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم عباده المخلصون الذين قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة أن لا اله الا الله وحببها اليهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولا يرضى لعباده الكفر قال لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا * وقال آخرون بل ذلك عام لجميع الناس ومعناه أيها الناس ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لكم أن تكفروا به والصواب من القول فى ذلك ما قال الله جل وعز ان تكفروا بالله أيها الكفار به فان الله غنى عن ايمانكم وعبادتكم اياه ولا يرضى لعباده الكفر بمعنى ولا يرضى لعباده أن يكفروا به كما يقال لست أحب الظلم وان أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب وقوله وان تشكروا يرضه لكم يقول وان تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له وذلك هو ايمانهم به وطاعتهم اياه فكنى عن الشكر ولم يذكر وانما ذكر الفعل الدال عليه وذلك نظير قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا بمعنى فزادهم قول الناس لهم ذلك ايمانا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط

من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) وهما آيتان أولهما تشعيب الخلق الفائت للحصر من نفس آدم والثانية خلق حواء من ضلعه ومعنى ثم ترتيب الأخبار لأن الأولى عادة مستمرة دون الثانية اذ لم يخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل فى كونها آية وأجلب لعجب السامع وقيل هو متعلق بواحدة فى المعنى كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة ثم شفعها الله بزوج منها وقيل انه خلق آدم وأخرج ذريته من ظهره ثم ردهم الى مكانهم ثم خلق بعد ذلك حواء وقيل ثم قد يأتى مع الجملة دالا على التقدم كقوله ثم اهتدى ثم كان من الذين آمنوا وكقوله صلى الله عليه وسلم فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذى هو خير السادس قوله (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أما الأزواج فهى المذكورة فى سورة الأنعام من الضأن اثنين الذكر والأنثى ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وأما وصفها بالانزال فقيل أنزلها من الجنة وقيل أراد انزال ما هو سبب فى وجودها وهو المطر الذى به قوام النبات الذى به يعيش الحيوان وقيل أنزل بمعنى قضى وقسم لأن قضاياه وقسمه مكتوبة فى اللوح ومن هنالك ينزل وفى هذه العبارة نوع فخامة وتعظيم لافادتها معنى الرفعة والاعتلاء ولهذا يقال رفعت القضية الى الأمير وان كان الأمير فى سرب وخصت هذه الأزواج بالذكر لكثرة منافعها من اللبن واللحم والجلد والشعر والوبر والركوب والحمل والحرث وغير ذلك السابع قوله (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) والمقصود ذكر تخليق الحيوان على الاطلاق بعد ذكر تخليق الانسان والأنعام

أسباط عن السدى وان تشكروا يرضه لكم قال ان تطيعوا يرضه لكم وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها ولا تؤاخذ الا باثم نفسها يعلم عز وجل عباده أن على كل نفس ما جنت وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولا تزر وازرة وزر أخرى قال لا يؤخذ أحد بذنب أحد وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره ثم بعد اجتراحكم فى الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ وايمان وكفر أيها الناس الى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم فينبئكم يقول فيخبركم بما كنتم فى الدنيا تعملونه من خير وشر فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم المحسن منكم باحسانه والمسيء بما يستحقه يقول عز وجل لعباده فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم فى الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا فانه لا يخفى عليه عمل عامل منكم وقوله انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار وانما يعنى جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شئ وأنه محص على عباده أعمالهم ليجازيهم بها كى يتقوه فى سر أمورهم وعلانيتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوّله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار﴾ يقول تعالى ذكره واذا مس الانسان بلاء فى جسده من مرض أو عاهة أو شدة فى معيشته وجهد وضيق دعا ربه يقول استغاث بربه الذى خلقه من شدة ذلك ورغب اليه فى كشف ما نزل به من شدة ذلك وقوله منيبا اليه يقول تائبا اليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به واشراك الآلهة والأوثان به فى عبادته راجعا الى طاعته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا مس الانسان ضر قال الوجع والبلاء والشدة دعا ربه منيبا اليه قال مستغيثا به وقوله ثم اذا خوّله نعمة منه يقول تعالى ذكره ثم اذا منحه ربه نعمة منه يعنى عافية فكشف عنه ضره وأبدله بالسقم صحة وبالشدة الرخاء والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره قد خوّله ومنه قول أبى النجم العجلى

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه قال سمعت أبا عمرو يقول فى بيت زهير

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا * وان يسئلوا يعطوا وان ييسروا يغلوا

قال معمر قال يونس انما سمعناه * هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا * قال وهى بمعناها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم اذا خوّله نعمة منه اذا أصابته عافية أو خير وقوله نسى ما كان يدعو اليه من قبل يقول ترك دعاءه الذى كان يدعو الى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر وجعل لله أندادا يعنى شركاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نسى يقول ترك هذا فى الكافر خاصة ولما التى فى قوله نسى ما كان وجهان أحدهما أن يكون بمعنى الذى ويكون معنى الكلام حينئذ ترك الذى

---

الا أنه غلب أولى العقل لشرفهم و يحتمل أن يكون ذكر الانعام اعتراضا حسن موقعه ذكر الأزواج بعد قوله جعل منها زوجها ليعلم أن كل حيوان ذو زوج وترتيب التخليق مذكور مرارا كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله أحسن الخالقين والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله (ربكم له الملك) وقد مر اعرابه فى فاطر (لا اله الا هو) اذ لا موصوف بهذه الصفات الا هو (فأنى تصرفون) أى كيف يعدل بكم عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم بين أنه غنى عن طاعات المطيعين وأنها لا تفيد الا أنفسهم فقال (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) قالت المعتزلة فى قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) دليل على أن الكفر ليس بقضائه والا لكان راضيا به وأجاب الأشاعرة بأنه قد علم من اصطلاح القرآن أن العباد المضاف الى الله أو الى ضميره هم المؤمنون قال وعباد الرحمن الذين يمشون عينا يشرب بها عباد الله فمعنى الآية ولا يرضى لعباده المخلصين الكفر وهذا مما لا نزاع فيه أو نقول سلمنا أن كفر الكافر ليس برضا الله بمعنى أنه لا يمدحه عليه ولا يترك اللوم والاعتراض الا أنا ندعى أنه بارادته وليس فى الآية دليل على ابطاله ثم بين غاية كرمه بقوله (وان تشكروا يرضه لكم) والسبب فى كلا الحكمين ما جاء فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى و باقى الآية مذكور مرارا مع وضوحه ثم حكى نهاية ضعف الانسان وتناقض آرائه بقوله (واذا مس) الى آخره وقد مر نظيره أيضا وقيل ان الانسان هو الكافر الذى تقدم ذكره وقيل أريد أقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره ومعنى خوّله أعطاه لا لاستجرار العوض قال جار الله فى حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتخول أصحابه بالموعظة أى يتعهد ويتكفل أحوالهم

ان راى منهم نشاطا فى الوعظ وعظهم والثانى أنه جعله يخول اى يفتخر كما قيل * ان الغنى طويل الذيل مياس * ومعنى نسى ما كان يدعو اليه نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أونسى ربه الذى كان يتضرع اليه فما بمعنى من والمراد أنه نسى

كان يدعوه فى حال الضر الذى كان به يعنى به الله تعالى ذكره فتكون ما موضوعة عند ذلك موضع من كما قيل ولا أنتم عابدون ما أعبد يعنى به الله وكما قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء والثانى أن يكون بمعنى المصدر على ماذكرت واذا كانت بمعنى المصدر كان فى الهاء التى فى قوله اليه وجهان أحدهما أن يكون من ذكر ما والآخر من ذكر الرب وقوله وجعل لله أندادا يقول وجعل الله أمثالا وأشباها ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى جعلوها فيه له أندادا قال بعضهم جعلوها له أندادا فى طاعتهم اياهم فى معاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وجعل لله أندادا قال الأنداد من الرجال يطيعونهم فى معاصى الله * وقال آخرون عنى بذلك أنه عبد الأوثان فجعلها الله أندادا فى عبادتهم اياها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى به أنه أطاع الشيطان فى عبادة الاوثان فجعل له الاوثان أندادا لأن ذلك فى سياق عتاب الله اياهم على عبادتها وقوله ليضل عن سبيله يقول ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده والاقرار به والدخول فى الاسلام وقوله قل تمتع بكفرك قليلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لفاعل ذلك تمتع بكفرك بالله قليلا الى أن تستوفى أجلك فتأتيك منيتك انك من أصحاب النار أى انك من أهل النار الماكثين فيها وقوله تمتع بكفرك وعيد من الله وتهدد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أمن فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين أمن بتخفيف الميم ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان أحدهما أن يكون الألف فى أمن بمعنى الدعاء يراد بها يا من هو قانت آناء الليل والعرب تنادى بالالف كما تنادى بيا فتقول أزيد أقبل ويا زيد أقبل ومنه قول أوس بن حجر

أبنى لبينى لستم بيد * الا يد ليست لها عضد

واذا وجهت الالف الى النداء كان معنى الكلام قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما انك من أهل الجنة ويكون فى النار عما للفريق الكافر عند الله من الجزاء فى الآخرة الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن اذ كان معلوما اختلاف أحوالهما فى الدنيا ومعقولا أن أحدهما اذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة فحذف الخبر عما له اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره اذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور والثانى أن تكون الالف التى فى قوله أمن ألف استفهام فيكون معنى الكلام أهذا كالذى جعل لله أندادا ليضل عن سبيله ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه اذ كان مفهوما المراد بالكلام كما قال الشاعر

فأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فحذف لدفعناه وهو مراد فى الكلام اذ كان مفهوما عند السامع مراده وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة أمن بتشديد الميم بمعنى أم من هو ويقولون انما هى أمن استفهام اعترض فى الكلام بعد كلام قد مضى فجاء بأم فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام

أن لا مفزع ولا اله سواه وعادالى اتخاذ الأنداد مع الله واللام فى ليضل لام العاقبة ثم هدده بقوله (تمتع بكفرك) كقوله اعملوا ما شئتم وفيه أن الكافر لا يتمتع بالدنيا الا قليلا ثم يؤول الى النار ثم أردفه بشرح حال المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتمادلهم الا على فضله فقال (أمن هو قانت) قال ابن عباس القنوت الطاعة وقال ابن عمر لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام والمشهور أنه الدعاء فى الصلاة والقيام بما يجب عليه من الطاعة وعن قتادة (آناء الليل) أوله ووسطه وآخره وفيه تنبيه على فضل قيام الليل ولا يخفى أنه كذلك لبعده عن الرياء ولمزيد الحضور وفراغ الحواس من الشواغل الخارجية ولأن الليل وقت الراحة فالعبادة فيه أشق على النفس فيكون ثوابه أكثر والواو فى قوله (ساجدا وقائما) للجمع بين الصفتين وفى قوله (يحذر الآخرة) أى عذابها (ويرجو رحمة ربه) اشارة الى أن العابد يتقلب بين طورى القهر واللطف ويتردد بين حالى القبض والبسط ولا يخفى أن فى الكلام حذفا فمن قرأ أمن بالتخفيف فالخبر محذوف والمعنى أمن هو مطيع كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وبيان عدم الاستواء بين العالم والجاهل بعده ومن قرأ بالتشديد فالمحذوف جملة استفهامية والمذكور معطوف على المبتدا والمعنى هذا أفضل أمن هو قانت وقيل الهمزة على قراءة التخفيف للنداء كما تقول فلان لا يصلى ولا يصوم فيا من تصلى وتصوم ابشر وقيل متروكا المنادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله (قل هل يستوى الذين يعلمون) الآية قال جار الله أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم

وهم القانتون فكأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا و يجوز أن يراد على وجه التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون قيل نزلت في عمار بن ياسر وأمثاله والظاهر العموم وفي قوله (إنما يتذكر أولو الألباب) اشارة الى أن هذا التفاوت العظيم بين العالم والجاهل لا يعرفه الا أرباب العقول كما قيل

انما يعرف ذا الفضـ ـل من الناس ذووه

وقيل لبعض العلماء انكم تزعمون أن العلم أفضل من المال ونحن نرى العلماء مجتمعين على أبواب الملوك دون العكس فأجاب بأن هذا ايضا من فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فتركوه وحين بين عدم الاستواء بين من يعلم و بين من لا يعلم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام النوع الاول (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) قال أهل السنة أمر المؤمنين أن يضموا الى الايمان التقوى وفيه دلالة على أن الايمان يبقى مع المعصية وقالت المعتزلة أمرهم بالتقوى لكيلا يحبطوا ايمانهم بارتكاب الكبائر بل يزيدوا في الايمان حتى يتصفوا بصفة الاتقاء ثم بين للمؤمنين فائدة الاتقاء قائلا (للذين أحسنوا) الآية وقوله (في هذه الدنيا) إما أن يكون صلة لما قبله أو صلة لما بعده وهو قول السدي ومعناه على الاول الذين أحسنوا في هذه الدنيا لهم حسنة في الآخرة وهي الجنة والتنكير للتعظيم أي حسنة لا يصل العقل الى كنهها وعلى الثاني الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة قال جار الله فالظرف بيان لمكان الحسنة ويحتمل أن يقال انه نصب على الحال لأنه نعت للنكرة قدم عليها والقائلون بهذا القول فسروا الحسنة بالصحة والعافية وضم بعضهم اليها الامن والكفاية ورجح الاول بأن هذه الامور قد تحصل للكفار على الوجه الأتم فكيف تجعل جزاء المؤمن المتقي وقيل هي الثناء الجميل وقيل الظفر والغنيمة وقيل نور القلب و بهاء الوجه وفي قوله (وأرض الله واسعة) اشارة الى أن أسباب التقوى ان لم تتيسر في أرض وجبت المهاجرة الى أرض يتيسر ذلك فيها فيكون كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وعن أبي مسلم هي أرض الجنة لانه حين بين

---

متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر وما أعد له في الآخرة ثم أتبع الخبر عن فريق الايمان فعلم بذلك المراد فاستغنى بمعرفة السامع بمعناه من ذكره اذ كان معقولا أن معناه هذا أفضل أم هذا والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والاعراب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل في معنى القانت بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل في ذلك في هذا الموضع ليعلم الناظر في الكتاب اتفاق معنى ذلك في هذا الموضع وغيره فكان بعضهم يقول هو في هذا الموضع قراءة القارئ قائما في الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى عن عبيد الله أنه قال أخبرني نافع عن ابن عمر أنه كان اذا سئل عن القنوت قال لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام وقرأ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما * وقال آخرون هو الطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أمن هو قانت يعني بالقنوت الطاعة وذلك أنه قال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون الى كل له قانتون قال مطيعون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما قال القانت المطيع وقوله آناء الليل يعني ساعات الليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمن هو قانت آناء الليل أوله وأوسطه وآخره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي آناء الليل قال ساعات الليل وقد مضى بياننا عن معنى الآناء بشواهده وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ساجدا وقائما يقول يقنت ساجدا أحيانا وأحيانا قائما يعني يطيع والقنوت عندنا الطاعة ولذلك نصب قوله ساجدا وقائما لأن معناه أمن هو يقنت آناء الليل ساجدا طورا وقائما طورا فهما حال من قانت وقوله يحذر الآخرة يقول يحذر عذاب الآخرة كما حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يحذر الآخرة قال يحذر عقاب الآخرة ويرجو رحمة ربه يقول ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة وقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم ربهم من الثواب وما عليهم في معصيتهم اياه من التبعات والذين لا يعلمون ذلك فهم يخبطون في عشواء لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا ولا يخافون بسيئها شرا يقول ما هذان بمتساويين وقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي في ذلك ما حدثني محمد بن خلف قال ثني نصر بن مزاحم قال ثنا سفيان الجريري عن سعيد بن أبي مجاهد عن جابر عن أبي جعفر رضوان الله عليه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال نحن الذين يعلمون وعدونا الذين

أن المتقي له الجنة وصف أرض الجنة بالسعة ترغيبا فيها كما قال نتبوأ من الجنة حيث نشاء (انما يوفى الصابرون) على مفارقة الأوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وتكاليفه (أجرهم بغير حساب) أي لا يحاسبون أو بغير حصر قال جار الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان  ويصب عليهم الاجر صبا ثم تلا الآية وقال حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل

النوع الثاني (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذي أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فأنزل الله هذه الآية وكأنه اشارة الى الأمر المذكور في أول السورة فاعبد الله مخلصا له الدين وقوله (وأمرت لأن أكون) ليس بتكرار لان اللام للعلة والمأمور به محذوف يدل عليه ما قبله والمعنى أمرت باخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدارين ٣ فنقول فائدة التكرار أن ذكر التعليل مع نوع تأكيد وقيل اللام بدل من الباء أي أمرت بأن أكون أول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره ليصح الاقتداء بي في قولي وفعلي ولعل الاخلاص اشارة الى عمل القلب والاسلام الى عمل الجوارح فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل بالأعمال الظاهرة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم ليس مثل الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلونها بل له سابقة في كل ما يأمر به وينهى عنه وحين بين أن الله أمره باخلاص القلب وبأعمال الجوارح وكان الأمر يحتمل الوجوب والندب بين أن لا ذلك الأمر للوجوب فقال (قل اني أخاف) الآية وذلك أن خوف العقاب لا يترتب الا على ترك الواجب واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره خائفا من العصيان فغيره أولى قيل المراد به أمته وقيل نزلت قبل أن يغفر الله له وقالت الأشاعرة فيه دليل على أن صاحب الكبيرة قد يعفى عنه لأنه بين ان اللازم عند حصول المعصية خوف العقاب لا نفس العقاب النوع الثالث (قل الله أعبد مخلصا له ديني)

---

لا يعلمون وقوله انما يتذكر أولو الالباب يقول تعالى ذكره انما يعتبر حجج الله فيتعظ ويتفكر فيها ويتدبرها أهل العقول والحجى لا أهل الجهل والنقص العقول ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا يا عبادي الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا وقال في من صلة حسنة وجعل معنى الحسنة الصحة والعافية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة قال العافية والصحة * وقال آخرون في من صلة أحسنوا ومعنى الحسنة الجنة وقوله وأرض الله واسعة يقول تعالى ذكره وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأرض الله واسعة فهاجروا واعتزلوا الأوثان وقوله انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يقول تعالى ذكره انما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب يقول ثوابهم بغير حساب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال في الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك ان الله أمرني أن أعبده مفردا له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد وأمرت لأن أكون أول المسلمين يقول وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم فخضع له بالتوحيد وأخلص له العبادة وبرئ من كل ما دونه من الآلهة وقوله تعالى قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم اني أخاف ان عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته مخلصا له الطاعة ومفرده بالربوبية عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم القيامة وذلك هو اليوم الذي يعظم هوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك الله أعبد مخلصا مفردا له طاعتي وعبادتي

وليس بتكرار لما قبله وذلك ان الاول للاخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة الخالصة عن الشرك الجلي والخفي وهذا الاخبار بأن الذي أمر به فانه قد أتى به على أكمل الوجوه ولهذا أخر الفعل وضم الى مضمونه التهديد بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) النوع الرابع (قل ان الخاسرين) الكاملين في الخسران الجامعين لوجوههم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها في هلكة الاخلاد بعذابها (و) خسروا (أهليهم) لان أهلهم وأولادهم ان كانوا في النار فلا فائدة لهم منهم لانهم محجوبون عنهم



أو لان كلا منهم مشغول بهمه وان كانوا من أهل الجنة فما أبعد ما بينهم وقيل أهلوهم الحور العين في الجنة لو آمنوا قال أهل البيان في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) تفظيع لشأنهم حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل وعرف الخسران ووصفه بالمبين قلت التحقيق فيه أن للانسان قوتين يستكمل باحداهما علما وبالأخرى عملا والآلة الواسطة في القسم الأول هي العلوم المسماة بالبديهيات وترتيبها على الوجه المؤدي الى النتائج وهو بمنزلة الربح يشبه تصرف التاجر في رأس المال بالبيع والشراء والآلة في القسم العملي هي القوى البدنية وغيرها من الاسباب الخارجية المعينة عليها واستعمال تلك القوى في وجوه أعمال البر التي هي بمنزلة الربح يشبه التجارة فكل من أعطاه الله العقل والصحة والتمكين ثم انه لم يستفد منها معرفة الحق ولا عمل الخير فاذا مات فقد فات ربحه وضاع رأس ماله ووقع في عذاب الجهل وألم البعد عن عالمه والقرب مما يضاده أبد الآباد فلا خسران فوق هذا ولا حرمان أبين منه وقد أشار الى هذا بقوله (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) أي أطباق من النار من ظلل الآخرين فان لجهنم دركات كما أن للجنة درجات وقال المفسرون سمي النار ظلة بغلظها وكثافتها فصارت محيطة بهم من جميع الجوانب حائلة من النظر الى شئ آخر قلت ان كانوا في كرة النار فوجهه ظاهر ونظيره في الاحوال النفسانية احاطة نار الجهل والحرص وسائر الأخلاق الذميمة بالانسان وقد مر في قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل الظلة ما علا الانسان فسمي ما تحتهم بالظلة اطلاقا لأحد الضدين على الآخر لأن التحتانية مشابهة للفوقانية في الحرارة والاحراق و(ذلك) العذاب المعد للكفار (يخوف الله به عباده) المؤمنين وقد مر أن العباد في القرآن

لا أجعل له في ذلك شريكا ولكني أفرده بالألوهة وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك اذا لقيتم ربكم وقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم ان الهالكين الذين غبنوا أنفسهم وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم فلم يكن لهم اذ دخلوا النار فيها أهل وقد كان لهم في الدنيا أهلون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال هم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة قال الله خسر الدنيا والآخرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال هؤلاء أهل النار خسروا أنفسهم في الدنيا وخسروا الأهلين فلم يجدوا في النار أهلا وقد كان لهم في الدنيا أهل حدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد قال غبنوا أنفسهم وأهليهم قال يخسرون أهليهم فلا يكون لهم أهل يرجعون اليهم ويخسرون أنفسهم فيهلكون في النار فيموتون وهم أحياء فيخسرونهما وقوله ألا ذلك هو الخسران المبين يقول تعالى ذكره ألا ان خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هلاكها هو الخسران المبين يقول تعالى ذكره هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم من فوقهم ظلل من النار وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار ومن تحتهم ظلل يقول ومن تحتهم من النار ما يعلوهم حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جل ثناؤه لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يغشاهم مما هو تحتهم فيها من المهاد وقوله ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون يقول تعالى ذكره هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب تخويف من ربكم لكم يخوفكم به لتحذروه فتجتنبوا معاصيه وتنيبوا من كفركم الى الايمان به وتصديق رسوله واتباع أمره ونهيه فتنجوا من عذابه في الآخرة فاتقون يقول فاتقون بأداء فرائضي عليكم واجتناب معاصي لتنجوا من عذابي وسخطي وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت أي اجتنبوا عبادة كل ما عبد من دون الله من شئ وقد بينا معنى الطاغوت فيما مضى قبل بشواهد ذلك وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وذكرنا أنه في هذا الموضع الشيطان وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا ذكر

اذا كان مضافا الى ضمير الله اختص بأهل الايمان عند اهل السنة وعندي أنه لا مانع من التعميم ههنا ثم عقب الوعيد بالوعد قائلا (والذين اجتنبوا الطاغوت) وهو كل ما عبد من دون الله كما مر في آية الكرسي وقوله (أن يعبدوها) بدل اشتمال منه (وأنابوا الى الله) رجعوا بالكلية الى تحصيل رضاه فالاول تخلية والثاني تحلية وحقيقة الاعراض عما سوى الله والاقبال على الله هي أن يعرف أن كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته فقير في نفسه وهو سبحانه (١٣٢) واجب الوجود لذاته غني على الاطلاق لا حكم الا له ولا تدبير الا به وبأمره

(لهم البشرى) أي هم مخصوصون بالبشارة المطلقة وهي الخبر الاول الصدق الموجب للسرور بزوال المكاره وحصول الأماني ووقتها الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وعند لقاء الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وسماع هذه البشارات في الدنيا على ألسنة الرسل لا يخرجها عن كونها بشارة في هذه الأوقات لانها في الاول عامة للمكلفين مبهمة فيهم ولا تتعين الا في هذه الاحوال وقيل هذه أنواع أخر من السعادات فوق ما عرفوها أو سمعوها نسأل الله الفوز بها قال ابن زيد نزلت في ثلاثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعن ابن عباس أن أبا بكر آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد وسعيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فأنزل الله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) أي من أبي بكر (فيتبعون أحسنه) وهو لا اله الا الله وقال أهل النظم لما بين أن الذين اجتنبوا وأنابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا يصل اليها الا الأقلون جعل الحكم أعم اظهارا

من قال ما ذكرنا في هذا الموضع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والذين اجتنبوا الطاغوت قال الشيطان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال الشيطان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال الشيطان هو ههنا واحد وهي جماعة والطاغوت على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث ولذلك قيل أن يعبدوها وقيل انما أنثت لأنها في معنى جماعة وقوله وأنابوا الى الله يقول وتابوا الى الله ورجعوا الى الاقرار بتوحيده والعمل بطاعته والبراءة مما سواه من الآلهة والانداد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنابوا الى الله وأقبلوا الى الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وأنابوا الى الله قال أجابوا اليه وقوله لهم البشرى يقول لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة فبشر عبادي الذين يستمعون القول يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه الى الحق وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد ولا يهدي الى سداد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيتبعون أحسنه وأحسنه طاعة الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فيتبعون أحسنه قال أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وقوله أولئك الذين هداهم الله يقول تعالى ذكره الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين هداهم الله يقول وفقهم الله للرشاد واصابة الصواب لا الذين يعرضون عن سماع الحق ويعبدون ما لا يضر ولا ينفع وقوله وأولئك هم أولو الألباب يعني أولو العقول والحجى وذكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحدوا الله وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يبعث نبي الله فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها الآيتين حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي نزل فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه لا اله الا الله أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي وأولئك هم أولو الألباب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾ يعني تعالى ذكره بقوله أفمن

للرحمة فقال كل من اختار الأحسن في كل باب كان من زمرة السعداء أهلا للبشارة وقال جار الله أراد بعباده الذين يستمعون القول الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم أي هم الذين ضموا هذه الخصلة الى تلك ولهذا وضع الظاهر في موضع المضمر وفي الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال وأنه اذا اعترض أمران واجب وندب فالأولى اختيار الواجب . وكذا الكلام في المباح والندب كالقصاص والعفو وكل ما هو أحوط في الدين مثاله في الاصول القول بأن للعالم صانعا حيا قديما عليما قادرا متصفا بنعوت الجلال والاكرام

وصفات الكمال والتمام أولى وأحوط من انكاره وكذا الاقرار بالبعث والجزاء أحوط من الانكار وفى الفروع الصلاة المشتملة على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها من الأركان والابعاض المختلف فيها أجود من الصلاة الفارغة عنها أو عن بعضها وقال العارفون يستمعون من النفس الدعوة الى الشهوات ومن الشيطان قول الباطل والغرور ومن الملك الالهامات ومن الله ورسوله الدعاء الى دار السلام فيقبلون كلام الله ورسوله والخواطر الحسنة دون غيرها وعن ابن عباس هو الرجل يجالس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الواقفين من يقف على قوله فبشر عبادى ويبتدئ الذين يستمعون وخبره (أولئك الذين هداهم) وهو اشارة الى الفاعل (وأولئك هم أولوا الألباب) اشارة الى أن جواهر نفوسهم قابلة لفيض الهداية بخلاف من لم يكن له قابلية ذلك وهو قوله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال جار الله أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فهى جملة شرطية دخل عليها الهمزة للانكار وكررت الفاء الثانية للجزاء تأكيدا لمعنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير تصريحا بجزائهم وأما الفاء الأولى فللعطف على محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق الى آخره وجوز أن يكون الكلام بعد المحذوف جملتين شرطية جزاؤها محذوف أيضا ثم حملية والتقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار قلت فالكلام على هذا التقدير يشتمل على أربع جمل ثنتان بعد همزتى الانكار محذوفتان والباقيتان ظاهرتان ومن زعم أن الفاء بعد الهمزة لمزيد الانكار لا للعطف فمجموع الآية شرطية كما ذكرنا أو هى مع حملية ثم صرح بجزاء المتقين فقال (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف) وهو كالمقابل لما مر فى وعيد الكفار لهم من فوقهم ظلل ومعنى قوله (مبنية) والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها وجعلت متساوية فى أسباب النزاهة من الاشجار والانهار لا مثل أبنية الدنيا فان الفوقانى منها يكون أضعف من التحتانى وأخف والتحتانى قد يجرى من تحتها الانهار وأما الفوقانى فلا يمكن فيها ذلك قال حكماء الاسلام الغرف المبنية بعضها فوق بعض هى العلوم المكتسبة المبنية على الفطريات وأنها تكون فى المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية

---

أفمن حق عليه كلمة العذاب أفمن وجبت عليه كلمة العذاب فى سابق علم ربك يا محمد بكفره به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب بكفره وقوله أفأنت تنقذ من فى النار يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفأنت تنقذ يا محمد من هو فى النار من حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فاستغنى بقوله تنقذ من فى النار عن هذا وكان بعض نحويى الكوفة يقول هذا مما يراد به استفهام واحد فيسبق الاستفهام الى غير موضعه فيرد الاستفهام الى موضعه الذى هو له وانما المعنى والله أعلم أفأنت تنقذ من فى النار من حقت عليه كلمة العذاب قال ومثله من غير الاستفهام أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون فردد أنكم مرتين والمعنى والله أعلم أيعدكم أنكم مخرجون اذا متم ومثله قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وكان بعضهم يستخطئ القول الذى حكيناه عن البصريين ويقول لا تكون فى قوله أفأنت تنقذ من فى النار كناية عمن تقدم لا يقال القوم ضربت من قام يقول المعنى التجرئة أفأنت تنقذ من فى النار منهم وانما معنى الكلمة أفأنت تهدى يا محمد من قد سبق له فى علم الله أنه من أهل النار الى الايمان فتنقذه من النار بالايمان لست على ذلك بقادر وقوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية يقول تعالى ذكره لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم فى الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالى بعضها فوق بعض تجرى من تحتها الأنهار يقول تعالى ذكره تجرى من تحت أشجار جناتها الأنهار وقوله وعد الله يقول جل ثناؤه وعدنا هذه الغرف التى من فوقها غرف مبنية فى الجنة هؤلاء المتقين لا يخلف الله الميعاد يقول جل ثناؤه والله لا يخلفهم وعده ولكنه يوفى بوعده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء وهو المطر فسلكه ينابيع فى الأرض يقول فأجراه عيونا فى الأرض واحدها ينبوع وهو ما جاش من الارض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبى فى قوله فسلكه ينابيع فى الارض قال كل ندى وماء فى الارض من السماء نزل * قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن الحسن بن مسلم بن بيان قال ثم أنبت بذلك الماء الذى أنزله من السماء فجعله فى الأرض عيونا زرعا مختلفا ألوانه يعنى أنواعا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة ثم يهيج فتراه مصفرا يقول ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خضرته يقال للارض اذا يبس ما فيها من الخضر وذوى هاجت الارض وهاج الزرع وقوله فتراه مصفرا يقول فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر وكذلك الزرع اذا يبس اصفر

وحين وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة فيها أراد أن يصف الدنيا بما يقتضى النفرة عنها فقدم لذلك مقدمة يستدل بها على حقية الصانع أيضا فقال (ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخله فى الارض حال كون ذلك الماء (ينابيع) مثل الدم فى العروق والينابيع جمع ينبوع وهو كل ماء يخرج من الارض وقيل هو الموضع الذى يخرج منه الماء كالعيون والآبار فينصب على الظرف وقوله (ثم يخرج) على لفظ المستقبل تصويرلتلك الحالة  العجيبة الثانى وهى اخراج النبت المختلف الألوان والأصناف والخواص بسبب الماء المخالط للارض (ثم يهيج) أى يتم جفافه قال الاصمعى لانه اذا تم جفافه جازله أن يثور عن منابته ويذهب (ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك) الذى ذكر من انزال الماء واخراج الزرع بسببه (لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على وجود الصانع (لاولى الالباب) وفيه أن الانسان وان طال عمره فلا بدله من الانتهاء الى حالة اصفرار اللون وتحطم الأجزاء والأعضاء بل الى الموت والفناء وانما قال ههنا ثم يجعله حطاما وفى الحديد ثم يكون حطاما لان الفعل هناك مسند الى النبات وهو قوله أعجب الكفار نباته وههنا مسند الى الله من قوله أنزل الى آخره وحين بالغ فى تقرير البيانات الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله والاعراض عن الدنيا الفانية بين أن ذلك البيان لا يكمل الانتفاع به الا اذا شرح الله صدره ونور قلبه فقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ولا يخفى ما فى لفظة على من فائدة الاستعلاء والتمكن كما مر فى قوله أولئك على هدى والخبر محذوف كما ذكرنا فى قوله أمن هو قانت يعنى هذا الشخص المنشرح الصدر كمن طبع الله على قلبه يدل عليه ما بعده (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل سماع القرآن وانما عدى بمن لان قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القرآن ويجوز أن يكون من للتعليل وذلك أن جواهر النفوس مختلفة فبعضها تكون مشرقة بنور الله يزيدها نور القرآن بهاء وضياء وبعضها تكون مظلمة كدرة لا ينعكس نور الذكر اليها ولا تظهر صور الحق فيها كالمرآة الصدئة ثم أكد وصف القرآن وكيفية تأثيره فى النفوس بقوله (الله نزل أحسن الحديث) عن ابن عباس وابن مسعود ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملولة فقالوا له حدثنا فنزلت الآية والحديث كلام يتضمن الخبر عن حال متقدمة

عن

ثم يجعله حطاما والحطام فتات التبن والحشيش يقول ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فتاتا متكسرا وقوله ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب يقول تعالى ذكره ان فى فعل الله ذلك كالذى وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجى يتذكرون به فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء وانشاء ما أراد من الأجسام والأعراض وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته واعادته من بعد فنائه كهيئته قبل فنائه كالذى فعل بالأرض التى أنزل عليها من بعد موتها الماء فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والاقرار بوحدانيته والاذعان لربوبيته والخضوع لطاعته فهو على نور من ربه يقول فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين بتنوير الحق فى قلبه فهو لذلك لأمر الله متبع وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه كمن أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره وضيقه عن استماع الحق واتباع الهدى والعمل بالصواب وترك ذكر الذى أقسى الله قلبه وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام اذ ذكر أحد الصنفين وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يعنى كتاب الله هو المؤمن به يأخذ واليه ينتهى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام قال وسع صدره للاسلام والنور الهدى حدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد أفمن شرح الله صدره للاسلام قال ليس المنشرح صدره مثل القاسى قلبه وقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله يقول تعالى ذكره فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت يعنى عن القرآن الذى أنزله تعالى ذكره مذكرا به عباده فلم يؤمن به ولم يصدق بما فيه وقيل من ذكر الله والمعنى عن ذكر الله فوضعت من مكان عن كما يقال فى الكلام أتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته بمعنى واحد وقوله أولئك فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله فى ضلال مبين لمن تأمله وتدبره بفهم أنه فى ضلال عن الحق جائر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد﴾ يقول تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا يعنى به القرآن متشابها يقول يشبه بعضه بعضا لا اختلاف فيه ولا تضاد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى كتابا متشابها قال المتشابه يشبه بعضه بعضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر

ووصفه بالحدوث من حيث النزول لاينافي قدمه من حيث انه كلام نفسي ووجه كونه أحسن لفظا ومعنى مما لايخفى على ذي طبع فضلا عن ذي لب وقوله (كتابا) بدل من أحسن أو حال موطئة ومعنى (متشابها) أنه يشبه بعضه بعضا في الاعجاز اللفظي والمعنوي والنظم الانيق والاسلوب العجيب والاشتمال على الغيوب وعلى أصول العلوم كما مر في أول البقرة في تفسير قوله وان كنتم في ريب وقيل هو من قوله وأخر متشابهات فيكون صفة لبعض القرآن وقيل يشبه اللفظ اللفظ والمعنى مختلف وقوله مثاني جمع مثنى ومثنى بمعنى مكرر لما ثني من قصصه وأحكامه ومواعظه أو لانه يثنى في التلاوة فلا يورث ملالا كقوله ولايخلق على كثرة الرد وقيل المثاني لآي القرآن كالقوافي للشعر وقد مر بعض هذه الاقوال في مقدمات الكتاب وفي سورة الحجر في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني ومعنى اقشعرار الجلد تقبضه قال جار الله تركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها الراء ليصير رباعيا دالا على معنى زائد وهو تمثيل لشدة الخوف أو حقيقة سببه الخوف قال المفسرون أراد انهم عند سماع آيات العذاب يخافون فتقشعر جلودهم وعند سماع آيات الرحمة والاحسان أو تذكرهم لرأفته وأن رحمته سبقت غضبه تلين جلودهم وقلوبهم ومعنى الى في قوله (الى ذكر الله) هو أنه ضمن لان معنى سكن واطمأن وقال العارفون اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان راح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا وقال أهل البرهان اذا اعتبر العقل موجودا لا أول له ولا آخر ولا حين ولا جهة وقع في بادية التحير والهيبة واذا اعتبر الدلائل القاطعة على وجود موجود واجب لذاته واحد في صفاته وأفعاله اطمأن قلبه اليه قال جار الله انما ذكرت الجلود أولا وحدها لان الخشية تدل على القلوب لانها محل الخشية فكأنه قيل تقشعر جلودهم بعد خشية قلوبهم ثم اذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ويحتمل أن يقال المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف ومحل المكاشفات هو القلب فلذلك اختص ذكر القلب بجانب الرجاء ثم أشار الى الكتاب المذكور بقوله (ذلك هدى الله) كقوله هدى للمتقين ثم بين أن للقاسية قلوبهم حالين أما في الدنيا فالضلال العام وهو قوله ومن يضلل الله فماله من هاد وأما في الآخرة فقوله

---

عن سعيد بن جبير في قوله كتابا متشابها قال يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ويدل بعضه على بعض وقوله مثاني يقول تثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والاحكام والحجج وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني قال ثنى الله فيه القضاء تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها وسئل عنها عكرمة (١) حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كتابا متشابها مثاني قال في القرآن كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثاني قال ثنى الله فيه الفرائض والقضاء والحدود حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مثاني قال كتاب الله مثاني ثنى فيه الأمر مرارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله مثاني قال كتاب الله مثاني ثنى فيه الأمر مرارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله مثاني ثنى في غير مكان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والانبياء في أمكنة كثيرة وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم يقول تعالى ذكره تقشعر من سماعه اذا تلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله يعني الى العمل بما في كتاب الله والتصديق به وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن أصحابه سألوه الحديث ذكر الرواية بذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا حكام بن سلم عن أيوب ابن موسى عن عمرو الملائي عن ابن عباس قالوا يا رسول الله لو حدثتنا قال فنزلت الله نزل أحسن الحديث حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يا نبي الله فذكر مثله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء يقول تعالى ذكره هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم ثم لينها ولين قلوبهم الى ذكر الله من بعد ذلك هدى الله يعني توفيق الله اياهم وفقهم له يهدي به من يشاء يقول يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده وقد يتوجه معنى قوله ذلك هدى الى أن يكون ذلك من ذكر القرآن فيكون معنى الكلام هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء يوفق للايمان به من يشاء وقوله ومن يضلل الله فماله من هاد يقول تعالى ذكره ومن يخذله الله عن الايمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه فيضله عنه فماله من هاد يقول فماله من موفق له ومسدد يسدده في اتباعه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾

(١) الذي في الدر وسئل عنها عكرمة فقال ثنى الله فيه القضاء كتبه مصححه

(أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدّته والخبر محذوف وهو كمن أمن العـذاب واتقاء العذاب بوجهه اماحقيقة بأن تكون يداه مغلولة
الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه  واما أن يكون كناية عن عجزه عن الاتقاء وذلك أن الانسان اذا وقع فى نوع
من العـذاب فانه يجعل يديه وقاية لوجهه الذى هو أشرف الأعضاء فكأنه قيـل لا يقدرون على الاتقاء الا بالوجه والاتقاء بالوجه غير ممكن فلا اتقاء أصلا (وقيل للظالمين) القائلون هم خزنة النار قوله (كذب الذين من قبلهم) تصوير لحال أمثالهم من الامم الخالية بيناهم آمنون اذ أخذهم العـذاب والخزى فى الدنيا كالمسخ والقتل ونحوهما ثم بين بقوله (ولقد ضربنا) الى آخر الآيتين أن هـذه البيانات بلغت فى الكمال الى حيث لا مزيد عليه ثم ضرب من أمثال القرآن مثلا لقبح طريقة أهل الشرك وهو رجل من المماليك قد اشترك (فيه شركاء متشاكسون) أى كلهم يسيء خلقه فى استخدامه أوهم مختلفون فى ذلك يأمره هـذا بشئ و ينهـاه الآخر عن ذلك الشئ بعينـه والشكاسـة سوء الخلق والاختلاف (ورجلا سالما لرجل) أى خالصا من الشرك ومن قرأ بغير ألف فعـلى حذف المضاف أى ذا سلامة وذا خلوص من الشركة وقال جار الله وانمـا جعله رجلا ليكون أفطن لمـا شقى به أو سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك قلت لا ريب أن الرجل أصل فى كل باب فجعله مضرب المثـل أولى نظيره وضرب الله مثـلا رجلين أحدهما أبكم ثم استفهم على سبيل الانكار بقوله (هـل يستويان مثلا) وهو تمييز أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما واقتصر فى التمييز على الواحد لقصد الجنس
والمراد تجهيل من يجعل المعبود متعددا فليس رضا واحد كطلب رضا جماعة مختلفين وحاصله يرجع
الى دليل التمانع كما مر فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أهل العرفان الشركاء المتشاكسون تجاذب شغل الدنيا وشغل العيال

اختلف أهل التأويل فى صفة اتقاء هـذا الضال بوجهه سوء العذاب فقال بعضهم هو أن يرمى به فى جهنم مكبوبا على وجهه فذلك اتقاؤه اياه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب قال يخر على وجهه فى النار يقول هو مثل أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة * وقال آخرون هو أن ينطلق به الى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها فأول ما تمس النار وجهه وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ماذكر من الكلام عليه عنه ومعنى الكلام أفمن يتقى بوجهه سوء العـذاب يوم القيامة خير أم من ينعم فى الجنان وقوله وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يقول ويقـال يومئذ للظالمين أنفسهم باكسابهم اياها سخط الله ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم فى الدنيا تكسبون من معاصى الله وقوله كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كذب الذين من قبـل هؤلاء المشركين من قريش من الامم الذين مضوا فى الدهور الخالية رسلهم فأتاهم العـذاب من حيث لا يشعرون يقول فجاءهم عذاب الله من الموضع الذى لا يشعرون أى لا يعلمون بمجيئه منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعـذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يقول تعالى ذكره فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان فى الدنيا والعـذاب قبل الآخرة ولم ينظرهم اذ عتوا عن أمر ربهم ولعذاب الآخرة أكبر يقول ولعذاب الله اياهم فى الآخرة اذا أدخلهم النار فعذبهم بها أكبر من العذاب الذى عذبهم به فى الدنيا لو كانوا يعلمون يقول لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون) يقول تعالى ذكره ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للامم الخالية تخويفا منا لهـم وتحذيرا لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا فينزجروا عما هم عليـه مقيمون من الكفر بالله وقوله قرآنا عربيا يقول تعالى ذكره لقد ضربنا للناس فى هـذا القرآن من كل مثـل قرآنا عربيا غير ذى عوج يعنى ذى لبس كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قرآنا عربيا غير ذى عوج غير ذى لبس ونصب قوله قرآنا عربيا على الحال من قوله هذا القرآن لأن القرآن معرفة وقوله قرآنا عربيا نكرة وقوله لعلهم يتقون يقول جعلنا قرآنا عربيا اذ كانوا عربا ليفهموا ما فيه من المواعظ حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته فينيبوا الى عبادته وافراد الألوهة له و يتبرؤا من الأنداد والآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعـالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سـلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره مثل الله مثلا للكافر بالله الذى يعبد آلهة شتى و يطيع جماعة من الشياطين والمؤمن الذى لا يعبد الا الله الواحد يقول تعالى ذكره ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء يقول هو بين جماعة مالكين متشاكسين يعنى مختلفين
متنازعين

متنازعين سيئة أخلاقهم من قولهم رجل شكس اذا كان سيئ الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه و رجلا سلما لرجل يقول ورجلا خلوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشئ سواه بالربوبية واختلفت القراء في قراءة قوله ورجلا سلما فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة ورجلا سالما لرجل وتأولوه بمعنى رجلا خالصا لرجل وقد روى ذلك أيضا عن ابن عباس حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن جرير بن حازم عن حميد عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأها سالما لرجل يعني بالالف وقال ليس فيه لأحد شئ وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ورجلا سلما لرجل بمعنى صلحا * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن السلم مصدر من قول القائل سلم فلان لله سلما بمعنى خلص له خلوصا تقول العرب ربح فلان في تجارته ربحا وربحا وسلم سلما وسلما وسلامة وأن السالم من صفة الرجل وسلم مصدر من ذلك وأما الذي توهمه من رغب عن قراءة ذلك سلما من أن معناه صلحا فلا وجه للصلح في هذا الموضع لان الذي تقدم من صفة الآخر انما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشئ من الاشياء فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له فيه ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل قال هذا مثل اله الباطل واله الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال هذا المشرك تتنازعه الشياطين لا يقر به بعضهم لبعض ورجلا سالما لرجل قال هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الى قوله بل أكثرهم لا يعلمون قال الشركاء المتشاكسون الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون الها يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة فضرب الله هذا المثل لهم وضرب لنفسه مثلا يقول رجل سلم لرجل يقول يعبدون الها واحدا لا يختلفون فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل قال أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق ليس منهم واحد الا تلقاه آخذا بطرف من مال لاستخدامه أسواهم والذي لا يملكه الا واحد فانما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة وجعلوا لها في أعناقهم حقوقا فضربه الله مثلا لهم وللذي يعبده وحده هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وفي قوله ورجلا سالما لرجل يقول ليس معه شرك وقوله هل يستويان مثلا يقول تعالى ذكره هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع اذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه واذا أخطأ صفح له عن خطئه يقول فأي هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقل تعبا

وغير ذلك من الاشغال فأين ذلك الرجل ممن ليس له في الدنيا نصيب ولا له في الخلق نسيب وهو عن الآخرة غريب والى الله قريب قوله (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) كما مر في لقمان قوله (انك ميت) وجه النظم أنه سبحانه كأنه قال ان هؤلاء الاقوام ان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم أيضا يؤلون الى الموت

ونصبا كما حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون يقول من اختلف فيه خير أم من لم يختلف فيه وقوله الحمد لله يقول الشكر الكامل والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول جل ثناؤه وما يستوى هذا المشترك فيه والذى هو منفرد ملكه لواحد بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله وقيل هل يستويان مثلا ولم يقل مثلهن لانهما كلاهما ضربا مثلا واحدا فجرى المثل بالتوحيد كما قال جل ثناؤه وجعلنا ابن مريم وأمه آية اذ كان معناهما واحدا فى الآية
والله أعلم

فلو أنهم يتربصون بك الموت فان الموت يعم الكل فلا معنى لشماتة المرء بعد وفاة صاحبه (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) تحتج عليهم بانك قد بلغت وهم يعتذرون بما لا طائل تحته وقد يخاصم الكفار بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى وقد يقع الاختصام بين أهل الملة فى الدماء والمظالم التى بينهم
والله أعلم

---

(تم الجزء الثالث والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الرابع والعشرون أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون)

تنبيه

وقع بجزء ٢٤ صحيفة ١٠ سطر ٨ (أسرافوا) وهو خطأ وصوابه (أسرفوا)

فهـــــرس

الجـــزء الثـالث والعشرين

من تفســير الامام ابن جرير الطـــبرى

---

﴿ فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

﴿تم فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابورى﴾